



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

شمس الحج النبوية

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(٧)

دارالعلماء للكتاب العربي
بيبي الباني الجليلي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	شرح نهج البلاغه المجلد ١٥
٨	اشاره
١٠	اشاره
١٢	تتمه باب الكتب و الرسائل
١٢	اشاره
١٢	تتمه ٩ و من كتاب له ع إلى معاويه
١٢	اشاره
١٢	تتمه الفصل الرابع في قصة غزوه أحد
١٢	اشاره
١٢	القول في أسماء الذين تعاقدوا من قريش على قتل رسول الله ص و ما أصابوه به في المعركه يوم الحرب
٢٠	القول في الملائكه نزلت بأحد و قاتلت أم لا
٢١	القول في مقتل حمزه بن عبد المطلب رضی الله عنه
٣٠	القول فيمن ثبت مع رسول الله ص يوم أحد
٣٦	القول فيما جرى للمسلمين بعد إصعادهم في الجبل
٥٥	القول فيما جرى للمشركين بعد انصرافهم إلى مكه
٥٦	القول في مقتل أبي عزه الجمحي و معاويه بن المغيره بن أبي العاص بن أميه بن عبد شمس
٥٩	القول في مقتل المجذر بن زياد البلوي و الحارث بن يزيد بن الصامت
٦٢	القول فيمن مات من المسلمين بأحد جمله
٦٣	القول فيمن قتل من المشركين بأحد
٦٦	القول في خروج النبي ص و بعد انصرافه من أحد إلى المشركين ليوقع بهم على ما هو به من الوهن
٧٢	الفصل الخامس في شرح غزاه مؤته
٨٣	فصل في ذكر بعض مناقب جعفر بن أبي طالب
٩١	١٠ و من كتاب له ع إلى معاويه أيضا
١٠١	١١ و من وصيه له ع وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

- ١٢ و من وصيه له ع وصى بها معقل بن قيس الرياحى حين أنفذه إلى الشام فى ثلاثه الاف مقدمه له ----- ١٠٤
- اشاره ----- ١٠٤
- نبد من الأقوال الحكيمه فى الحروب ----- ١٠٧
- ١٣ و من كتاب له ع إلى أميرين من أمراء جيشه ----- ١١٠
- اشاره ----- ١١٠
- فصل فى نسب الأشر و ذكر بعض فضائله ----- ١١٠
- نبد من الأقوال الحكيمه ----- ١١٤
- ١٤ و من وصيه له ع لعسكره بصفين قبل لقاء العدو ----- ١١٦
- اشاره ----- ١١٦
- نبد من الأقوال الحكيمه ----- ١١٧
- قصه فيروز بن يزدجرد حين غزا ملك الهياطله ----- ١١٩
- ١٥ و كان ع يقول إذا لقي العدو محاربا ----- ١٢٤
- ١٦ و كان يقول لأصحابه عند الحرب ----- ١٢٤
- اشاره ----- ١٢٤
- نبد من الأقوال المتشابهه فى الحرب ----- ١٢٧
- ١٧ و من كتاب له ع إلى معاويه جوابا عن كتاب منه إليه ----- ١٢٩
- اشاره ----- ١٢٩
- ذكر بعض ما كان بين على و معاويه يوم صفين ----- ١٣٢
- ١٨ و من كتاب له ع إلى عبد الله بن عباس و هو عامله على البصره ----- ١٣٧
- اشاره ----- ١٣٧
- فصل فى بنى تميم و ذكر بعض فضائلهم ----- ١٣٨
- ١٩ و من كتاب له ع إلى بعض عماله ----- ١٤٩
- ٢٠ و من كتاب له ع إلى زياد بن أبيه و هو خليفه عامله عبد الله بن عباس على البصره و عبد الله عامل أمير المؤمنين ع يومئذ عليها و على كور الأهواز و فارس و كرمان و غيرها ----- ١٥٠
- ٢١ و من كتاب له ع إلى زياد أيضا ----- ١٥١
- ٢٢ و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى ----- ١٥٢
- ٢٣ و من كلام له ع قاله قبل موته على سبيل الوصيه لما ضربه ابن ملجم لعنه الله ----- ١٥٥
- ٢٤ و من وصيه له ع بما يعمل فى أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين ----- ١٥٨

- ٢٥ و من وصيه له ع كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات ----- ١٦٣
- ٢٦ و من عهد له ع إلى بعض عماله و قد بعته على الصدقه ----- ١٧٠
- ٢٧ و من عهد له ع إلى محمد بن أبي بكر رضى الله عنه حين قلده مصر ----- ١٧٥
- اشاره ----- ١٧٥
- كتاب المعتضد بالله ----- ١٨٣
- ٢٨ و من كتاب له ع إلى معاويه جوابا ----- ١٩٣
- اشاره ----- ١٩٣
- كتاب لمعاويه إلى علي ----- ١٩٦
- مناكحات بنى هاشم و بنى عبد شمس ----- ٢٠٧
- فضل بنى هاشم على بنى عبد شمس ----- ٢١٠
- مفاخر بنى أميه ----- ٢٦٩
- ذكر الجواب عما فخرت به بنو أميه ----- ٢٨٢
- فهرس الخطب ----- ٣٠٩
- فهرس الموضوعات ----- ٣١١
- تعريف مركز ----- ٣١٣

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ

گرداورنده: شریف الرضی، محمد بن حسین

نویسنده: علی بن ابی طالب (علیه السلام)، امام اول

شماره بازیابی: ۷۶۹۲-۵

پدید آور: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادی: نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پدید آور: شرح نهج البلاغه [نسخه خطی] ابن ابی الحدید

وضیعت کتابت: محمد طاهر ابن شیخ حسن علی ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاہری: ۳۴۵ گ [عکس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازہ سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ رادہ گذاری؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابی الحدید علی نهج البلاغه. بسملة. و منه الاستعانه و توفیق التتميم.

باب المختار من كتب امير المؤمنين علی علیه السلم و رسائله الی ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التي بنی هذا الشرح علی قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله علی

زیادات تخلو عنها اکثر النسخ... و یکف عنی عادیه الظالمین انه سمیع مجیب و حسبنا الله وحده و صلواته علی سیدنا محمد

النبی و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسویده فی ظهر یوم الثلاثاء غره شهر جمدی الاول سنه اربع و ثمانین و الف کتبه الفقیر الحقیق... ابن شیخ

حسن علی محمد طاهر غفرالله تعالی له و لوالدیه تمت.

یادداشت کلی: زبان: عربی

تاریخ تالیف: اول رجب ۶۴۴- صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c412c51b-cfb8-4e09-942b-8cb6448242e2/Catalogue.aspx>

ص : ۱

اشاره

اشاره

تممه ٩ و من كتاب له ع إلى معاويه

اشاره

تممه الفصل الرابع فى قصه غزوه أحد

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم (١) و به ثقتى الحمد لله الواحد العدل (٢)

القول فى أسماء الذين تعاقدوا من قريش على قتل رسول الله ص و ما أصابوه به فى المعركة يوم الحرب

٤٠٤٦

قال الواقدي

(٣)

تعاقد من قريش على قتل رسول الله ص عبد الله بن شهاب الزهري و ابن قميئه (٤) أحد بنى الحارث بن فهر و عتبه بن أبى وقاص الزهري و أبى بن خلف الجمحي فلما أتى خالد بن الوليد من وراء المسلمين و اختلطت الصفوف و وضع المشركون السيف فى المسلمين رمى عتبه بن أبى وقاص رسول الله ص بأربعة أحجار فكسر رباعيته و شججه فى وجهه حتى غاب حلق المغفر فى وجنتيه (٥) و أدمى شفتيه (٦) .

٤٠٤٧

قال الواقدي و قد روى أن عتبه أشطى (٧) باطن رباعيته السفلى قال و الثبت عندنا أن الذى رمى وجنتى رسول الله ص ابن قميئه و الذى رمى شفته و أصاب رباعيته عتبه بن أبى وقاص .

٤٠٤٨

١٤١- قال الواقدي أقبل ابن قميئه يومئذ و هو يقول دلونى على محمد فو الذى يحلف به لئن رأيتنه لأقتلنه فوصل إلى رسول الله ص فعلاه بالسيف و رماه عتبه

ص: ٣

١-١-١) ا: «و بک اعتمادی یا کریم».

١-١-٢) ا: «و بک اعتمادی یا کریم».

٣-٣) قمیئه؛ کسفینه، و هو عمرو بن قمیئه، ذکره صاحب تاج العروس، و قال: «شاعر؛ و هو الذی کسر رباعیه النبی صلی الله علیه و سلم یوم أحد».

٤-٤) کذا فی ا، و هو الوجه و الذی فی ب «و جنته»؛ تحریف.

٥-٥) مغازی الواقدی ص ٢٤٦ و ما بعدها.

٦-٦) أشطی رباعیته: کسرھا.

-٧

بن أبي وقاص في الحال التي جلله ابن قميئه فيها السيف و كان ع فارسا و هو لابس درعين مثقل بهما فوق رسول الله ص عن الفرس في حفرة كانت أمامه.

قال الواقدي أصيب ركبتاه جحشنا لما (١) وقع في تلك الحفرة و كانت هناك حفر حفرها أبو عامر الفاسق كالخنادق للمسلمين و كان رسول الله ص واقفا على بعضها و هو لا يشعر (٢) فجحشت ركبتاه و لم يصنع سيف ابن قميئه شيئا إلا وهز (٣) الضربه بثقل السيف فقد وقع رسول الله ص ثم انتفض و طلحه يحمله من ورائه و على ع أخذ بيديه حتى استوى قائما .

٤٠٤٩

١٤- قال الواقدي فحدثني الضحاك بن عثمان عن حمزه بن سعيد عن أبي بشر المازني قال حضرت يوم أحد و أنا غلام فرأيت ابن قميئه علا- رسول الله ص بالسيف و رأيت رسول الله ص وقع على ركبتيه في حفرة أمامه حتى تواري في الحفرة فجعلت أصيح و أنا غلام حتى رأيت الناس تابوا إليه.

قال فأنظر إلى طلحه بن عبيد الله آخذا بحضنه حتى قام .

قال الواقدي و يقال إن الذي شج رسول الله ص في جبهته ابن شهاب و الذي أشطى ربايعته و أدمى شفتيه عتبه بن أبي وقاص و الذي أدمى وجنتيه حتى غاب الحلق فيهما ابن قميئه

٤٠٥٠

١٤- و إنه سال الدم من الشجه التي في جبهته حتى أخضل لحيته و كان سالم مولى أبي حذيفه يغسل الدم عن وجهه و رسول الله ص يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم و هو يدعوهم إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى قوله لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ (٤) الآية .

ص: ٤

١- (١) الجحش: الخدش، أو فوقه.

٢- (٢) الواقدي: «و لا يشعر به».

٣- (٣) كذا في الواقدي. و يقال: وهزه، أى ضربه بثقل يده، و في الأصول: «و هن» تحريف.

٤- (٤) سورة آل عمران ١٢٨.

١٤- قال الواقدي و روى سعد بن أبي وقاص قال (١) قال رسول الله ص يومئذ اشتد غضب الله على قوم دموا فا رسول الله ص اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله ص قال سعد فلقد شفاني من عتبه أخى دعاء رسول الله ص و لقد حرصت على قتله حرصا ما حرصت على شىء قط و إن كان ما علمت لعاقا بالوالد سيئ الخلق و لقد تخرقت صفوف المشركين مرتين أطلب أخى لأقتله و لكنه راغ منى روغان الثعلب فلما كان الثالثة قال رسول الله ص يا عبد الله ما تريد أ تريد أن تقتل نفسك فكففت فقال رسول الله ص اللهم لا تحولن الحول على أحد منهم قال سعد فو الله ما حال الحول على أحد ممن رماه أو جرحه .

مات عتبه و أما ابن قميئه فاختلف فيه [فقائل يقول قتل فى المعرك

[و

(٢) قائل [يقول]

(٣) إنه رمى بسهم فى ذلك اليوم فأصاب مصعب بن عمير فقتله فقال خذها و أنا ابن قميئه فقال رسول الله ص أقمأه الله فعمد إلى شاه يحتلبها فتنطحه بقرنها و هو معتلقها (٤) فقتلته فوجد ميتا بين الجبال لدعوه رسول الله ص و كان عدو الله رجع إلى أصحابه فأخبرهم أنه قتل محمدا .

قال و ابن قميئه رجل من بنى الأدرم من بنى فهر .

و زاد البلاذرى فى الجماعه التى تعاهدت و تعاقدت على قتل رسول الله ص يوم أحد عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى (٥) .

قال و ابن شهاب الذى شج رسول الله ص فى جبهته هو عبد الله

ص: ٥

١- ١) الواقدي: «سمعتة يقول: اشتد...».

٢- ٢) من الواقدي. و المعرك و المعترك: موضع القتال.

٣- ٢) من الواقدي. و المعرك و المعترك: موضع القتال.

٤- ٤) أنساب الأشراف ٣١٩: ١.

بن شهاب الزهرى جد الفقيه المحدث محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب (١) و كان ابن قميئه أدرم ناقص الذقن و لم يذكر اسمه و لا ذكره الواقدي أيضا.

قلت سألت النقيب أبا جعفر عن اسمه فقال عمرو فقلت له أ هو عمرو بن قميئه الشاعر قال لا هو غيره فقلت له ما بال بنى زهره فى هذا اليوم فعلوا الأفاعيل برسول الله ص و هم أخواله ابن شهاب و عتبه بن أبى وقاص فقال يا ابن أخى حركهم أبو سفیان و هاجهم على الشر لأنهم رجعوا يوم بدر من الطريق إلى مكة فلم يشهدوها فاعترض غيرهم و منعهم عنها و أغرى بها سفهاء أهل مكة فعيروهم برجوعهم و نسبوهم إلى الجبن و إلى الإدهان فى أمر محمد ص و اتفق أنه كان فيهم مثل هذين الرجلين فوقع منهما يوم أحد ما وقع.

قال البلاذرى مات عتبه يوم أحد من وجع أليم أصابه فتعذب به و أصيب ابن قميئه فى المعركة و قيل نطحته عنز فمات.

قال و لم يذكر الواقدي ابن شهاب كيف مات و أحسب ذلك بالوهم منه.

قال و حدثنى بعض قریش أن أفعى نهشت عبد الله بن شهاب فى طريقه إلى مكة فمات قال و سألت بعض بنى زهره عن خبره فأذكروا أن يكون رسول الله ص دعا عليه أو يكون شج رسول الله ص و قالوا إن الذى شججه فى وجهه عبد الله بن حميد الأسدى (٢).

فأما عبد الله بن حميد الفهرى فإن الواقدي و إن لم يذكره فى الجماعه الذين

ص: ٦

١-١) أنساب الأشراف ٣١٩:١.

٢-٢) أنساب الأشراف ٣٢٤:١.

تعاقدوا على قتل رسول الله ص إلا أنه قد ذكر كيفية قتله.

٤٠٥٣

١٤- قال الواقدي و يقبل عبد الله بن حميد بن زهير حين رأى رسول الله ص على تلك الحال يعنى سقوطه من ضربه ابن قميئه يركض فرسه مقنعا فى الحديد يقول أنا ابن زهير دلونى على محمد فو الله لأقتلنه أو لأموتن دونه فتعرض (١) له أبو دجانه فقال هلم إلى من يقى نفس محمد ص بنفسه فضرب فرسه فعرقبها فاكستعت ثم علاه بالسيف و هو يقول خذها و أنا ابن خرشه حتى قتله و رسول الله ص ينظر إليه و يقول اللهم ارض عن ابن خرشه كما أنا عنه راض .

هذه روايه الواقدي و بها قال البلاذرى إن عبد الله بن حميد قتله أبو دجان ه (٢) .

فأما محمد بن إسحاق فقال إن الذى قتل عبد الله بن حميد على بن أبى طالب ع (٣) و به قالت الشيعة .

و روى الواقدي و البلاذرى أن قوما قالوا إن عبد الله بن حميد هذا قتل يوم بدر .

فالأول الصحيح أنه قتل يوم أحد

٤٠٥٤

١٤,١- و قد روى كثير من المحدثين أن رسول الله ص قال لعلى ع حين سقط ثم أقيم اكفنى هؤلاء لجماعه قصدت نحوه فحمل عليهم فهزمهم و قتل منهم عبد الله بن حميد من بنى أسد بن عبد العزى ثم حملت عليه طائفه أخرى فقال له اكفنى هؤلاء فحمل عليهم فانهمزوا من بين يديه و قتل منهم أميه بن أبى حذيفه بن المغيره المخزومى .

٤٠٥٥

١٤- قال فأما أبى بن خلف فروى الواقدي أنه أقبل يركض فرسه حتى إذا دنا من رسول الله ص اعترض له ناس من أصحابه ليقتلوه فقال لهم استأخروا

ص: ٧

١- (١) ا و الواقدي: «ليعرض».

٢- (٢) أنساب الأشراف ٣٢٤: ١.

٣- (٣) سيره ابن هشام ٨٢: ٣.

عنه ثم قام إليه و حربته في يده فرماه بها بين سابعه البيضه و الدرع (١) فطعنه هناك فوقع عن فرسه فانكسر ضلع من أضلاعه و احتمله قوم من المشركين ثقبلا (٢) حتى ولوا قافلين فمات في الطريق و قال و فيه أنزلت و مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (٣) قال يعنى قذفه إياه بالحربه .

٤٠٥٦

١٤- قال الواقدي و حدثني يونس بن محمد الظفري عن عاصم بن عمر عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال كان أبي بن خلف قدم في فداء ابنه و كان أسر يوم بدر فقال يا محمد إن عندي فرسا لي أعلفها فرقا (٤) من ذره كل يوم لأقتلك عليها فقال رسول الله ص بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله تعالى .

٤٠٥٧

١٤- و يقال إن أبيا إنما قال ذلك بمكه فبلغ رسول الله ص بالمدينه كلمته فقال بل أنا أقتله عليها إن شاء الله .

٤٠٥٨

١٤- قال و كان رسول الله ص في القتال لا يلتفت وراءه فكان يوم أحد يقول لأصحابه إنى أخشى أن يأتي أبي بن خلف من خلفي فإذا رأيتموه فأذنوني و إذا بأبي يركض على فرسه و قد رأى رسول الله ص فعرفه فجعل يصيح بأعلى صوته يا محمد لا نجوت إن نجوت فقال القوم يا رسول الله ما كنت صانعا حين يغشاك أبي فاصنع فقد جاءك و إن شئت عطف عليه بعضنا فأبى رسول الله ص و دنا أبي فتناول رسول الله ص الحربه من الحارث بن الصمه ثم انتفض كما ينتفض البعير قال فتطايرونا

ص: ٨

١- ١) الدرع السابغه: التي تجرها في الأرض و على كعبيك طولاً و سعه، و تسبغه البيضه: ما توصل به البيضه من حلق الدرور فتستر العنق.

٢- ٢) ثقبلا: مشرفا على الموت.

٣- ٣) سوره الأنفال ١٧.

٤- ٤) الفرق، بسكون الراء و بفتحها: مكيال ضخم لأهل المدينه معروف.

عنه تطاير الشعارير (١) و لم يكن أحد يشبه رسول الله ص إذا جد الجد ثم طعنه بالحربه فى عنقه و هو على فرسه لم يسقط إلا أنه خار كما يخور الثور فقال له أصحابه أبا عامر و الله ما بك بأس و لو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ما ضره قال و اللات و العزى لو كان الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا كلهم أجمعون أ ليس قال لأقتلنه فاحتملوه و شغلهم ذلك عن طلب رسول الله ص حتى التحق (٢) بعظم أصحابه فى الشعب

٤٠٥٩

١٤- قال الواقدى و يقال إنه تناول الحربه من الزبير بن العوام قال و يقال إنه لما تناول الحربه من الزبير حمل أبى على رسول الله ص ليضربه بالسيف فاستقبله مصعب بن عمير حائلا بنفسه بينهما و إن مصعبا ضرب بالسيف أبيا فى وجهه و أبصر رسول الله ص فرجه من بين سابغه البيضه و الدرع قطعنه هناك فوقع و هو يخور .

قال الواقدى و كان عبد الله بن عمر يقول مات أبى بن خلف ببطن رابغ (٣) منصرفهم إلى مكه قال فإنى لأسير ببطن رابغ بعد ذلك و قد مضى هوى من الليل إذا نار تأجج فهبتها و إذا رجل يخرج منها فى سلسله يجتذبها يصيح العطش و إذا رجل يقول لا تسقه فإن هذا قتيل رسول الله ص هذا أبى بن خلف فقلت ألا سحقا و يقال إنه مات بسرف (٤)

ص: ٩

١- (١) الشعارير:الذباب.

٢- (٢) ١ و الواقدى:«لحق».

٣- (٣) بطن رابغ:واد من دون الجحفه،قال الواقدى:هو على عشره أميال من مكّه.ياقوت.

٤- (٤) سرف، ككتف:موضع على سبعة أميال من مكّه،تزوج به رسول الله صلى الله عليه و سلم ميمونه بنت الحارث،و هناك بنى بها؛و هناك توفيت-ياقوت.

٤٠٦٠

١٤- قال الواقدى حدثنى الزبير بن سعيد عن عبد الله بن الفضل قال أعطى رسول الله ص مصعب بن عمير اللواء فقتل فأخذه ملك فى صورته مصعب فجعل رسول الله ص يقول له فى آخر النهار تقدم يا مصعب فالتفت إليه الملك فقال لست بمصعب فعرف رسول الله ص أنه ملك أيد به

قال الواقدى سمعت أبا معشر يقول مثل ذلك.

قال و حدثنى عبيده بنت نائل عن عائشه بنت سعد بن أبى وقاص عنه قال لقد رأيتنى أرمى بالسهم يومئذ فيرده عنى رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد فظننت أنه ملك.

٤٠٦١

قال الواقدى و حدثنى إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده سعد بن أبى وقاص قال رأيت ذلك اليوم رجلين عليهما ثياب بيض أحدهما عن يمين رسول الله ص و الآخر عن شماله يقاتلان أشد القتال ما رأيتهما قبل و لا بعد.

قال و حدثنى عبد الملك بن سليمان عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون فى أنديتهم بما ظفروا يقولون لم نر الخيل البلق و لا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر .

قال و قال عبيد بن عمير (١) لم تقاتل الملائكة يوم أحد .

٤٠٦٢

قال الواقدى و حدثنى ابن أبى سبره عن عبد المجيد بن سهيل عن عمر بن الحكم قال لم يمد رسول الله ص يوم أحد بملك واحد و إنما كانوا يوم بدر .

قال و مثله عن عكرمه .

ص : ١٠

قال وقال مجاهد حضرت الملائكة يوم أحد و لم تقاتل و إنما قاتلت يوم بدر .

قال و روى عن أبى هريره أنه قال وعدهم الله أن يمدهم لو صبروا فلما انكشفوا لم تقاتل الملائكة يومئذ

القول فى مقتل حمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه

٤٠٤٣

١٤,١- قال الواقدي كان وحشى عبدا لابنه الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف و يقال كان لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف فقالت له ابنة الحارث إن أبى قتل يوم بدر فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر محمد و على بن أبى طالب و حمزه (١) بن عبد المطلب فيانى لا أرى فى القوم كفؤا لأبى غيرهم فقال وحشى أما محمد فقد علمت أنى لا أقدر عليه و أن أصحابه لن يسلموه و أما حمزه فو الله لو وجدته نائما ما أيقظته من هيئته و أما على فألتمسه قال وحشى فكنت يوم أحد ألتمسه فيينا أنا فى طلبه طلع على فطلع رجل حذر مرس (٢) كثير الالتفات فقلت ما هذا بصاحبى الذى ألتمس إذ رأيت حمزه يفرى الناس فريا فكمنت له إلى صخره و هو مكبس له كتيب (٣) فاعترض له سباع بن أم نيار و كانت أمه ختانه بمكه مولاه لشريف بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفى و كان سباع يكنى أبا نيار فقال له حمزه و أنت أيضا يا ابن مقطعه البظور ممن يكثر علينا هلم إلى فاحتمله حتى إذا برقت قدماه رمى به فبرك عليه فشحطه شحط الشاه ثم أقبل على مكبا حين رآنى فلما

ص: ١١

١- ١) كذا فى ا، و هو الوجه، و فى ب «أو» تحريف.

٢- ٢) المرس: الذى قد مارس الأمور و عالجهما.

٣- ٣) الكتيب: صوت فى صدر الرجل كصوت البكر من شدة الغيظ.

بلغ المسيل وطئ على جرف فزلت قدمه فهزرت حربتي حتى رضيت منها فأضرب بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته وكر عليه طائفه من أصحابه فأسمعهم يقولون أبا عماره فلا يجيب فقلت قد والله مات الرجل و ذكرت هنداً و ما لقيت على أبيها و عمها و أخيها و انكشف عنه أصحابه حين أيقنوا بموته و لا يروني فأكر عليه فشقت بطنه فاستخرجت كبده فجئت بها إلى هند بنت عتبته فقلت ما ذال لي إن قتلت قاتل أبيك قالت سلني فقلت هذه كبد حمزه فمضغتها ثم لفظتها فلا أدري لم تسغها أو قدرتها فنزعت ثيابها و حليها فأعطتني ثم قالت إذا جئت مكة فلك عشرة دنائير ثم قالت أرني مصرعه فأريتها مصرعه فقطعت مذاكيره و جدعت أنفه و قطعت أذنيه ثم جعلت ذلك مسكتين (١) و معصدين و خدمتين حتى قدمت بذلك مكة و قدمت بكبده أيضاً معها

قال الواقدي و حدثني عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون عن الزهري عن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال غزونا الشام في زمن عثمان بن عفان فمررنا بحمص (٢) بعد العصر فقلنا وحشي فليل لا تقدرن عليه هو الآن يشرب الخمر حتى يصبح فبتنا من أجله و إننا لثمانون رجلاً فلما صلبنا الصبح جئنا إلى منزله فإذا شيخ كبير قد طرح له زريبه (٣) قدر مجلسه فقلنا له أخبرنا عن قتل حمزه و عن قتل مسيلمه فكره ذلك و أعرض عنه فقلنا ما بتنا هذه الليله إلا من أجلك فقال إني كنت عبداً لجبير بن مطعم بن عدى فلما خرج الناس إلى أحد دعاني فقال قد رأيت مقتل طعيمه بن عدى قتله حمزه بن عبد المطلب يوم بدر فلم تزل نساؤنا في حزن

ص: ١٢

١- (١) المسكه، بالتحريك: الأوره. و المعصده: الدمليج، و الخدمه، بالتحريك: الخلخال.

٢- (٢) حمص: مدينه معروفه في بلاد الشام.

٣- (٣) الزريبه: النمرقه؛ أو البساط الذي يتكأ عليه؛ واحده زريب، و الجماعه زرابي.

شديد إلى يومى هذا فإن قتلت حمزه فأنت حر فخرجت مع الناس و لى مزاريق (١) كنت أمر بهند بنت عتبه فتقول إيه أبا دسمه اشف و اشتف فلما وردنا أحدا نظرت إلى حمزه يقدم الناس يهدهم هدا فرآنى و قد كمنت له تحت شجره فأقبل نحوى و تعرض له سباع الخزاعى فأقبل إليه و قال و أنت أيضا يا ابن مقطعه البظور ممن يكثر علينا هلم إلى و أقبل نحوه حتى رأيت برقان رجله ثم ضرب به الأرض و قتله و أقبل نحوى سريعا فيعرض له جرف فيقع فيه و أزرقه بمزراق فيقع فى لفته حتى خرج من بين رجله فقتله و مررت بهند بنت عتبه فأذنتها فأعطتني ثيابها و حليها و كان فى ساقها خدمتان من جزع ظفار (٢) و مسكتان من ورق و خواتيم من ورق كن فى أصابع رجلها فأعطتني بكل ذلك و أما مسيلمه فإننا دخلنا حديقته الموت يوم اليمامة فلما رأته زرقتة بالمزراق و ضربه رجل من الأنصار بالسيف فربك أعلم أينا قتله إلا أنى سمعت امرأه تصيح فوق جدار قتله العبد الحبشى قال عبيد الله فقلت أ تعرفنى فأكر بصره على و قال ابن عدى لعاتكه بنت العيص قلت نعم قال أما و الله ما لى بك عهد بعد أن دفعتك إلى أمك فى محفتك التى كانت ترضعك فيها و نظرت إلى برقان قدميك حتى كأنه الآن.

و روى محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى قال علت هند يومئذ صخره مشرفه و صرخت بأعلى صوتها نحن جزيناكم بيوم بدر

ص: ١٣

١-١) المزاريق. جمع مزراق؛ و هو الرمح القصير.

٢-٢) ظفار كقطام: بلد باليمن ينسب إليه الجزع.

حتى ترم أعظمى فى قبرى (١).

قال فأجابتها هند بنت أئاثه بن المطلب بن عبد مناف خزيت فى بدر و غير بدر

قال محمد بن إسحاق و من الشعر الذى ارتجزت به هند بنت عتبه يوم أحد شفيت من حمزه نفسى بأحد قال محمد بن إسحاق حدثنى صالح بن كيسان قال حدثت أن عمر بن الخطاب قال لحسان يا أبا الفريعه لو سمعت ما تقول هند و لو رأيت شرها قائمه على صخره ترتجز بنا و تذكر ما صنعت بحمزه فقال حسان و الله إنى لأنظر إلى الحربه تهوى و أنا على فارغ يعنى أطمه فقلت و الله إن هذه لسلح ليس بسلاح العرب و إذا بها تهوى إلى حمزه و لا أدرى [و لكن]

(٢) أسمعنى بعض قولها أكفيكموها فأنشده عمر بعض ما قالت فقال حسان يهجوها أشرت لكاع و كان عاداتها لؤما إذا أشرت مع الكفر (٣)

ص: ١٤

١-١) ترم أعظمى: تبلى.

٢-٢) فى ابن هشام: «يا بنت وقاع».

٣-٣) سيره ابن هشام ٤٣:٣.

أخرجت مرقصه إلى أحد

و قال أيضا يهجوها لمن سواقط ولدان مطرحه

في أبيات كرهت ذكرها لفحشها.

٤٠٦٤

١٤,١- قال و روى الواقدي عن صفية بنت عبد المطلب قالت كنا قد رفعنا (١) يوم أحد في الآطام و معنا حسان بن ثابت و كان من أجبين الناس و نحن في فارغ فجاء نفر من يهود يرومون الأطم فقلت دونك يا ابن الفريعه فقال لا و الله لا أستطيع القتال و يصعد يهودى إلى الأطم فقلت شد على يدي السيف ثم برئت ففعل فضربت

ص: ١٥

١-١) مرقصه، أى مرقصه بكرها، و رقص البعير أسرع فى سيره. و فى الديوان: «معنقه».

عنق اليهودى و رميت برأسه إليهم فلما رأوه انكشفوا قالت و إنى لفى فارغ أول النهار مشرفه على الأطم فرأيت المزراق فقلت أ
و من سلاحهم المزاريق أ فلا أراه هوى إلى أخى و لا أشعر ثم خرجت آخر النهار حتى جئت رسول الله ص و قد كنت أعرف
انكشاف المسلمين و أنا على الأطم يرجوع حسان إلى أقصى الأطم فلما رأى الدوله للمسلمين أقبل حتى وقف على جدار الأطم
قال فلما انتهيت إلى رسول الله ص و معى نسوه من الأنصار لقيته و أصحابه أوزاع فأول من لقيت على ابن أخى فقال ارجعى يا
عمه فإن فى الناس تكشفا فقلت رسول الله ص قال صالح قلت ادلنى عليه حتى أراه فأشار إليه إشاره خفيه فانتهيت إليه و به
الجراحه .

٤٠٤٥

١٤,١- قال الواقدى و كان رسول الله ص يقول يوم أحد ما فعل عمى ما فعل عمى فخرج الحارث بن الصممه يطلبه فأبطأ فخرج
على ع يطلبه فيقول يا رب إن الحارث بن الصممه حتى انتهى إلى الحارث و وجد حمزه مقتولا فجاء فأخبر النبى ص فأقبل يمشى
حتى وقف عليه فقال ما وقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا الموقف.

فطلعت صفيه فقال يا زبير أغن عنى أمك و حمزه يحفر له فقال الزبير يا أمه إن فى الناس تكشفا فارجعى فقالت ما أنا بفاعله
حتى أرى رسول الله ص فلما رآته قالت يا رسول الله أين ابن أمى حمزه فقال هو فى الناس قالت لا أرجع حتى أنظر إليه قال
الزبير فجعلت أطدها إلى الأرض حتى دفن و قال رسول الله

ص: ١٤

ص لولا أن تحزن نساؤنا لذلك لتركناه للعافيه يعنى السباع و الطير حتى يحشر يوم القيامة من بطونها و حواصلها

٤٠٦٦

١٤،١٥- قال الواقدي و روى أن صفيه لما جاءت حالت الأنصار بينها و بين رسول الله ص فقال دعوها فجلست عنده فجعلت إذا بكت يبكي رسول الله ص و إذا نشجت (١) ينشج رسول الله ص و جعلت فاطمه ع تبكي فلما بكت بكى رسول الله ص ثم قال لن أصاب بمثل حمزه أبدا ثم قال ص لصفيه و فاطمه أبشرا أتاني جبرائيل ع فأخبرني أن حمزه مكتوب في أهل السموات السبع حمزه بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله

٤٠٦٧

١٤- قال الواقدي و رأى رسول الله ص بحمزه مثلا شديدا فحزنه ذلك و قال إن ظفرت بقريش لأمثلن (٢) بثلاثين منهم فأنزل الله عليه و إِنَّ عَاقِبَتَكُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (٣) فقال ص بل نصبر فلم يمثل بأحد من قريش .

٤٠٦٨

١٤- قال الواقدي و قام أبو قتاده الأنصاري فجعل ينال من قريش لما رأى من غم رسول الله ص و فى كل ذلك يشير إليه أن اجلس ثلاثا فقال رسول الله ص يا أبا قتاده إن قريشا أهل أمانه من بغاهم العواثر كبه الله لفيه و عسى إن طالت بك مده أن تحقر عملك مع أعمالهم و فعالك مع فعالهم

ص: ١٧

١-١) يقال: نشج الباكي، غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب.

٢-٢) يقال: مثل بفلان مثلا و مثله بالضم: نكل به.

٣-٣) سورة النحل: ١٢٦.

لولا- أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله تعالى فقال أبو قتاده و الله يا رسول الله ما غضبت إلا لله و رسوله حين نالوا منه ما نالوا فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم

٤٠٦٩

١٤- قال الواقدي و كان عبد الله بن جحش قبل أن تقع الحرب قال يا رسول الله إن هؤلاء القوم قد نزلوا بحيث ترى فقد سألت الله فقلت اللهم أقسم عليك أن نلقى العدو غدا فيقتلونى و يبقروا بطنى و يمثلوا بى فتقول لى فيم صنع بك هذا فأقول فيك قال و أنا أسألك يا رسول الله أخرى أن تلى تركتى من بعدى فقال له نعم فخرج عبد الله فقتل و مثل به كل المثل و دفن هو و حمزه فى قبر واحد و ولى تركته رسول الله ص فاشترى لأمه مالا بخبير

٤٠٧٠

١٤- قال الواقدي و أقبلت أخته حمته بنت جحش فقال لها رسول الله ص يا حمن (١) احتسبى قالت من يا رسول الله قال خالك حمزه قالت إنا لله و إنا إليه راجعون (٢) غفر الله له و رحمه و هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال أخوك عبد الله قالت إنا لله و إنا إليه راجعون غفر الله له و رحمه و هنيئا له الشهادة ثم قال احتسبى قالت من يا رسول الله قال بعلك مصعب بن عمير فقالت و حزناه و يقال إنها قالت و اعقراه .

قال محمد بن إسحاق فى كتابه فصرخت و ولولت

٤٠٧١

قال الواقدي فقال رسول الله ص إن للزوج من المرأة مكانا ما هو لأحد.

و هكذا روى ابن إسحاق أيضا.

٤٠٧٢

١٤- قال الواقدي ثم قال لها رسول الله ص لم قلت هذا قالت ذكرت يتم بنيه فراغنى فدعا رسول الله ص لولده أن يحسن الله عليهم الخلف

ص: ١٨

فتزوجت طلحة بن عبيد الله فولدت منه محمد بن طلحة فكان أوصل الناس لولد مصعب بن عمير

القول فيمن ثبت مع رسول الله ص يوم أحد

٤٠٧٣

١٤- قال الواقدي حدثني موسى بن يعقوب عن عمته عن أمها عن المقداد قال لما تصاف القوم للقتال يوم أحد جلس رسول الله ص تحت رايه مصعب بن عمير فلما قتل أصحاب اللواء و هزم المشركون الهزيمة الأولى و أغار المسلمون على معسكرهم ينهبونه ثم كر المشركون على المسلمين فأتوهم من خلفهم فتفرق الناس و نادى رسول الله ص فى أصحاب الألويه فقتل مصعب بن عمير حامل لوائه ص و أخذ رايه الخزرج سعد بن عباده فقام رسول الله ص تحتها و أصحابه محذقون به و دفع لواء المهاجرين إلى أبى الردم أحد بنى عبد الدار آخر نهار ذلك اليوم و نظرت إلى لواء الأوس مع أسيد بن حضير فناوشوا المشركين ساعه و اقتتلوا على اختلاط من الصفوف و نادى المشركون بشعارهم يا للعزى يا لهبل فأوجعوا و الله فينا قتلا ذريعا و نالوا من رسول الله ص ما نالوا لا و الذى بعثه بالحق ما زال شبرا واحدا إنه لفى وجه العدو و تثوب إليه طائفه من أصحابه مره و تفرق عنه مره فربما رأيته قائما يرمى عن قوسه أو يرمى بالحجر حتى تحاجزوا و كانت العصابه التى ثبتت مع رسول الله ص أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين و سبعة من الأنصار أما المهاجرون فعلى ع و أبو بكر و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبى وقاص و طلحة بن عبيد الله و أبو عبيده بن الجراح و الزبير بن العوام

ص: ١٩

و أما الأنصار فالحباب بن المنذر و أبو دجانة (١) و عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح و الحارث بن الصمه و سهل بن حنيف و سعد بن معاذ و أسيد بن حضير .

قال الواقدي و قد روى أن سعد بن عباد و محمد بن مسلمة ثبتا يومئذ و لم يفرا و من روى ذلك جعلهما مكان سعد بن معاذ و أسيد بن حضير .

٤٠٧٤

١٤١- قال الواقدي و بايعه يومئذ على الموت ثمانية ثلاثه من المهاجرين و خمسة من الأنصار فأما المهاجرون فعلى ع و طلحة و الزبير و أما الأنصار فأبو دجانة و الحارث بن الصمه و الحباب بن المنذر و عاصم بن ثابت و سهل بن حنيف و لم يقتل منهم ذلك اليوم أحد و أما باقى المسلمين ففروا و رسول الله ص يدعوهم فى أخراهم حتى انتهى منهم إلى قريب من المهراس

(٢)

٤٠٧٥

قال الواقدي و حدثنى عنه بن جبير عن يعقوب بن عمير بن قتاده قال ثبت يومئذ بين يديه ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهى دون وجهك و نفسى دون نفسك و عليك السلام غير مودع.

قلت قد اختلف فى عمر بن الخطاب هل ثبت يومئذ أم لا مع اتفاق الرواه كافة على أن عثمان لم يثبت فالواقدي ذكر أنه لم يثبت و أما محمد بن إسحاق و البلاذرى فجعلاه مع من ثبت و لم يفروا و اتفقوا كلهم على أن ضرار بن الخطاب الفهرى قرع رأسه بالرمح و قال إنها نعمه مشكوره يا ابن الخطاب إنى آليت ألا أقتل رجلا من قريش .

و روى ذلك محمد بن إسحاق و غيره و لم يختلفوا فى ذلك و إنما اختلفوا هل قرعه بالرمح و هو فار هارب أم مقدم ثابت و الذين رووا أنه قرعه بالرمح و هو هارب لم يقل

ص: ٢٠

١- (١) أبو دجانة؛ هو سماك بن خرشه.

٢- (٢) المهراس: ماء بأحد.

أحد منهم إنه هرب حين هرب عثمان و لا إلى الجبهه التي فر إليها عثمان و إنما هرب معتصما بالجبل و هذا ليس بعيب و لا ذنب لأن الذين ثبتوا مع رسول الله ص اعتصموا بالجبل كلهم و أصدوا فيه و لكن يبقى الفرق بين من أصد في الجبل في آخر الأمر و من أصد فيه و الحرب لم تضع أوزارها فإن كان عمر أصد فيه آخر الأمر فكل المسلمين هكذا صنعوا حتى رسول الله ص و إن كان ذلك و الحرب قائمه بعد تفرق.

و لم يختلف الرواه من أهل الحديث في أن أبا بكر لم يفر يومئذ و أنه ثبت فيمن ثبت و إن لم يكن نقل عنه قتل أو قتال و الثبوت جهاد و فيه وحده كفايه.

و أما رواه الشيعة فإنهم يروون أنه لم يثبت إلا على و طلحه و الزبير و أبو دجانة و سهل بن حنيف و عاصم بن ثابت و منهم من روى أنه ثبت معه أربعة عشر رجلا من المهاجرين و الأنصار و لا يعدون أبا بكر و عمر منهم

٤٠٧٦

١٤- روى كثير من أصحاب الحديث أن عثمان جاء بعد ثلثه إلى رسول الله ص فسأله إلى أين انتهيت فقال إلى الأعرض فقال لقد ذهبت فيها عريضه

(١)

٤٠٧٧

١٤- روى الواقدي قال كان بين عثمان أيام خلافته و بين عبد الرحمن بن عوف كلام فأرسل عبد الرحمن إلى الوليد بن عقبة فدعاه فقال اذهب إلى أخيك فأبلغه عنى ما أقول لك فإنى لا أعلم أحدا يبلغه غيرك قال الوليد أفعل قال قل له يقول لك عبد الرحمن شهدت بدرا و لم تشهدها و ثبت يوم أحد و وليت و شهدت بيعه الرضوان و لم تشهدها فلما أخبره قال عثمان صدق أخى تخلفت عن بدر على ابنه رسول الله ص و هى مريضه فضرب لى رسول الله ص بسهمى و أجرى فكنت بمنزله من

ص: ٢١

١- ١) فى النهايه لابن الأثير: «و فى حديث أحد قال للمنهمين: لقد ذهبت فيها عريضه، أى واسعه».

حضر بدرا و وليت يوم أحد فعفا الله عنى فى محكم كتابه و أما بيعه الرضوان فإنى خرجت إلى أهل مكه بعثنى رسول الله ص و قال إن عثمان فى طاعه الله و طاعه رسوله و بايع عنى بإحدى يديه على الأخرى فكان شمال النبى خيرا من يمينى فلما جاء الوليد إلى عبد الرحمن بما قال قال صدق أخى .

قال الواقدى و نظر عمر إلى عثمان بن عفان فقال هذا ممن عفا الله عنه و هم الذين تولوا يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ و الله ما عفا الله عن شىء فرده قال و سأل رجل عبد الله بن عمر عن عثمان فقال أذنب يوم أحد ذنبا عظيما فعفا الله عنه و أذنب فيكم ذنبا صغيرا فقتلتموه و احتج من روى أن عمر فر يوم أحد بما روى أنه جاءته فى أيام خلافته امرأه تطلب بردا من برود كانت بين يديه و جاءت معها بنت لعمر تطلب بردا أيضا فأعطى المرأه و رد ابنته فقيل له فى ذلك فقال إن أبا هذه ثبت يوم أحد و أبا هذه فر يوم أحد و لم يثبت.

و روى الواقدى أن عمر كان يحدث فيقول لما صاح الشيطان قتل محمد قلت أرقى فى الجبل كأنى أرويه و جعل بعضهم هذا حجه فى إثبات فرار عمر و عندى أنه ليس بحجه لأن

٤٠٧٨

تمام الخبر فانتبهت إلى رسول الله ص و هو يقول وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ (١) الآية و أبو سفيان فى سفح الجبل فى كتيبته يرومون أن يعلوا الجبل فقال رسول الله ص اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا فانكشفوا.

و هذا يدل على أن رقيه فى الجبل قد كان بعد إصعاد رسول الله ص فيه و هذا بأن يكون منقبه له أشبه.

و روى الواقدى قال حدثنى ابن أبى سبره عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى جهم اسم أبى جهم عبيد قال كان خالد بن الوليد يحدث و هو بالشام فيقول الحمد لله

ص: ٢٢

الذى هدانى للإسلام لقد رأيتنى و رأيت عمر بن الخطاب حين جال المسلمون و انهزموا يوم أحد و ما معه أحد و إنى لفى كتيبه خشناء (١) فما عرفه منهم أحد غيرى و خشيت إن أغريت به من معى أن يصمدوا له فنظرت إليه و هو متوجه إلى الشعب قلت يجوز أن يكون هذا حقا و لا خلاف أنه توجه إلى الشعب تاركا للحرب لكن يجوز أن يكون ذلك فى آخر الأمر لما يئس المسلمون من النصره فكلهم توجه نحو الشعب حينئذ و أيضا فإن خالدا متهم فى حق عمر بن الخطاب لما كان بينه و بينه من الشحناء و الشنئان فليس بمنكر من خالد أن ينعى عليه حركاته و يؤكد صحه هذا الخبر و كون خالد عفا عن قتل عمر يومئذ ما هو معلوم من حال النسب بينهما من قبل الأم فإن أم عمر حنتمه بنت هاشم بن المغيره و خالد هو ابن الوليد بن المغيره فأمر عمر ابنه عم خالد لحا و الرحم تعطف.

حضرت عند محمد بن معد العلوى الموسوى الفقيه على رأى الشيعة الإماميه رحمه الله فى داره بدرى الدواب ببغداد فى سنه ثمان و ستمائه و قارئ يقرأ عنده

٤٠٧٩

مغازى الواقدى فقرا حدثنا الواقدى قال حدثنى ابن أبى سبره عن خالد بن رباح عن أبى سفیان مولى ابن أبى أحمد قال سمعت محمد بن مسلمه يقول سمعت أذنأى و أبصرت عينأى رسول الله ص يقول يوم أحد و قد انكشف الناس إلى الجبل و هو يدعوهم و هم لا يلوون عليه سمعته يقول إلى يا فلان إلى يا فلان أنا رسول الله فما عرج عليه واحد منهما و مضيا.

فأشار ابن معد إلى أن اسمع فقلت و ما فى هذا قال هذه كناية عنهما فقلت و يجوز ألا يكون عنهما لعله عن غيرهما قال ليس فى الصحابه من

ص: ٢٣

١-١) كتيبه خشناء: كثيره السلاح.

يحتشم و يستحيا من ذكره بالفرار و ما شابهه من العيب فيضطر القائل إلى الكنايه إلا هما قلت له هذا وهم (١) فقال دعنا من جدلك و منعك ثم حلف أنه ما عنى الواقدي غيرهما و أنه لو كان غيرهما لذكره صريحا و بان في وجهه التنكر من مخالفتي له.

٤٠٨٠

١٤- روى الواقدي قال لما صاح إبليس أن محمدا قد قتل تفرق الناس فمنهم من ورد المدينة فكان أول من وردها يخبر أن محمدا قد قتل سعد بن عثمان أبو عباده ثم ورد بعده رجال حتى دخلوا على نساءهم حتى جعل النساء يقلن أ عن رسول الله تفرون و يقول لهم ابن أم مكتوم أ عن رسول الله تفرون يؤنب بهم و قد كان رسول الله ص خلفه بالمدينة يصلى بالناس ثم قال دلوني على الطريق يعنى طريق أحد فدلوه فجعل يستخبر كل من لقي في الطريق حتى لحق القوم فعلم بسلامه النبي ص ثم رجع و كان ممن ولى عمر و عثمان و الحارث بن حاطب و ثعلبه بن حاطب و سواد بن غزبه و سعد بن عثمان و عقبه بن عثمان و خارجه بن عمر بلغ ملل (٢) و أوس بن قيطى فى نفر من بنى حارثه بلغوا الشقره (٣) و لقيتهم أم أيمن تحشى (٤) فى وجوههم التراب و تقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به و هلم .

و احتج من قال بفرار عمر بما

٤٠٨١

١٤- رواه الواقدي فى كتاب المغازى فى قصه الحديدية قال قال عمر يومئذ يا رسول الله أ لم تكن حدثتنا أنك ستدخل المسجد الحرام و تأخذ مفتاح الكعبة و تعرف مع المعرفين و هدينا لم يصل إلى البيت و لا- نحر فقال رسول الله ص أ قلت لكم فى سفركم هذا قال عمر لا قال أما إنكم ستدخلونه و آخذ مفتاح الكعبة و أحلق رأسى و رءوسكم بيطن مكة و أعرف مع المعرفين ثم أقبل على عمر و قال أنسيتم يوم

ص: ٢٤

١- ١) كذا فى ب: و الذى فى ا «ممنوع».

٢- ٢) ملل؛ كجبل: موضع بعينه.

٣- ٣) الشقره: موضع معروف لبني سليم.

٤- ٤) يقال: حثا التراب فى وجهه يحثوه و يحثيه، إذا رماه به.

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ (١) و أنا أدعوكم فى أخراكم أنسىتم يوم الأحزاب إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ (٢) أنسىتم يوم كذا و جعل يذكرهم أمورا أنسىتم يوم كذا فقال المسلمون صدق الله و صدق رسوله أنت يا رسول الله أعلم بالله منا فلما دخل عام القضييه و حلق رأسه قال هذا الذى كنت وعدتكم به فلما كان يوم الفتح و أخذ مفتاح الكعبه قال ادعوا إلى عمر بن الخطاب فجاء فقال هذا الذى كنت قلت لكم قالوا فلو لم يكن فر يوم أحد لما قال له أنسىتم يوم أحد إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ

القول فيما جرى للمسلمين بعد إصعادهم فى الجبل

٤٠٨٢

١٤- قال الواقدى حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال لما صاح الشيطان لعنه الله أن محمدا قد قتل يحزنهم بذلك تفرقوا فى كل وجه و جعل الناس يمرون على النبى ص لا يلوى عليه أحد منهم و رسول الله يدعوهم فى أخراهم حتى انتهت هزيمه قوم منهم إلى المهراس فتوجه رسول الله ص يريد أصحابه فى الشعب فأنتهى إلى الشعب و أصحابه فى الجبل أوزاع يذكرون مقتل من قتل منهم و يذكرون ما جاءهم عن رسول الله ص قال كعب بن مالك فكنت أول من عرفه و عليه المغفر فجعلت أصيح و أنا فى الشعب هذا رسول الله ص حى فجعل يومئى إلى بيده على فيه أى اسكت ثم دعا بلامتى (٣) فلبسها و نزع لامته.

قال الواقدى طلع رسول الله ص على أصحابه فى الشعب بين السعدين

ص: ٢٥

١- (١) سورة آل عمران ١٥٣.

٢- (٢) سورة الأحزاب: ١٠.

٣- (٣) اللأمة: الدرع.

سعد بن عباد و سعد بن معاذ يتكفأ في الدرع و كان إذا مشى تكفأ تكفؤا و يقال إنه كان يتوكأ على طلحه بن عبيد الله .

قال الواقدي و ما صلى يومئذ الظهر إلا جالسا للجرح الذي كان أصابه.

قال الواقدي و قد كان طلحه قال له إن بى قوه فقم لأحملك فحمله حتى انتهى إلى الصخره التى على فم شعب الجبل فلم يزل يحمله حتى رفعه عليها ثم مضى إلى أصحابه و معه النفر الذين ثبتوا معه فلما نظر المسلمون إليهم ظنوهم قريشا فجعلوا يولون فى الشعب هاربين منهم ثم جعل أبو دجانة يليح إليهم بعمامة حمراء على رأسه فعرفوه فرجعوا أو بعضهم

٤٠٨٣

١٤- قال الواقدي روى أنه لما طلع عليهم فى النفر الذين ثبتوا معه و هم أربعة عشر سبعة من المهاجرين و سبعة من الأنصار جعلوا يولون فى الجبل خائفين منهم يظنونهم المشركين جعل رسول الله ص يتبسم إلى أبى بكر و هو على جنبه و يقول له ألح إليهم فجعل أبو بكر يليح إليهم و هم لا- يعرجون حتى نزع أبو دجانة عصاه حمراء على رأسه فأوفى (١) على الجبل فجعل يصيح و يليح فوقفوا حتى عرفوهم و لقد وضع أبو بردة بن نيار سهما على كبد قوسه فأراد أن يرمى به رسول الله ص و أصحابه فلما تكلموا و ناداهم رسول الله ص أمسك و فرح المسلمون برؤيته حتى كأنهم لم تصبهم فى أنفسهم مصيبه و سروا لسلامته و سلامتهم من المشركين .

٤٠٨٤

١٤- قال الواقدي ثم إن قوما من قريش صعدوا الجبل فعلوا على المسلمين و هم فى الشعب قال فكان رافع بن خديج يحدث فيقول إنى يومئذ إلى جنب أبى مسعود الأنصارى و هو يذكر من قتل من قومه و يسأل عنهم فيخبر برجال منهم سعد بن

ص: ٢٦

(١- ١) أوفى: أشرف و علا.

الربيع و خارجه بن زهير و هو يسترجع (١) و يترحم عليهم و بعض المسلمين يسأل بعضا عن حميمه و ذى رحمه فيهم يخبر بعضهم بعضا فيينا هم على ذلك رد الله المشركين ليذهب ذلك الحزن عنهم فإذا عدوهم فوقهم قد علوا و إذا كتائب المشركين بالجبل فنسوا ما كانوا يذكرون و ندبنا رسول الله ص و حضنا على القتال و الله لكأنى أنظر إلى فلان و فلان فى عرض الجبل يعدوان هاربين قال الواقدى فكان عمرؓ يحدث يقول لما صاح الشيطان قتل محمد أقبلت أرقى إلى الجبل فكأنى أرويه فانتهيت إلى النبى ص و هو يقول وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الْآيَه و أبو سفيان فى سفح الجبل فقال رسول الله ص يدعو ربه اللهم ليس لهم أن يعلوا فانكشفوا .

قال الواقدى فكان أبو أسيد الساعدى يحدث فيقول لقد رأيتنا قبل أن يلقى النعاس علينا فى الشعب و إنا لسلم لمن أرادنا لما بنا من الحزن فألقى علينا النعاس فمننا حتى تناطح الحجف (٢) ثم فرعنا و كانا لم يصبنا قبل ذلك نكبه قال و قال الزبير بن العوام غشينا النعاس فما منا رجل إلا و ذقنه فى صدره من النوم فأسمع معتب بن قشير و كان من المنافقين يقول و إنى لكالحالم لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا هاهنا (٣) فأنزل الله تعالى فيه ذلك.

٤٠٨٥

قال و قال أبو اليسر لقد رأيتنى ذلك اليوم فى رجال من قومى إلى جنب رسول الله ص و قد أنزل الله علينا النعاس آمنه منه ما منهم رجل إلا يغط غطيطا حتى إن الحجف لتناطح و لقد رأيت سيف بن البراء بن معرور سقط من يده

ص: ٢٧

١-١) استرجع: قال: إنا لله و إنا إليه راجعون.

٢-٢) الحجف بالتحريك: جمع حجفه؛ و هى الترس.

٣-٣) سورة آل عمران: ١٥٤.

و ما يشعر به حتى أخذه بعد ما تثلم و إن المشركين لتحتنا و سقط سيف أبي طلحه أيضا و لم يصب أهل الشك و النفاق نعاس يومئذ و إنما أصاب النعاس أهل الإيمان و اليقين فكان المنافقون يتكلم كل منهم بما فى نفسه و المؤمنون ناعسون.

قلت سألت ابن النجار المحدث عن هذا الموضوع فقلت له من قصة أحد تدل على أن المسلمين كانت الدوله لهم بادئ الحال ثم صارت عليهم و صاح الشيطان قتل محمد فانهزم أكثرهم ثم تاب أكثر المنهزمين إلى النبی ص فحاربوا دونه حربا كثيره طالت مدتها حتى صار آخر النهار ثم أصدعوا فى الجبل معتصمين به و أصدع رسول الله ص معهم فتحاجز الفريقان حيثئذ و هذا هو الذى يدل عليه تأمل قصه أحد إلا أن بعض الروايات التى ذكرها الواقدي يقتضى غير ذلك نحو روايته فى هذا الباب

٤٠٨٦

١٤- أن رسول الله ص لما صاح الشيطان إن محمدا قد قتل كان ينادى المسلمين فلا يعرجون عليه و إنما يصعدون فى الجبل و إنه وجه نحو الجبل فانتهى إليهم و هم أوزاع يتذاكرون بقتل من قتل منهم .

و هذه الروايه تدل على أنه أصدع ص فى الجبل من أول الحرب حيث صاح الشيطان و صياح الشيطان كان حال كون خالد بن الوليد بالجبل من وراء المسلمين لما غشيهم و هم مشغولون بالنهب و اختلط الناس فكيف هذا فقال إن الشيطان صاح قتل محمد دفعتين دفعه فى أول الحرب و دفعه فى آخر الحرب لما تصرم النهار و غشيت الكتائب رسول الله ص و قد قتل ناصروه و أكلتهم الحرب فلم يبق معه إلا نفر يسير لا يبلغون عشره و هذه كانت أصعب و أشد من الأولى و فيها اعتصم و ما اعتصم فى صرخه الشيطان الأولى بالجبل بل ثبت و حامى عنه أصحابه و لقد لقي فى الأولى مشقه عظيمه من ابن قميئه و عتبه بن أبى وقاص و غيرهما

ص: ٢٨

و لكنه لم يفارق عرصه الحرب و إنما فارقها و علم أنه لم يبق له وجه مقام فى صرخته الثانىة.

قلت له فكان القوم مختلطين فى الصرخه الثانىة حتى يصرخ الشيطان قتل محمد قال نعم المشركون قد أحاطوا بالنبى ص و بمن بقى معه من أصحابه فاختلط المسلمون بهم و صاروا مغمورين بينهم لقتلهم بالنسبه إليهم و ظن قوم من المشركين أنهم قد قتلوا النبى ص لأنهم فقدوا وجهه و صورته فنادى الشيطان قتل محمد و لم يكن قتل ص و لكن اشبهت صورته عليهم و ظنوه غيره و أكثر من حامى عنه فى تلك الحال على ع و أبو دجانة و سهل بن حنيف و حامى هو عن نفسه و جرح قوما بيده تاره بالسهام و تاره بالسيف و لكن لم يعلموا بأعيانهم لاختلاط القوم و ثوران النقع (1) و كانت قريش تظنه واحدا من المسلمين و لو عرفوه بعينه فى تلك الثوره لكان الأمر صعبا جدا و لكن الله تعالى عصمه منهم بأن أزاغ أبصارهم عنه فلم يزل هؤلاء الثلاثه يجالدون دونه و هو يقرب من الجبل حتى صار فى أعلى الجبل أصعد من فم الشعب إلى تدريج هناك فى الجبل و رقى فى ذلك التدريج صاعدا حتى صار فى أعلى الجبل و تبعه نفر الثلاثه فلحقوا به.

قلت له فما بال القوم الذين صعدوا الجبل من المشركين و كيف كان إصعادهم و عودهم.

قال أصعدوا لحرب المسلمين لا لطلب رسول الله ص لأنهم ظنوا أنه قد قتل و هذا هو كان السبب فى عودهم من الجبل لأنهم قالوا قد بلغنا الغرض

ص: ٢٩

١-١) النقع: غبار الحرب.

الأصلى و قتلنا محمدا فما لنا و التصميم على الأوس و الخزرج و غيرهم من أصحابه مع ما فى ذلك من عظم الخطر بالأنفس قلت له فإذا كان هذا قد خطر لهم فلما ذا صعدوا فى الجبل.

قال يخطر لك خاطر و يدعوك داع إلى بعض الحركات فإذا شرعت فيها خطر لك خاطر آخر يصرفك عنها فترجع و لا تتمها قلت نعم فما بالهم لم يقصدوا قصد المدينة و ينهبوها.

قال كان فيها عبد الله بن أبى فى ثلاثمائة مقاتل و فيها خلق كثير من الأوس و الخزرج لم يحضروا الحرب و هم مسلمون و طوائف آخر من المنافقين لم يخرجوا و طوائف أخرى من اليهود أولو بأس و قوه و لهم بالمدينة عيال و أهل و نساء و كل هؤلاء كانوا يحامون عن المدينة و لم تكن قريش تأمن مع ذلك أن يأتيها رسول الله ص من ورائها بمن يجامعه من أصحابه فيحصلوا بين الأعداء من خلفهم و من أمامهم فكان الرأى الأصوب لهم العدول عن المدينة و ترك قصدتها.

قال الواقدى حدثنى الضحاك بن عثمان عن حمزه بن سعيد قال لما تجاوزوا و أراد أبو سفيان الانصراف أقبل يسير على فرس له حوراء (١) فوقف على أصحاب النبى ص و هم فى عرض الجبل فنادى بأعلى صوته أعل هبل ثم صاح أين ابن أبى كبشه يوم بيوم بدر ألا إن الأيام دول.

٤٠٨٧

١٤- و فى روايه أنه نادى أبا بكر و عمر أيضا فقال أين ابن أبى قحافه أين ابن الخطاب ثم قال الحرب سجال حنظله بحنظله يعنى حنظله بن أبى عامر بحنظله بن

ص: ٣٠

(١-١) حوراء: واسعه العينين.

١٤- و يروى أن رسول الله ص قال لعمر قل له الله أعلى و أجل فقال أبو سفيان إن لنا العزى و لا- عزى لكم فقال عمر أو قال رسول الله ص قل له الله مولانا و لا مولى لكم فقال أبو سفيان إنها قد أنعمت فقال عنها يا ابن الخطاب فقال سعيد بن أبي سفيان ألا- إن الأيام دول و إن الحرب سجال فقال عمر و لا سواء (١) قتلنا في الجنه و قتلاكم في النار فقال أبو سفيان إنكم لتقولون ذلك لقد جبننا إذا و خسرنا ثم قال يا ابن الخطاب قم إلى أكلمك فقام إليه فقال أنشدك بدينك هل قتلنا محمدا قال اللهم لا و إنه ليسمع كلامك الآن قال أنت عندى أصدق من ابن قميئه ثم صاح أبو سفيان و رفع صوته إنكم واجدون فى قتلاكم عنتا و مثلا إلا أن ذلك لم يكن عن رأى سراتنا ثم أدركته حميه الجاهليه فقال و أما إذ كان ذلك فلم نكرهه ثم نادى ألا إن موعدكم بدر الصفراء على رأس الحول فوقف عمر وقفه ينتظر ما يقول رسول الله ص فقال له قل نعم فانصرف أبو سفيان إلى أصحابه و أخذوا فى الرحيل فأشفق رسول الله ص و المسلمون من أن يغيروا على المدينة فيهلك الذرارى و النساء فقال رسول الله ص لسعد بن أبى وقاص اذهب فأتنا بخبر القوم فإنهم إن ركبوا الإبل و جنبوا الخيل فهو الظعن إلى مكه و إن ركبوا الخيل و جنبوا (٢) الإبل فهو الغاره على المدينة و الذى نفسى بيده إن ساروا إليها لأسيرن إليهم ثم لأناجزهم قال سعد فتوجهت أسعى و أرصدت نفسى إن أفرعنى شىء رجعت إلى النبى ص و أنا أسعى فبدأت بالسعى حين ابتدأت فخرجت فى آثارهم

ص: ٣١

١- (١) و لا سواء: يعنى لا يستوى هذا و ذاك.

٢- (٢) جنوا الخل، أى ساقوها إلى جانبهم.

حتى إذا كانوا بالعقيق (١) و أنا بحيث أراهم و أتأملهم ركبوا الإبل و جنبوا الخيل فقلت إنه الظعن إلى بلادهم ثم وقفوا وقفه بالعقيق و تشاوروا فى دخول المدينة فقال لهم صفوان بن أمية قد أصبتم القوم فانصرفوا و لا تدخلوا عليهم و أنتم كالون و لكم الظفر فإنكم لا- تدرن ما يغشاكم فقد وليتم يوم بدر لا- و الله ما تبعوكم و كان الظفر لهم فيقال إن رسول الله ص قال نهاهم صفوان فلما رأهم سعد على تلك الحال منطلقين و قد دخلوا فى المكنن رجع إلى رسول الله ص و هو كالمكسر فقال وجه القوم يا رسول الله إلى مكة امتطوا الإبل و جنبوا الخيل فقال ما تقول قلت ما قلت يا رسول الله فخلا بى فقال أ حقا ما تقول قلت نعم يا رسول الله قال فما بالى رأيتك منكسرا فقلت كرهت أن آتى المسلمين فرحا بقولهم إلى بلادهم فقال ص إن سعدا لمجرب

٤٠٨٩

١٤- قال الواقدي و قد روى خلاف هذا روى أن سعدا لما رجع رفع صوته بأن جنبوا الخيل و امتطوا الإبل فجعل رسول الله ص يشير إلى سعد خفض صوتك فإن الحرب خدعه فلا ترى الناس مثل هذا الفرح بانصرافهم فإنما ردهم الله تعالى .

٤٠٩٠

قال الواقدي و حدثنى ابن أبى سبره عن يحيى بن شبل عن أبى جعفر قال قال رسول الله ص لسعد بن أبى وقاص إن رأيت القوم يريدون المدينة فأخبرنى فيما بينى و بينك و لا تفت فى أعضاء المسلمين فذهب فرآهم قد امتطوا الإبل فرجع فما ملك أن جعل يصيح سرورا بانصرافهم.

قال الواقدي و قيل لعمر بن العاص كيف كان افتراق المسلمين و المشركين يوم

ص: ٣٢

١- ١) العقيقى: موضع بالمدينة فيه عبور و نخيل.(ياقوت).

أحد فقال ما تريدون إلى ذلك قد جاء الله بالإسلام و نفى الكفر و أهله ثم قال لما كررنا عليهم أصبنا من أصبنا منهم و تفرقوا في كل وجه و فاءت لهم فئه بعد فتشاورت قريش فقالوا لنا الغلبه فلو انصرفنا فإنه بلغنا أن ابن أبي انصرف بثلاث الناس و قد تخلف الناس من الأوس و الخزرج و لا- نأمن أن يكروا علينا و فينا جراح و خيلنا عامتها قد عقرت من النبل فمضينا فما بلغنا الروحاء (١) حتى قام علينا عدو منها و انصرفنا إلى مكة .

٤٠٩١

١٤- قال الواقدي حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عائشه قال سمعت أبا بكر يقول لما كان يوم أحد و رمى رسول الله ص في وجهه حتى دخلت في وجهه حلقتان من المغفر أقبلت أسعى إلى رسول الله ص و إنسان قد أقبل من قبل المشرق يطير طيرانا فقلت اللهم اجعله طلحة بن عبيد الله حتى توافينا إلى رسول الله ص فإذا أبو عبيده بن الجراح فبدرني فقال أسألك بالله يا أبا بكر إلا- تركتني فأنترعه من وجه رسول الله ص قال أبو بكر فتركته و قال رسول الله ص عليكم صاحبكم يعني طلحة فأخذ أبو عبيده بثنيته حلقة المغفر فنزعها و سقط على ظهره و سقطت ثنيه أبي عبيده ثم أخذ الحلقة بثنيته الأخرى فكان أبو عبيده في الناس أثرم (٢) و يقال إن الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله ص عقبه بن وهب بن كلده و يقال أبو اليسر

قال الواقدي و أثبت ذلك عندنا عقبه بن وهب بن كلده .

٤٠٩٢

١٤- قال الواقدي و كان أبو سعيد الخدري يحدث أن رسول الله ص

ص: ٣٣

١- (١) الروحاء: موضع على أربعين ميلا من المدينه.

٢- (٢) الأثرم: الذي لا أسنان له.

أصيب وجهه يوم أحد فدخلت الحلقتان من المغفر في وجنتيه فلما نزعنا جعل الدم يسرب كما يسرب الشن (١) فجعل مالك بن سنان يمج الدم بفيه ثم ازدرده فقال رسول الله ص من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه بدمي فلينظر إلى مالك بن سنان فقيل لمالك تشرب الدم فقال نعم أشرب دم رسول الله ص فقال رسول الله ص من مس دمه دمي لم تصبه النار

٤٠٩٣

١٤,١٥,١- قال الواقدي وقال أبو سعيد كنا ممن رد من الشيخين (٢) لم نجئ مع المقاتله فلما كان من النهار بلغنا مصاب رسول الله ص و تفرق الناس عنه جئت مع غلمان بنى خدره نعرض لرسول الله ص ننظر إلى سلامته فنرجع بذلك إلى أهلنا فلقينا الناس متفرقين ببطن قناه فلم يكن لنا همه إلا النبي ص ننظر إليه فلما رأني قال سعد بن مالك قلت نعم بأبي أنت و أمي و دنوت منه فقبلت ركبته و هو على فرسه فقال آجرك الله في أبيك ثم نظرت إلى وجهه فإذا في وجنتيه مثل موضع الدرهم في كل وجهه و إذا شجه في جبهته عند أصول الشعر و إذا شفته السفلى تدمي و إذا في رباعيته اليمنى شظيه و إذا على جرحه شيء أسود فسألت ما هذا على وجهه فقالوا حصير محرق و سألت من أدمى وجنتيه فقيل ابن قميئه فقلت فمن شجه في وجهه فقيل ابن شهاب فقلت من أصاب شفثيه قيل عتبه بن أبي وقاص فجعلت أعدو بين يديه حتى نزل ببابه ما نزل إلا محمولا و أرى ركبتيه مجحوشتين (٣) يتكئ [على]

(٤) السعديين سعد بن معاذ و سعد بن عباده حتى دخل بيته فلما غربت الشمس و أذن بلال بالصلاه خرج على تلك الحال

ص: ٣٤

١- (١) الشن: القربه الخلق.

٢- (٢) الشيخان: موضع بالمدينه؛ كان به معسكر رسول الله صلى عليه و سلم بأحد، و هما أطمان سميا به.

٣- (٣) يقال: جحش الجلد: سحجه؛ و هو كالخدش أو فوفه.

٤- (٤) من ا.

يتوكأ على السعدين سعد بن عباده و سعد بن معاذ ثم انصرف إلى بيته و الناس فى المسجد يوقدون النيران يتمكدون بها من الجراح ثم أذن بلال بالعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ص فجلس بلال عند بابه ص حتى ذهب ثلث الليل ثم ناداه الصلاه يا رسول الله فخرج و قد كان نائما قال فرمقته فإذا هو أخف فى مشيته منه حين دخل بيته فصليت معه العشاء ثم رجع إلى بيته قد صفف له الرجال ما بين بيته إلى مصلاه يمشى وحده حتى دخل و رجعت إلى أهلى فخبرتهم بسلامته فحمدوا الله و ناموا و كانت وجوه الأوس و الخزرج فى المسجد على النبى ص يحرسونه فرقا من قریش أن تكرر.

قال الواقدى و خرجت فاطمه ع فى نساء و قد رأت الذى بوجه أبيها ص فاعتنقته و جعلت تمسح الدم عن وجهه و رسول الله ص يقول اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله و ذهب على ع فأتى بماء من المهراس و قال لفاطمه أمسكى هذا السيف غير ذميم فنظر إليه رسول الله ص مختضبا بالدم فقال لئن كنت أحسنت القتال اليوم فلقد أحسن عاصم بن ثابت و الحارث بن الصمه و سهل بن حنيف و سيف أبى دجانه غير مذموم

هكذا روى الواقدى .

و

٤٠٩٤

١٥،١٤- روى محمد بن إسحاق أن عليا ع قال لفاطمه بيتى شعر و هما أ فاطم هاء السيف غير ذميم فقال رسول الله ص لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك سماك بن خرشه و سهل بن حنيف

ص: ٣٥

١٥،١٤- قال الواقدي فلما أحضر على ع الماء أراد رسول الله ص أن يشرب منه فلم يستطع و قد كان عطشا و وجد ريحا من الماء كرهها فقال هذا ماء آجن فتمضمض منه للدم الذى كان بفيه ثم مجه و غسلت فاطمه به الدم عن أبيها ص فخرج محمد بن مسلمه يطب مع النساء و كن أربع عشره امرأه قد جئن من المدينه يتلقين الناس منهن فاطمه ع يحملن الطعام و الشراب على ظهورهن و يسقين الجرحى و يداوينهم

١٤- قال الواقدي قال كعب بن مالك رأيت عائشه و أم سليم على ظهورهما القرب تحملانها يوم أحد و كانت حمته بنت جحش تسقى العطشى و تداوى الجرحى فلم يجد محمد بن مسلمه عندهن ماء و رسول الله ص قد اشتد عطشه فذهب محمد بن مسلمه إلى قناه و معه سقاؤه حتى استقى من حسى قناه عند قصور التميميين اليوم فجاء بماء عذب فشرب منه رسول الله ص و دعا له بخير و جعل الدم لا ينقطع من وجهه ع و هو يقول لن ينالوا منا مثلها حتى نستلم الركن فلما رأته فاطمه الدم لا يرقأ و هى تغسل جراحه و على يصب الماء عليها بالمجن أخذت قطعه حصير فأحرقته حتى صار رمادا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم و يقال إنها داوته بصوفه محرقه و كان رسول الله ص بعد يداوى الجراح الذى فى وجهه بعظم بال حتى ذهب أثره و لقد مكث يجد و هن ضربه ابن قميئه على عاتقه شهرا أو أكثر من شهر و يداوى الأثر الذى فى وجهه بعظم

١٤- قال الواقدي و قال رسول الله ص قبل أن ينصرف إلى المدينه من يأتينا بخبر سعد بن الربيع فإنى رأيت و أشار بيده إلى ناحيه من الوادى قد شرع فيه اثنا عشر سنانا فخرج محمد بن مسلمه و يقال أبى بن كعب نحو تلك الناحيه قال فأنا وسط القتلى لتعرفهم إذ مررت به صريعا فى الوادى فناديته فلم يجب ثم قلت إن رسول الله ص أرسلنى إليك قال فتنفس كما يتنفس الطير ثم قال

و إن رسول الله ص لحي قلت نعم و قد أخبرنا أنه شرع لك اثنا عشر سنانا فقال طعنت اثنتى عشره طعنه كلها أجافتنى أبلغ قومك الأنصار السلام و قل لهم الله الله و ما عاهدتم عليه رسول الله ص ليله العقبه و الله ما لكم عذر عند الله إن خلص إلى نبيكم و منكم عين تطرف فلم أرم (١) من عنده حتى مات فرجعت إلى النبي ص فأخبرته فرأيته استقبل القبلة رافعا يديه يقول اللهم التو سعد بن الربيع و أنت عنه راض

٤٠٩٨

١٤- قال الواقدي و خرجت السمداء بنت قيس إحدى نساء بنى دينار و قد أصيب ابناها مع النبي ص بأحد النعمان بن عبد عمر و سليم بن الحارث فلما نعيها قالت فما فعل رسول الله ص قالوا بخير هو بحمد الله صالح على ما تحيين فقالت أرونيه أنظر إليه فأشاروا لها إليه فقالت كل مصيبه بعدك يا رسول الله جلل (٢) و خرجت تسوق بابنيها بعيرا [تردهما إلى المدينة]

(٣) فلقيتها عائشه فقالت ما وراءك فأخبرتها (٤) قالت فمن هؤلاء معك قالت ابناى حل حل (٥) تحملهما إلى القبر

٤٠٩٩

١٤- قال الواقدي و كان حمزه بن عبد المطلب أول من جىء به إلى النبي ص بعد انصراف قريش أو كان من أولهم فصلى عليه رسول الله ص ثم قال رأيت الملائكة تغسله قالوا لأن حمزه كان جنبا ذلك اليوم و لم يغسل رسول الله ص الشهداء يومئذ و قال لفوهم بدمائهم و جراحهم فإنه ليس أحد يجرح فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة لون جرحه لون الدم و ريحه ريح المسك ثم

ص: ٣٧

١-١) لم أرم: لم أبرح.

٢-٢) جلل، أى هينه.

٣-٣) من الواقدي.

٤-٤) فى الواقدي: قالت: أما رسول الله ﷺ عليه و سلم فبخير لم يمت، و اتخذ الله من المؤمنين شهداء: وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ .

٥-٥) حل: زجر للبعير.

قال ضعوهم فأنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة و كان حمزه أول من كبر عليه أربعا ثم جمع إليه الشهداء فكان كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزه فصلى عليه و على الشهيد حتى صلى عليه سبعين مره لأن الشهداء سبعون

٤١٠٠

١٤- قال الواقدي و يقال كان يؤتى بتسعه و حمزه عاشرهم فيصلى عليهم و ترفع التسعه و يترك حمزه مكانه و يؤتى بتسعه آخرين فيوضعون إلى جنب حمزه فيصلى عليه و عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات و يقال إنه كبر عليه خمسا و سبعا و تسعا .

٤١٠١

١٤- قال الواقدي و قد اختلفت الروايه فى هذا و كان طلحه بن عبيد الله و ابن عباس و جابر بن عبد الله يقولون صلى رسول الله ص على قتلى أحد و قال أنا شهيد على هؤلاء فقال أبو بكر ألسنا إخوانهم أسلمنا كما أسلموا و جاهدنا كما جاهدوا قال بلى و لكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئا و لا أدرى ما تحدثون بعدى فبكى أبو بكر و قال إنا لكاثنون بعدك

٤١٠٢

١٤- و قال أنس بن مالك و سعيد بن المسيب لم يصل رسول الله ص على قتلى أحد .

٤١٠٣

١٤- قال الواقدي و قال لأهل القتلى احفروا و أوسعوا و أحسنوا و ادفنوا الاثنين و الثلاثه فى القبر و قدموا أكثرهم قرآنا و أمر بحمزه أن تمد بردته عليه و هو فى القبر و كانت قصيره فكانوا إذا خمروا بها رأسه بدت رجلاه و إذا خمروا بها رجله انكشف وجهه فبكى المسلمون يومئذ فقالوا يا رسول الله عم رسول الله يقتل فلا يوجد له ثوب فقال بلى إنكم بأرض جرديه (١) ذات أحجار و ستفتح يعنى الأرياف و الأمصار فيخرج الناس إليها ثم يبعثون إلى أهليهم و المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون

ص: ٣٨

(١- ١) جرديه؛ قال الواقدي: التي ليس بها شيء من الأشجار.

و الذى نفسى بيده لا تصبر نفس على لأوائها و شدتها إلا كنت لها شفيعا أو قال شهيدا يوم القيامة

قال الواقدى و أتى عبد الرحمن بن عوف فى خلافه عثمان بثياب و طعام فقال و لكن حمزه لم يوجد له كفن و مصعب بن عمير لم يوجد له كفن و كانا خيرا منى.

٤١٠٤

١٤,١- قال الواقدى و مر رسول الله ص بمصعب بن عمير و هو مقتول مسجى ببرده خلق فقال لقد رأيتك بمكة و ما بها أحد أرق حله و لا أحسن لمة منك ثم أنت اليوم أشعث الرأس فى هذه البرده ثم أمر به فقبر و نزل فى قبره أخوه أبو الروم و عامر بن ربيعة و سويبطه بن عمرو بن حرملة و نزل فى قبر حمزه على ع و الزبير و أبو بكر و عمر و رسول الله ص جالس على حفرتة

٤١٠٥

١٤- قال الواقدى ثم إن الناس أو عامتهم حملوا قتلاهم إلى المدينة فدفن بالبقيع منهم عدة عند دار زيد بن ثابت و دفن بعضهم ببني سلمه فنادى منادى رسول الله ص ردوا القتلى إلى مضاجعهم و كان الناس قد دفنوا قتلاهم فلم يرد أحد أحدا منهم إلا رجلا واحدا أدركه المنادى و لم يدفن و هو شماس بن عثمان المخزومي كان قد حمل إلى المدينة و به رمق فأدخل على عائشه فقالت أم سلمه ابن عمى يدخل إلى غيرى فقال رسول الله ص احمלוه إلى أم سلمه فحملوه إليها فمات عندها فأمر رسول الله ص أن يرد إلى أحد فيدفن هناك كما هو فى ثيابه التى مات فيها و كان قد مكث يوما و ليله و لم يذق شيئا فلم يصل عليه رسول الله ص و لا غسله

قال الواقدى فأما القبور المجتمعه هناك فكثير من الناس يظنها قبور قتلى أحد و كان طلحه بن عبيد الله و عباد بن تميم المازنى يقولان هى قبور قوم من الأعراب كانوا

ص: ٣٩

عام الرماده فى عهد عمر هناك فماتوا فتلك قبورهم و كان ابن أبى ذئب و عبد العزيز بن محمد يقولان لا نعرف تلك القبور المجتمعه إنما هى قبور ناس من أهل الباديه قالوا إنا نعرف قبر حمزه و قبر عبد الله بن حزام و قبر سهل بن قيس و لا نعرف غير ذلك.

٤١٠٦

١٤،١٥- قال الواقدي و كان رسول الله ص يزور قتلى أحد فى كل حول و إذا لقوه بالشعب رفع صوته يقول السلام عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَغْمُ الْعُقَبِي الدَّارِ و كان أبو بكر يفعل مثل ذلك و كذلك عمر بن الخطاب ثم عثمان ثم معاويه حين يمر حاجا و معتمرا.

قال و كانت فاطمه بنت رسول الله ص تأتيهم بين الیومین و الثلاثه فتبکی عندهم و تدعو .

و كان سعد بن أبى وقاص یذهب إلى ما له بالغابه فیأتى من خلف قبور الشهداء فيقول السلام عليكم ثلاثا و يقول لا یسلم عليهم أحد إلا ردوا علیه السلام إلى یوم القیامه

٤١٠٧

١٤- قال و مر رسول الله ص على قبر مصعب بن عمیر فوقف علیه و دعا و قرأ من المؤمنین رجالاً صیدقوا ما عاهدوا الله علیه فمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا يَدُلُّوا تَبْدِيلًا (١) ثم قال إن هؤلاء شهداء عند الله یوم القیامه فأتوهم فزوروهم و سلموا عليهم و الذى نفسى بيده لا یسلم عليهم أحد إلى یوم القیامه إلا ردوا علیه .

و كان أبو سعید الخدری یقف على قبر حمزه فیدعو و یقرأ و یقول مثل ذلك و كانت أم سلمه رحمها الله تذهب فتسلم عليهم فى كل شهر فتظل یومها فجاءت یوما و معها غلامها أنبهان فلم یسلم فقالت أى لكع أ لا تسلم عليهم و الله لا یسلم عليهم أحد إلا ردوا علیه إلى یوم القیامه .

قال و كان أبو هريره و عبد الله بن عمر یذهبان فیسلمان عليهم قالت فاطمه

ص : ٤٠

الخزاعيه سلمت على قبر حمزه يوما و معى أخت لى فسمعنا من القبر قائلا- يقول و عليكما السلام و رحمه الله قالت و لم يكن قربنا أحد من الناس

٤١٠٨

١٤- قال الواقدي فلما فرغ رسول الله ص من دفنهم دعا بفرسه فركبه و خرج المسلمون حوله عامتهم جرحى و لا مثل بنى سلمه و بنى عبد الأشهل فلما كانوا بأصل الحره قال اصطفوا فاصطفت الرجال صفيين و خلفهم النساء و عدتهن أربع عشره امرأه فرفع يديه فدعا فقال اللهم لك الحمد كله اللهم لا- قابض لما بسطت و لا- مانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت و لا هادى لمن أضللت و لا مضل لمن هديت و لا مقرب لما باعدت و لا مباعد لما قربت اللهم إني أسألك من بركتك و رحمتك و فضلك و عافيتك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول و لا يزول اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف و الغناء يوم الفاقه عائذا بك اللهم من شر ما أعطيت و من شر ما منعت اللهم توفنا مسلمين اللهم حبب إلينا الإيمان و زينه فى قلوبنا و كره إلينا الكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ و اجعلنا من الراشدين اللهم عذب كفره أهل الكتاب الذين يكذبون رسلك و يصدون عن سبيلك اللهم أنزل عليهم رجسك و عذابك إله الحق آمين .

قال الواقدي و أقبل حتى نزل ببني حارثه يمينا حتى طلع على بنى عبد الأشهل و هم يبكون على قتلاهم فقال لكن حمزه لا بواكى له فخرج النساء ينظرن إلى سلامه رسول الله ص فخرجت إليه أم عامر الأشهليه و تركت النوح فنظرت إليه و عليه الدرع كما هى فقالت كل مصيبه بعدك جلل و خرجت كبشه بنت عتبه بن معاويه بن بلحارث بن الخزرج تعدو نحو رسول الله ص و هو واقف على فرسه و سعد بن معاذ أخذ بعنان فرسه فقال سعد يا رسول الله أمى فقال مرحبا بها فدننت حتى تأملتته و قالت إذ رأيتك سالما فقد شفت (١) المصيبه فعزاها بعمر و

ص: ٤١

١- ١) شفت المصيبه؛ أى هانت.

بن معاذ ثم قال يا أم سعد أبشرى و بشرى أهليهم أن قتلهم قد ترافقوا فى الجنة جميعا و هم اثنا عشر رجلا و قد شفّعوا فى أهليهم فقالت رضينا يا رسول الله و من يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع لمن خلفوا فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم و آجر مصيبتهم و أحسن الخلف على من خلفوا ثم قال لسعد بن معاذ حل أبا عمرو الدابة فحل الفرس و تبعه الناس فقال يا أبا عمرو إن الجراح فى أهل دارك فاشيه و ليس منهم مجروح إلا يأتى يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان اللون لون دم و الريح ريح مسك فمن كان مجروحا فليقر فى داره و ليداو جرحه و لا تبلغ معى بيتى عزمه منى فنادى فيهم سعد عزمه من رسول الله ص إلا يتبعه جريح من بنى عبد الأشهل فتخلف كل مجروح و باتوا يوقدون النيران و يداوون الجراح و إن فيهم لثلاثين جريحا و مضى سعد بن معاذ مع رسول الله ص إلى بيته ثم رجع إلى نسائه فساقهن فلم تبق امرأه إلا جاء بها إلى بيت رسول الله ص فبكين بين المغرب و العشاء و قام رسول الله ص حين فرغ من النوم لثلاث الليل فسمع البكاء فقال ما هذا قيل نساء الأنصار يبكين على حمزه فقال رضى الله تعالى عنكن و عن أولادكن و أمر النساء أن يرجعن إلى منازلهن قالت أم سعد بن معاذ فرجعنا إلى بيوتنا بعد ليل و معنا رجالنا فما بكت منا امرأه قط إلا بدأت بحمزه إلى يومنا هذا و يقال إن معاذ بن جبل جاء بنساء بنى سلمه و جاء عبد الله بن رواحه بنساء بلحارث بن الخزرج فقال رسول الله ص ما أردت هذا و نهاهن الغد عن النوح أشد النهى.

قال الواقدى و جعل ابن أبى و المنافقون معه يشمتون و يسرون بما أصاب المسلمين و يظهرون أقبح القول و رجع عبد الله بن أبى إلى ابنه و هو جريح فبات يكوى الجراحه بالنار حتى ذهب عامه الليل و أبوه يقول ما كان خروجك مع محمد إلى هذا

الوجه برأى عصانى محمد و أطاع الولدان و الله لكأنى كنت أنظر إلى هذا فقال ابنه الذى صنع الله لرسوله و للمسلمين خير إن شاء الله قال و أظهرت اليهود القول السيئ و قالوا ما محمد إلا طالب ملك ما أصيب هكذا نبى قط فى بدنه و أصيب فى أصحابه و جعل المنافقون يخذلون (١) عن رسول الله ص و أصحابه و يأمرونهم بالتفرق عنه و قالوا لأصحاب النبى ص لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل حتى سمع عمر بن الخطاب ذلك فى أماكن فمشى إلى رسول الله ص يستأذنه فى قتل من سمع ذلك منهم من اليهود و المنافقين فقال له يا عمر إن الله مظهر دينه و معز نبيه و لليهود ذمه فلا- أقتلهم قال فهؤلاء المنافقون يا رسول الله يقولون فقال أليس يظهرون شهادته أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله قال بلى و إنما يفعلون تعوذاً من السيف و قد بان لنا أمرهم و أبدى الله أضغانهم عند هذه النكبه فقال إنى نهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله يا ابن الخطاب إن قريشا لن ينالوا ما نالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن

(٢)

٤١٠٩

روى ابن عباس أن النبى ص قال إخوانكم لما أصيبوا بأحد جعلت أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة فتأكل من ثمارها و تأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مطعمهم و مشربهم و رأوا حسن منقلبهم قالوا ليت إخواننا يعلمون بما أكرمنا الله و بما نحن فيه لئلا يزهّدوا فى الجهاد و يكلوا عند الحرب فقال لهم الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل و لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (٣).

ص: ٤٣

١-١) يخذلون عنه:يمنعون من نصرته.

٢-٢) استلم الركن:قبله أو لمسه بيده.

٣-٣) سوره آل عمران ١٦٩.

القول فيما جرى للمشركين بعد انصرافهم إلى مكة

قال الواقدي حدثني موسى بن شيبه عن قطن بن وهيب الليثي قال لما تحاجز الفريقان ووجه قريش إلى مكة وامتطوا الإبل و جنبوا الخيل سار وحشى عبد جبير بن مطعم على راحلته أربعا فقدم مكة يبشر قريشا بمصاب المسلمين فاتتهى إلى الثنية التي تطلع على الحجون فنادى بأعلى صوته يا معشر قريش مرارا حتى تاب الناس إليه و هم خائفون أن يأتيهم بما يكرهون فلما رضى منهم قال أبشروا فقد قتلنا من أصحاب محمد مقتله لم نقتل مثلها في زحف قط و جرحنا محمدا فأثبتناه بالجراح و قتلنا رأس الكتيبه حمزه بن عبد المطلب فتفرق الناس عنه في كل وجه بالشماته بقتل أصحاب النبي ص و إظهار السرور و خلا جبير بن مطعم بوحشى فقال أنظر ما تقول قال وحشى قد و الله صدقت قال قتلت حمزه قال إى و الله و لقد زرقته بالمزراق (1) فى بطنه فخرج من بين فخذه ثم نودى فلم يجب فأخذت كبده و حملتها إليك لتراها فقال أذهبت حزن نساءنا و بردت حر قلوبنا فأمر يومئذ نساءه بمراجعته الطيب و الدهن.

قال الواقدي و قد كان عبد الله بن أبى أميه بن المغيرة المخزومي لما انكشف المشركون بأحد فى أول الأمر خرج هاربا على وجهه و كره أن يقدم مكة فقدم الطائف فأخبر ثقيفا أن أصحاب محمد قد ظفروا و انهزمنا و كنت أول من قدم عليكم ثم جاءهم الخبر بعد أن قريشا ظفرت و عادت الدوله لها.

قال الواقدي فسارت قريش قافلته إلى مكة فدخلتها ظافره فكان ما دخل على قلوبهم من السرور يومئذ نظير ما دخل عليهم من الكتابه و الحزن يوم بدر و كان ما دخل

ص: ٤٤

على قلوب المسلمين من الغيظ و الحزن يومئذ نظير ما دخل عليهم من السرور و الجذل يوم بدر كما قال الله تعالى وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ (١) و قال سبحانه أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْيَبُهُ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ (٢) قال يعنى إنكم يوم بدر قتلتم من قريش سبعين و أسرتم سبعين و أما يوم أحد فقتل منكم سبعون و لم يؤسر منكم أحد فقد أصبتم قريشا بمثلى ما أصابوكم يوم أحد و قوله أَنَّى هَذَا أى كيف هذا و نحن موعودون بالنصر و نزول الملائكه و فينا نبى ينزل عليه الوحي من السماء فقال لهم فى الجواب هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ يعنى الرماه الذين خالفوا الأمر و عصوا الرسول و إنما كان النصر و نزول الملائكه مشروطا بالطاعه و إلا يعصى أمر الرسول ألا ترى إلى قوله بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُواكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (٣) فعلقه على الشرط

القول فى مقتل أبى عزه الجمحى و معاويه بن المغيره بن أبى العاص بن أميه بن عبد شمس

٤١١٠

١٤- قال الواقدى أما أبو عزه و اسمه عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافه بن جمح فإن رسول الله ص أخذه أسيرا يوم أحد و لم يؤخذ يوم أحد أسير غيره فقال يا محمد من على فقال رسول الله ص إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين لا ترجع إلى مكه تمسح عارضيك فتقول سخرت بمحمد مرتين ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه

ص: ٤٥

١- (١) سورة آل عمران ١٤٠.

٢- (٢) سورة آل عمران ١٦٥.

٣- (٣) سورة آل عمران ١٢٥.

١٤- قال الواقدي و قد سمعنا في أسره غير هذا حدثني بكير بن مسمار قال لما انصرف المشركون عن أحد نزلوا بحمراء الأسد في أول الليل ساعه ثم رحلوا و تركوا أبا عزه مكانه حتى ارتفع النهار فلحقه المسلمون و هو مستتبته يتلدد و كان الذي أخذه عاصم بن ثابت فأمره النبي ص فضرب عنقه .

قلت و هذه الروايه هي الصحيحه عندي لأن المسلمين لم تكن حالهم يوم أحد حال من يتهيأ له أسر أحد من المشركين في المعركه لما أصابهم من الوهن.

فأما معاويه بن المغيره

١٤- فروى البلاذري أنه هو الذي جدع أنف حمزه و مثل به و أنه انهزم يوم أحد فمضى على وجهه فبات قريبا من المدينه فلما أصبح دخل المدينه فأتى منزل عثمان بن عفان بن أبي العاص و هو ابن عمه لحا فضرب بابه فقالت أم كلثوم زوجته و هي ابنة رسول الله ص ليس هو ها هنا فقال ابعتي إليه فإن له عندي ثمن بغير ابتعته منه عام أول و قد جئت به فإن لم يجئ ذهبت فأرسلت إليه و هو عند رسول الله ص فلما جاء قال لمعاويه أهلكتني و أهلكت (١) نفسك ما جاء بك قال يا ابن عم لم يكن أحد أقرب إلى و لا- أمس رحما بي منك فجتتك لتجيرني فادخله عثمان داره و صيره في ناحيه منها ثم خرج إلى النبي ص ليأخذ له منه أمانا فسمع رسول الله ص يقول إن معاويه في المدينه و قد أصبح بها فاطلبوه فقال بعضهم ما كان ليعدو منزل عثمان فاطلبوه به فدخلوا منزل عثمان فأشارت أم كلثوم إلى الموضع الذي صيره فيه فاستخرجوه من تحت خماره لهم فانطلقوا به إلى النبي ص فقال عثمان حين رآه و الذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له الأمان فهبه لي فوهبه له و أجله ثلاثا

ص: ٤٤

و أقسم لئن وجده بعدها يمشى فى أرض المدينه و ما حولها ليقتلنه و خرج عثمان فجهزه و اشترى له بعيرا ثم قال ارتحل و سار رسول الله ص إلى حمراء الأسد و أقام معاويه إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبى ص و يأتى بها قريشا فلما كان فى اليوم الرابع قال رسول الله ص إن معاويه أصبح قريبا لم ينفذ فاطلبوه فأصابوه و قد أخطأ الطريق فأدركوه و كان اللذان أسرعاً فى طلبه زيد بن حارثه و عمار بن ياسر فوجداه بالجماء (١) فضربه زيد بالسيف و قال عمار إن لى فيه حقا فرمياه بسهم فقتلاه ثم انصرفا إلى المدينه بخبره و يقال إنه أدرك على ثمانيه أميال من المدينه فلم يزل زيد و عمار يرميانه بالنبل حتى مات

قال و معاويه هذا أبو عائشه بنت معاويه أم عبد الملك بن مروان .

قال و ذكر الواقدى فى كتابه مثل هذه الروايه سواء.

قال البلاذرى و قال ابن الكلبي إن معاويه بن المغيره جدع أنف حمزه يوم أحد و هو قتيل فأخذ بقرب أحد فقتل على أحد بعد انصراف قريش بثلاث و لا عقب له إلا عائشه أم عبد الملك بن مروان قال و يقال إن عليا ع هو الذى قتل معاويه بن المغيره (٢)

قلت و روايه ابن الكلبي عندى أصح لأن هزيمه المشركين كانت فى الصدمه الأولى عقيب قتل بنى عبد الدار أصحاب الألويه و كان قتل حمزه بعد ذلك لما كر خالد بن الوليد الخيل من وراء المسلمين فاختلفوا و انتقض صفهم و قتل بعضهم بعضا فكيف يصح إن يجتمع لمعاويه كونه قد جدع أنف حمزه و كونه قد انهزم مع المشركين فى الصدمه الأولى هذا متناقض لأنه إذا كان قد انهزم فى أول الحرب استحال أن يكون

ص: ٤٧

١- ١) الجماء؛ تطلق على ثلاثه مواضع بالمدينه.

٢- ٢) أنساب الأشراف ٣٣٨، ٣٣٧: ١ مع تصرف و اختصار.

حاضرا عند حمزه حين قتل و الصحيح ما ذكره ابن الكلبي من أنه شهد الحرب كلها و جدع أنف حمزه ثم حصل في أيدي المسلمين بعد انصراف قريش لأنه تأخر عنهم لعارض عرض له فأدرکه حينه فقتل

القول في مقتل المجذر بن زياد البلوي و الحارث بن يزيد بن الصامت

٤١١٣

١٤- قال الواقدي كان المجذر بن زياد البلوي حليف بني عوف بن الخزرج ممن شهد بدرًا مع رسول الله ص و كانت له قصه في الجاهلية قبل قدوم النبي ص المدينة و ذلك أن حضير الكتائب والد أسيد بن حضير جاء إلى بني عمرو بن عوف فكلم سويد بن الصامت و خوات بن جبير و أبا لبابه بن عبد المنذر و يقال سهل بن حنيف فقال هل لكم إن تزوروني فأسقيكم شرابًا و أنحر لكم و تقيمون عندي أيامًا قالوا نعم نحن نأتيك يوم كذا فلما كان ذلك اليوم جاءوه فنحر لهم جزورا و سقاهاهم خمرا و أقاموا عنده ثلاثة أيام حتى تغير اللحم و كان سويد بن الصامت يومئذ شيخا كبيرا فلما مضت الأيام الثلاثة قالوا ما نرانا إلا راجعين إلى أهلنا فقال حضير ما أحببتم إن أحببتم فأقيموا و إن أحببتم فانصرفوا فخرج الفتيان بسويد بن الصامت يحملانه على جمل من الثمل (١) فمروا لاصقين بالحره حتى كانوا قريبا من بني عيينه (٢) فجلس سويد يبول و هو ثمل سكرًا فبصر به إنسان من الخزرج فخرج حتى أتى المجذر بن زياد فقال هل لك في الغنيمه البارده قال ما هي قال سويد بن الصامت أعزل لا سلاح معه ثمل فخرج المجذر بن زياد بالسيف مصلتا فلما رآه الفتيان و هما أعزلان لا سلاح معهما وليا و العداوه بين الأوس

ص: ٤٨

١-١) الثمل بفتح التين: أي السكر.

٢-٢) الواقدي: «غصينه».

و الخزرج شديده فانصرفا مسرعين و ثبت الشيخ و لا حراك به فوقف المجذر بن زياد فقال قد أمكن الله منك قال ما تريد بي قال قتلك قال فارفع عن الطعام و اخفض عن الدماغ فإذا رجعت إلى أمك فقل إني قتلت سويد بن الصامت فقتله فكان قتله هو الذى هيج وقعه بعث فلما قدم رسول الله ص المدينة أسلم الحارث بن سويد بن الصامت و أسلم المجذر فشهدا بدرا فجعل الحارث بن سويد يطلب المجذر فى المعركة ليقتله بأبيه فلا يقدر عليه يومئذ فلما كان يوم أحد و جال المسلمون تلك الجوله أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه فرجع رسول الله ص إلى المدينة ثم خرج إلى حمراء الأسد فلما رجع من حمراء الأسد أتاه جبرائيل ع فأخبره أن الحارث بن سويد قتل المجذر غيلة و أمره بقتله فركب رسول الله ص إلى قباء فى اليوم الذى أخبره جبرائيل فى يوم حار و كان ذلك يوما لا يركب فيه رسول الله ص إلى قباء إنما كانت الأيام التى يأتى فيها رسول الله ص قباء يوم السبت و يوم الإثنين فلما دخل رسول الله ص مسجد قباء صلى فيه ما شاء الله أن يصلى و سمعت الأنصار فجاءوا يسلمون عليه و أنكروا إتيانه تلك الساعة فى ذلك اليوم فجلس ع يتحدث و يتصفح الناس حتى طلع الحارث بن سويد فى ملحفه مورسه (1) فلما رآه رسول الله ص دعا عويم بن ساعده فقال له قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذر بن زياد فإنه قتله يوم أحد فأخذه عويم فقال الحارث دعنى أكلم رسول الله و رسول الله ص يريد أن يركب و دعا بحماره إلى باب المسجد فجعل الحارث يقول قد و الله قتلته يا رسول الله و ما كان قتلى إياه رجوعا عن الإسلام

ص: ٤٩

١-١) مورسه: مصبوغه بالورس و هو نبات باليمن معروف.

ولا ارتيابا فيه ولكنه حميه الشيطان و أمر و كلت فيه إلى نفسى و إنى أتوب إلى الله و إلى رسوله مما عملت و أخرج ديته و أصوم شهرين متتابعين و أعتق رقبه و أطعم ستين مسكينا إنى أتوب إلى الله يا رسول الله و جعل يمسك بركاب رسول الله ص و بنو المجذر حضور لا يقول لهم رسول الله ص شيئا حتى إذا استوعب كلامه قال قدمه يا عويم فاضرب عنقه و ركب رسول الله ص قدمه عويم بن ساعده على باب المسجد فضرب عنقه.

قال الواقدي و يقال إن الذى أعلم رسول الله قتل الحارث المجذر يوم أحد حبيب بن يساف نظر إليه حين قتله فجاء إلى النبي ص فأخبره فركب رسول الله ص يتفحص عن هذا الأمر فبينما هو على حماره نزل جبرائيل ع فخبره بذلك فأمر رسول الله ص عويما فضرب عنقه-

ففى ذلك قال حسان يا حار فى سنه من نوم أولكم أم كنت ويحك مغترا بجبريل (١).

فأما البلاذرى فإنه ذكر هذا و قال و يقال إن الجلاس بن سويد بن الصامت هو الذى قتل المجذر يوم أحد غيله إلا أن شعر حسان يدل على أنه الحارث (٢).

قال الواقدي و البلاذرى و كان سويد بن الصامت حين ضربه المجذر بقى قليلا ثم مات فقال قبل أن يموت يخاطب أولاده أبلغ جلاسا و عبد الله مالكة و إن دعيت فلا تخذلهما حار

ص : ٥٠

١- ١) ديوانه ٣١٨، و بعده: أم كنت يا بن زياد حين تقتله بغزه فى فضاء الله مجهول و قلتى لن نرى و الله مبصركم و فيكم محكم الآيات و القيل محمّد و العزيز الله يخبره بما يكنّ سريرات الأقاويل.

٢- ٢) أنساب الأشراف ٣٣٢: ١.

اقتل جذاره إذ ما كنت لاقِيهم

و الحي عوفا على عرف و إنكار.

قال البلاذري جذره و جذاره أخوان و هما ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج (١).

قلت هذه الروايات كما ترى و قد ذكر ابن ماكولا في الإكمال أن الحارث بن سويد قتل المجذر غيلة يوم أحد ثم التحق بمكة كافرا ذكره في حرف الميم من هذا الكتاب و هذا هو الأشبه عندي

القول فيمن مات من المسلمين بأحد جملة

قال الواقدي ذكر سعيد بن المسيب و أبو سعيد الخدري أنه قتل من الأنصار خاصة أحد و سبعون و بمثله قال مجاهد .

قال فأربعة من قريش و هم حمزة بن عبد المطلب قتله وحشى و عبد الله بن جحش بن رثاب قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق و شماس بن عثمان بن الشريد من بنى مخزوم قتله أبى بن خلف و مصعب بن عمير قتله ابن قميئه .

قال و قد زاد قوم خامسا و هو سعد مولى حاطب من بنى أسد بن عبد العزى و قال قوم أيضا إن أبا سلمه بن عبد الأسد المخزومى جرح يوم أحد و مات من تلك الجراحه بعد أيام.

قال الواقدي و قال قوم قتل ابنا الهيب من بنى سعد بن ليث و هما عبد الله

ص : ٥١

و عبد الرحمن و رجلا من بني مزينة و هما وهب بن قابوس و ابن أخيه الحارث بن عتبة بن قابوس فيكون جميع من قتل من المسلمين ذلك اليوم نحو أحد و ثمانين رجلا فأما تفصيل الأسماء الأنصار فمذكور في كتب المحدثين و ليس هذا الموضع مكان ذكره

القول فيمن قتل من المشركين بأحد

قال الواقدي قتل من بني عبد الدار طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء قريش قتله علي بن أبي طالب ع مبارزه و عثمان بن أبي طلحة قتله حمزه بن عبد المطلب و أبو سعيد بن أبي طلحة قتله سعد بن أبي وقاص و مسافع بن طلحة بن أبي طلحة قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح و كلاب بن طلحة بن أبي طلحة قتله الزبير بن العوام و الحارث بن طلحة بن أبي طلحة قتله عاصم بن ثابت و الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة قتله طلحة بن عبيد الله و أرتاه بن عبد شرحبيل قتله علي بن أبي طالب ع و قارظ (١) بن شريح بن عثمان بن عبد الدار و يروي قاسط بالسين و الطاء المهملتين قال الواقدي لا يدري من قتله و قال البلاذري (٢) قتله علي بن أبي طالب ع و صواب مولاهم قتله علي بن أبي طالب ع و قيل قتله قزمان (٣) و أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير قتله قزمان فهؤلاء أحد عشر.

و من بني أسد بن عبد العزى عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد قتله أبو دجانه في روايه الواقدي و في روايه محمد بن إسحاق قتله علي بن أبي طالب ع و قال البلاذري قال ابن الكلبي إن عبد الله بن حميد قتل يوم بدر

ص: ٥٢

١-١) الواقدي: «فارط»، و البلاذري: «قاسط».

٢-٢) أنساب الأشراف: ٣٣٤: ١.

٣-٣) أنساب الأشراف: «غيره».

و من بنى زهره أبو الحكم بن الأخنس بن شريق قتله على بن أبي طالب ع و سباع بن عبد العزى الخزاعى و اسم عبد العزى عمر بن نضله بن عباس بن سليم و هو ابن أم أنمار الحجامه بمكه قتله حمزه بن عبد المطلب فهذان رجلا.

و من بنى مخزوم أميه بن أبى حذيفه بن المغيره قتله على ع و هشام بن أبى أميه بن المغيره قتله قزمان و الوليد بن العاص بن هشام قتله قزمان و خالد بن أعلم العقيلي قتله قزمان و عثمان بن عبد الله بن المغيره قتله الحارث بن الصمه فهؤلاء خمس.

و من بنى عامر بن لؤى عبيد بن حاجز قتله أبو دجانة و شبيه بن مالك بن المضرب قتله طلحه بن عبيد الله و هذان اثنان.

و من بنى جمح أبى بن خلف قتله رسول الله ص بيده و أبو عزه قتله عاصم بن ثابت صبيرا بأمر رسول الله ص فهذان اثنان.

و من بنى عبد مناه بن كنانة خالد بن سفيان بن عويف و أبو الشعثاء بن سفيان بن عويف و أبو الحمراء بن سفيان بن عويف و غراب بن سفيان بن عويف هؤلاء الإخوه الأربعة قتلهم على بن أبى طالب ع فى روايه محمد بن حبيب .

٤١١٤

١٤- فأما الواقدي فلم يذكر فى باب من قتل من المشركين بأحد لهم قاتلا معيناً و لكنه ذكر فى كلام آخر قبل هذا الباب أن أبا سبره بن الحارث بن علقمه قتل أحد بنى سفيان بن عويف و أن رشيدا الفارسى مولى بنى معاويه لقي آخر من بنى سفيان بن عويف مقنعا فى الحديد و هو يقول أنا ابن عويف فيعرض له سعد مولى حاطب فضربه ابن

ص: ٥٣

عوييف ضربه جزله باثنتين فأقبل رشيد على ابن عوييف فضربه على عاتقه فقطع الدرع حتى جزله اثنتين و قال خذها و أنا الغلام الفارسي فقال رسول الله ص و هو يراه و يسمعه ألا قلت أنا الغلام الأنصاري قال فيعرض لرشيد أخ للمقتول أحد بني سفيان بن عوييف أيضا و أقبل يعدو نحوه كأنه كلب يقول أنا ابن عوييف و يضربه رشيد أيضا على رأسه و عليه المغفر ففلق رأسه و قال خذها و أنا الغلام الأنصاري فتبسم رسول الله ص و قال أحسنت يا أبا عبد الله فكناه رسول الله ص يومئذ و لا ولد له

قلت فأما البلاذري فلم يذكر لهم قاتلا و لكنه عددهم في جملة من قتل من المشركين بأحد و كذلك ابن إسحاق لم يذكر من قتلهم فإن صحت روايه الواقدي فعلى ع لم يكن قد قتل منهم إلا واحدا و إن كانت روايه ابن حبيب صحيحه فالأربعة من قتلاه ع و قد رأيت في بعض كتب أبي الحسن المدائني أيضا أن عليا ع هو الذي قتل بني سفيان بن عوييف يوم أحد و روى له شعرا في ذلك.

و من بني عبد شمس معاويه بن المغيرة بن أبي العاص قتله على ع في إحدى الروايات و قيل قتله زيد بن حارثة و عمار بن ياسر

فجميع من قتل من المشركين يوم أحد ثمانية و عشرون قتل على ع منهم ما اتفق عليه و ما اختلف فيه اثني عشر و هو إلى جملة القتلى كعده من قتل يوم بدر إلى جملة القتلى يومئذ و هو قريب من النصف

١٤- قال الواقدي بلغ (١) رسول الله ص أن المشركين قد عزموا أن يردوا إلى المدينة فينهبوا فأحب أن يريهم قوه فصلى الصبح يوم الأحد لثمان خلون من شوال و معه وجوه الأوس و الخزرج و كانوا باتوا تلك الليلة في بابه يحرسونه من البيات فيهم سعد بن عباده و سعد بن معاذ و الحباب بن المنذر و أوس بن خولى و قتاده بن النعمان في عده منهم فلما انصرف من صلاه الصبح أمر بلالا أن ينادى في الناس أن رسول الله ص يأمركم بطلب عدوكم و لا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس فخرج سعد بن معاذ راجعا إلى قومه يأمرهم بالمسير و الجراح في الناس فاشيه عامه بنى عبد الأشهل جريح بل كلها فجاء سعد بن معاذ فقال إن رسول الله ص يأمركم أن تطلبوا عدوكم قال يقول أسيد بن حضير و به سبع جراحات و هو يريد أن يداويها سمعا و طاعه الله و لرسوله فأخذ سلاحه و لم يعرج على دواء جراحه و لحق برسول الله ص و جاء سعد بن عباده قومه بنى ساعده فأمرهم بالمسير فلبسوا و لحقوا و جاء أبو قتاده أهل خربا و هم يداوون الجراح فقال هذا منادى رسول الله ص يأمركم بطلب العدو فوثبوا إلى سلاحهم و لم يعرجوا على جراحاتهم فخرج من بنى سلمه أربعون جريحا بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحا و بخراش بن الصمه عشر جراحات و بكعب بن مالك بضعة عشر جرحا و بقطبه بن عامر بن خديج بيده تسع جراحات حتى وافوا النبي ص بقبر أبي عتبه و عليهم السلاح

ص: ٥٥

و قد صفوا لرسول الله ص فلما نظر إليهم و الجراح فيهم فاشيه قال اللهم ارحم بنى سلمه

٤١١٦

١٤- قال الواقدي و حدثني عتبه بن جبيره عن رجال [من]

(١) قومه أن عبد الله بن سهل و رافع بن سهل من بنى عبد الأشهل رجعا من أحد و بهما جراح كثيره و عبد الله أثقلهما جرحا فلما أصبحا و جاء سعد بن معاذ قومه يخبرهم أن رسول الله ص يأمرهم بطلب العدو قال أحدهما لصاحبه و الله إن تركنا غزاه مع رسول الله ص لغبن و الله ما عندنا دابه نركبها و لا ندرى كيف نصنع قال عبد الله انطلق بنا قال رافع لا و الله ما بي مشى قال أخوه انطلق بنا نقصد و نجوز و خرجا يزحفان فضعف رافع فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبه و يمشى الآخر عقبه حتى أتوا رسول الله ص عند العشاء و هم يوقدون النيران فأتى بهما رسول الله ص و على حرسه تلك الليله عباد بن بشر فقال رسول الله ص لهما ما حبسكما فأخبراه بعلتهما فدعا لهما بخير و قال إن طالت لكما مده كانت لكما مراكب من خيل و بغال و إبل و ليس ذلك بخير لكما.

قال الواقدي و قال جابر بن عبد الله يا رسول الله إن مناديا نادى ألا يخرج معنا إلا من حضر القتال بالأمس و قد كنت حريصا بالأمس على الحضور و لكن أبى خلفنى على أخوات لى و قال يا بنى لا ينبغي لك أن تدعهن و لا رجل معهن و أخاف عليهن و هن نسيات ضعاف و أنا خارج مع رسول الله ص لعل الله يرزقنى الشهاده فتخلفت عليهن فاستأثر على بالشهاده و كنت رجوتها فأذن لى يا رسول الله أن أسير معك فأذن له رسول الله ص قال جابر فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيرى و استأذنه رجال لم يحضروا القتال فأبى ذلك

ص: ٥٦

(١ - ١) من الواقدي.

عليهم فدعا رسول الله ص بلواءه و هو معقود لم يحل من أمس فدفعه إلى على ع و يقال دفعه إلى أبي بكر فخرج رسول الله ص و هو مجروح في وجهه أثر الحلقتين و مشجوج في جبهته في أصول الشعر و رباعيته قد شظيت و شفته قد كلمت من باطنها و منكبه الأيمن موهن بضربه ابن قميئه و ركبتاه مجحوشتان فدخل المسجد فصلى ركعتين و الناس قد حشدوا و نزل أهل العوالي (١) حيث جاءهم الصريخ (٢) و دعا بفرسه على باب المسجد و تلقاه طلحة بن عبيد الله و قد سمع المنادى فخرج ينظر متى يسير رسول الله ص فإذا هو و عليه الدرع و المغفر لا- يرى منه إلا- عيناه فقال يا طلحة سلاحك قال قريبا قال طلحة فأخرج و أعدو فألبس درعى و أخذ سيفى و أطرح درقتى فى صدرى و إن بى لتسع جراحات و لأنا أهتم بجراح رسول الله ص منى بجراحى فأقبل رسول الله ص على طلحة فقال أين ترى القوم الآن قال هم بالسياله فقال رسول الله ص ذلك الذى ظننت أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا قال و بعث رسول الله ص ثلاثه نفر من أسلم طليعه فى آثار القوم فانقطع أحدهم و انقطع قبال نعل الآخر و لحق الثالث بقريش و هم بحمراء الأسد و لهم زجل (٣) يأترون (٤) فى الرجوع إلى المدينه و صفوان بن أميه ينهاهم عن ذلك و لحق الذى انقطع قبال نعله بصاحبه فبصرت قريش بالرجلين فعطفت عليهما فأصابوهما و انتهى المسلمون إلى مصرعهما بحمراء الأسد فقبرهما رسول الله ص فى قبر واحد فهما القرينان.

ص: ٥٧

١-١) العوالي: ضيعة بينها و بين المدينه أربعة أميال.

٢-٢) الصريخ: المغيث.

٣-٣) زجل، أى صوت و جلبه.

٤-٤) يأترون: يتشاورون.

قال الواقدي قال جابر بن عبد الله كانت عامه أزوادنا ذلك اليوم التمر و حمل سعد بن عباده ثلاثين بعيرا تمرا حتى وافت حمراء الأسد و ساق جزرا فنجروا في يوم ثنتين و في يوم ثلاثا و أمرهم رسول الله ص بجمع الحطب فإذا أمسوا أمرهم أن يوقدوا النيران فيوقد كل رجل نارا فلقد كنا تلك الليلة نوقد خمسمائة نار حتى نرى من المكان البعيد و ذهب ذكر معسكرنا و نيراننا في كل وجه و كان ذلك مما كبت الله به عدونا.

قال الواقدي و جاء معبد بن أبي معبد الخزاعي و هو يومئذ مشرك إلى النبي ص و كانت خزاعه سلما (١) للنبي ص فقال يا محمد عز علينا ما أصابك في نفسك و ما أصابك في أصحابك و لوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك و أن المصيبة كانت بغيرك ثم مضى معبد حتى يجد أبا سفيان و قريشا بالروحاء (٢) و هم يقولون لا محمدا أصبتم و لا الكواعب أردفتهم فبئسما صنعتهم و هم مجمعون على الرجوع إلى المدينة و يقول قائلهم فيما بينهم ما صنعنا شيئا أصبنا أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم و قبل أن يكون لهم وفر و كان المتكلم بهذا عكرمه بن أبي جهل فلما جاء معبد إلى أبي سفيان قال هذا معبد و عنده الخبر ما وراءك يا معبد قال تركت محمدا و أصحابه خلفي يتحرقون عليكم بمثل النيران و قد اجتمع معه من تخلف عنه بالأمس من الأوس و الخزرج و تعاهدوا ألا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم و قد غضبوا (٣) لقومهم غضبا شديدا و لمن أصبتم من أشرافهم قالوا ويحك ما تقول قال و الله ما أرى

ص: ٥٨

١-١) سلما، أي مسالمون.

٢-٢) الروحاء: قطيعه كانت لعدى بن حاتم، على نحو أربعين ميلا من المدينة.

٣-٣) الواقدي: «و غضبوا».

أن ترتحلوا حتى تروا نواصي (١) الخيل و لقد (٢) حملنى ما رأيت منهم أن قلت أبياتا قالوا و ما هى فأنشدهم هذا الشعر كادت تهد من الأصوات راحلتى

و قد كان صفوان بن أميه رد القوم بكلامه قبل أن يطلع معبد و قال لهم صفوان يا قوم لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا (٣) و أخشى أن يجمعوا عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا و الدوله لكم فيانى لا- آمن إن رجعتم إليهم أن تكون الدوله عليكم قال فلذلك قال رسول الله ص أرشدهم صفوان و ما كان برشيد ثم قال و الذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجاره و لو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب قال فانصرف القوم سراعا خائفين من الطلب لهم و مر بأبى سفيان قوم من عبد القيس يريدون المدينه فقال لهم هل أنتم مبلغو محمد و أصحابه ما أرسلكم به على أن أوقر لكم أباعركم زبيبا غدا بعكاظ إن أنتم جئتمونى قالوا نعم قال حيثما

ص: ٥٩

١- ١) الواقدي: «حتى ترى نواصي الخيل».

٢- ٢) الواقدي: «ثم قال معبد...».

٣- ٣) الأبيات فى ابن هشام ٣:٥٤. تهد، أى تسقط من الإعياء. و الجرد: الخيل العتاق. و الأبايل: الجماعات.

لقيتم محمدا و أصحابه فأخبروهم أنا قد أجمعنا الرجعه إليهم و أنا آثاركم و انطلق أبو سفيان إلى مكة و قدم الركب على النبي
ص و أصحابه بالحمراء فأخبروهم بالذي أمرهم أبو سفيان فقالوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ فَأَنْزَلَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ وَ أَرْسَلَ مَعَهُ
رَجُلًا مِنْ خِزَاعِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص يَعْلَمُهُ أَنَّهُ قَدْ أَنْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَ أَصْحَابُهُ خَائِفِينَ وَ جَلِينَ فَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَ ثَلَاثِ
إِلَى الْمَدِينَةِ

نذكرها من كتاب الواقدي و نزيد على ذلك ما رواه محمد بن إسحاق فى كتابه على عادتنا فيما تقدم

٤١١٧

١٤- قال الواقدي حدثنى (١) ربيعه بن عثمان عن عمر بن الحكم قال بعث رسول الله ص الحارث بن عمير الأزدي فى سنة ثمان إلى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤته عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال أين تريد قال الشام قال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه و لم يقتل لرسول الله ص رسول غيره و بلغ ذلك رسول الله ص فاشتد عليه و ندب الناس و أخبرهم بمقتل الحارث فأسرعوا و خرجوا فعمسكروا بالجرف فلما صلى رسول الله ص الظهر جلس و جلس أصحابه حوله و جاء النعمان بن مهض اليهودى فوقف مع الناس فقال رسول الله ص زيد بن حارثه أمير الناس فإن قتل زيد بن حارثه فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحه فإن أصيب ابن رواحه فليترض المسلمون من بينهم رجلا فليجعلوه عليهم فقال النعمان بن مهض يا أبا القاسم إن كنت نبيا فسيصاب من سميت قليلا كانوا أو كثيرا إن الأنبياء فى بنى إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصيب فلان فلو سمي مائه أصيبوا جميعا ثم جعل اليهودى يقول لزيد بن حارثه اعهد فلا ترجع إلى محمد أبدا إن كان نبيا قال زيد أشهد أنه نبى صادق فلما أجمعوا

ص: ٦١

١- (١) أخبار غزوه مؤته فى الواقدي ص ٤٠١ و ما بعدها، و سيره ابن هشام ٣:٤٢٧ و ما بعدها.

المسير و عقد رسول الله ص لهم اللواء بيده دفعه إلى زيد بن حارثه و هو لواء أبيض و مشى الناس إلى أمراء رسول الله ص يودعونهم و يدعون لهم و كانوا ثلاثه آلاف فلما ساروا فى معسكرهم ناداهم المسلمون دفع الله عنكم و ردكم صالحين سالمين غانمين فقال عبد الله بن رواحه لكننى أسأل الرحمن مغفره

(١)

قلت اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثه كان هو الأمير الأول و أنكرت الشيعة ذلك و قالوا كان جعفر بن أبى طالب هو الأمير الأول فإن قتل فزيد بن حارثه فإن قتل فعبد الله بن رواحه و رووا فى ذلك روايات و قد وجدت فى الأشعار التى ذكرها محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى ما يشهد لقولهم فمن ذلك ما رواه عن حسان بن ثابت و هو تأوينى ليل بيثرب أعسر

ص: ٦٢

١ - ١) سيره ابن هشام ٣: ٤٢٩. ذات فرغ؛ أى واسعه، و الزبد، أصله ما يعلو الماء إذا غلا؛ و أراد هنا ما يعلو الدم الذى ينفجر من الطعنه.

رأيت خيار المؤمنين تواردوا

و منها قول كعب بن مالك الأنصاري من قصيده أولها [\(١\)](#) نام العيون و دمع عينك يهمل

ص: ٦٣

(١ - ١) شعوب: من أسماء المنيه.

١٤- قال الواقدي فحدثني ابن أبي سبره عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن رافع بن إسحاق عن زيد بن أرقم أن رسول الله ص خطبهم فأوصاهم فقال أوصيكم بتقوى الله و بيمين معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله و في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا- تغدروا و لا تغلوا و لا تقتلوا وليدا و إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم و اكفف عنهم ادعهم إلى الدخول في الإسلام فإن فعلوا فاقبل و اكفف ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى المهاجرين فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما للمهاجرين و عليهم ما على المهاجرين و إن دخلوا في الإسلام و اختاروا دارهم فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله و لا يكون لهم في الفء و لا في الغنيمه شىء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن فعلوا فاقبل منهم و اكفف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله و قاتلهم و إن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينه فأرادوا أن تستنزلهم على حكم الله فلا تستنزلهم على حكم الله و لكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أ تصيب حكم الله فيهم أم لا- و إن حاصرت أهل حصن أو مدينه و أرادوا أن تجعل لهم ذمه الله و ذمه رسول الله فلا تجعل لهم ذمه الله و ذمه رسول الله و لكن اجعل لهم ذمتك و ذمه أبيك و أصحابك فإنكم إن تخفروا ذممكم و ذمم آباءكم خير لكم من أن تخفروا ذمه الله و ذمه رسوله .

١٤- قال الواقدي وحدثني أبو صفوان عن خالد بن يزيد قال خرج النبي ص مشيعا لأهل مؤته حتى بلغ ثنيه الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال اغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام و ستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين الناس فلا تعرضوا لهم و ستجدون آخرين للشيطان فى رءوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف و لا تقتلن امرأه و لا صغيرا ضرعا (١) و لا - كبيرا فانيا و لا تقطن نخلا و لا شجرا و لا تهدمن بناء .

٤١٢٠

١٤- قال الواقدي فلما دعا عبد الله بن رواحه رسول الله ص قال له مرني بشيء أحفظه عنك قال إنك قادم غدا بلدا السجود فيه قليل فأكثر السجود فقال عبد الله زدني يا رسول الله قال اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهبا رجع فقال يا رسول الله إن الله وتر يحب الوتر فقال يا ابن رواحه ما عجزت فلا تعجز إن أسأت عشرا أن تحسن واحده فقال ابن رواحه لا أسألك عن شيء بعدها .

٤١٢١

و روى محمد بن إسحاق أن عبد الله بن رواحه ودع رسول الله ص بشعر منه فثبت الله ما آتاك من حسن

٤١٢٢

١٤- قال محمد بن إسحاق فلما ودع المسلمين بكى فقالوا له ما يبكيك يا عبد الله قال و الله ما بى حب الدنيا و لا صبابه إليها و لكنى سمعت رسول الله ص

ص: ٦٥

يقرأ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا (١) فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود

(٢)

. قال الواقدي و كان زيد بن أرقم يحدث قال كنت يتيما في حجر عبد الله بن رواحه فلم أر والي يتيم كان خيرا لي منه خرجت معه في وجهه إلى مؤته و صب بي و صببت به فكان يردفني خلف رحله فقال ذات ليله و هو على راحلته بين شعبتي رحله إذا بلغتني و حملت رحلي

فلما سمعت منه هذا الشعر بكيت فخفقتي بالدره و قال و ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهاده فأستريح من الدنيا و نصبها و همومها و أحزانها و أحداثها و ترجع أنت بين شعبتي الرحل.

قال الواقدي و مضى المسلمون فنزلوا وادي القرى فأقاموا به أياما و ساروا حتى نزلوا بمؤته و بلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل ماء من مياه البلقاء في بكر و بهراء و لخم و جذام و غيرهم مائه ألف مقاتل و عليهم رجل من بلي فأقام المسلمون ليلتين ينظرون

ص: ٦٦

١-١) سورة مريم: ٧١.

٢-٢) سيره ابن هشام ٤٢٩، ٤٢٨: ٣.

فى أمرهم و قالوا نكتب إلى رسول الله ص فنخبره الخبر فإما أن يردنا أو يزيدنا رجالا فبينا الناس على ذلك من أمرهم جاءهم عبد الله بن رواحه فشجعهم و قال و الله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدده و لا كثره سلاح و لا كثره خيل إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به انطلقوا فقاتلوا فقد و الله رأينا يوم بدر و ما معنا إلا فرسان إنما هى إحدى الحُسَيْنَيْنِ إما الظهور عليهم فذاك ما وعدنا الله و رسوله و ليس لوعده خلف و إما الشهادة فلحق بالإخوان نرافقهم فى الجنان فشجع الناس على قول ابن رواحه .

قال الواقدى و روى أبو هريره قال شهدت مؤته فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد و السلاح و الكراع و الدباج و الحرير و الذهب فبرق بصرى فقال لى ثابت بن أرقم ما لك يا أبا هريره كأنك ترى جموعا كثيره قلت نعم قال لم تشهدنا ببدر إنا لم ننصر بالكثره.

قال الواقدى فالتقى القوم فأخذ اللواء زيد بن حارثه فقاتل حتى قتل طعنوه بالرماح ثم أخذه جعفر فنزل عن فرس له شقراء فعربها ثم قاتل حتى قتل.

قال الواقدى قيل إنه ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوقع أحد نصفيه فى كرم هناك فوجد فيه ثلاثون أو بضع و ثلاثون جرحا.

قال الواقدى و قد روى نافع عن ابن عمر أنه وجد فى بدن جعفر بن أبى طالب اثنتان و سبعون ضربه و طعنه بالسيوف و الرماح.

قال البلاذرى قطعت يده و لذلك

٤١٢٣

قال رسول الله ص لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما فى الجنة .

و لذلك سمي الطيار .

قال الواقدى ثم أخذ الرايه عبد الله بن رواحه فنكل يسيرا ثم حمل فقاتل

ص: ٦٧

حتى قتل فلما قتل انهزم المسلمون أسوأ هزيمه كانت فى كل وجه ثم تراجعوا فأخذ اللواء ثابت بن أرقم و جعل يصيح بالأنصار فثاب إليه منهم قليل فقال لخالد بن الوليد خذ اللواء يا أبا سليمان قال خالد لا بل خذه أنت فللك سن و قد شهدت بدرا قال ثابت خذه أيها الرجل فو الله ما أخذته إلا لك فأخذه خالد و حمل به ساعه و جعل المشركون يحملون عليه حتى دهمه منهم بشر كثير فانحاز بالمسلمين و انكشفوا راجعين.

قال الواقدى و قد روى أن خالدا ثبت بالناس فلم ينهزموا و الصحيح أن خالدا انهزم بالناس.

٤١٢٤

١٤- قال الواقدى حدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتاده أن النبى ص لما التقى الناس بمؤته جلس على المنبر و كشف له ما بينه و بين الشام فهو ينظر إلى معركتهم فقال أخذ الرايه زيد بن حارثه فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياه و كره إليه الموت و حبب إليه الدنيا فقال الآن حين استحکم الإيمان فى قلوب المؤمنين تحبب إلى الدنيا فمضى قدما حتى استشهد ثم صلى عليه و قال استغفروا له فقد دخل الجنة و هو يسعى ثم أخذ الرايه جعفر بن أبى طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياه و كره إليه الموت و مناه الدنيا فقال الآن حين استحکم الإيمان فى قلوب المؤمنين تتمنى الدنيا ثم مضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله ص و دعا له ثم قال استغفروا لأخيكم فإنه شهيد قد دخل الجنة فهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء ثم قال أخذ الرايه عبد الله بن رواحه ثم دخل معترضا فشق ذلك على الأنصار فقال رسول الله ص أصابته الجراح قيل يا رسول الله فما اعتراضه قال لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فشجع فاستشهد فدخل الجنة فسرى عن قومه

ص: ٤٨

١٤- و روى محمد بن إسحاق (١) قال لما ذكر رسول الله ص زيدا و جعفرا سكت عن عبد الله بن رواحه حتى تغيرت وجوه الأنصار و ظنوا أنه قد كان من عبد الله بعض ما يكرهون ثم قال أخذها عبد الله بن رواحه فقاتل حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا لى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير ابن رواحه ازورارا عن سريرى صاحبيه فقلت لم هذا فقليل لأنهما مضيا و تردد هذا بعض التردد ثم مضى

قال و روى محمد بن إسحاق أنه لما أخذ جعفر بن أبى طالب الرايه قاتل قتالا شديدا حتى إذا لحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعفرها ثم قاتل القوم حتى قتل (٢) فكان جعفر رضى الله عنه أول رجل عقر فرسه فى الإسلام .

قال محمد بن إسحاق و لما أخذ ابن رواحه الرايه جعل يتردد بعض التردد و يستقدم نفسه يستنزلها (٣) و قال أقسمت يا نفس لتنزلنه

ثم ارتجز أيضا فقال يا نفس إلا تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليت

ص: ٦٩

١- ١) سيره ابن هشام ٣:٤٣٦.

٢- ٢) بعدها فى ابن هشام ٣:٤٣٤، و هو يقول: يا حَبْذا الجَنَّة و اقترابها طيِّبه و باردا شرابها و الرُّوم روم قد دنا عذابها كافرهِ بعيدهِ أنسابها *علىّ إذ لاقيتها ضرابها*.

٣- ٣) ابن هشام: «يستنزل نفسه».

و ما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعلی فعلهما هدیت و إن تأخرت فقد شقیت.

ثم نزل عن فرسه فقاتل فأتاه ابن عم له ببضعة من لحم فقال اشدد بهذا صلبك فأخذها من يده فانتهش (١) منها نهشه ثم سمع الحطمه (٢) في ناحيه من الناس فقال و أنت يا ابن رواحه في الدنيا ثم ألقاها من يده و أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل (٣).

قال الواقدي حدثني داود بن سنان قال سمعت ثعلبه بن أبي مالك يقول انكشف خالد بن الوليد يومئذ بالناس حتى عيروا بالفرار و تشاءم الناس به.

٤١٢٦

١٤- قال و روى أبو سعيد الخدري قال أقبل خالد بالناس منهزمين فلما سمع أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف فجعلوا يحثون في وجوههم التراب و يقولون يا فرار أفررتم في سبيل الله فقال رسول الله ص ليسوا بالفرار و لكنهم كراة إن شاء الله .

٤١٢٧

١٤- قال الواقدي و قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ما لقي جيش بعثوا مبعثا ما لقي أصحاب مؤته من أهل المدينة لقوهم بالشر حتى إن الرجل ينصرف إلى بيته و أهله فيدق عليهم فيأبون أن يفتحوا له يقولون ألا- تقدمت مع أصحابك فقتلت و جلس الكبراء منهم في بيوتهم استحياء من الناس حتى أرسل النبي ص رجلا يقول لهم أنتم الكراة في سبيل الله فخرجوا .

٤١٢٨

١٤- قال الواقدي فحدثني مالك بن أبي الرجال عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر عن جدتها أسماء بنت عميس قالت أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر و أصحابه فأتاني رسول الله ص و قد منأت أربعين منا من آدم و عجت عجيني و أخذت بني فغسلت وجوههم و دهنتهم فدخلت على

ص: ٧٠

١- ١) انتهش منها: أخذ بفمه يسيرا.

٢- ٢) الحطمه: زحام الناس.

٣- ٣) سيره ابن هشام ٤٣٥، ٤٣٤: ٣.

رسول الله ص فقال يا أسماء أين بنو جعفر فجئت بهم إليه فضمهم و شمهم ثم ذرفت عيناه فبكى فقلت يا رسول الله لعله بلغك عن جعفر شيء قال نعم إنه قتل اليوم فقامت أصيح و اجتمع إلى النساء فجعل رسول الله ص يقول يا أسماء لا تقولى هجرا و لا تضربى صدرا ثم خرج حتى دخل على ابنته فاطمه رضى الله عنها و هى تقول وا عماه فقال على مثل جعفر فلتبكي الباكية ثم قال اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم

٤١٢٩

١٤- قال الواقدي و حدثني محمد بن مسلم عن يحيى بن أبي يعلى قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول أنا أحفظ حين دخل النبي ص على أمى فنعى إليها أبى فأنظر إليه و هو يمسح على رأسى و رأس أخى و عيناه تهراقان بالدمع حتى قطرت لحيته ثم قال اللهم إن جعفرا قدم إلى أحسن الثواب فاخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته ثم قال يا أسماء ألا أبشرك قالت بلى بأبى و أمى قال فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة قالت بأبى و أمى فأعلم الناس ذلك فقام رسول الله ص و أخذ بيدي يمسح بيده رأسى حتى رقى على المنبر و أجلسنى أمامه على الدرجة السفلى و إن الحزن ليعرف عليه فتكلم فقال إن المرء كثير بأخيه و ابن عمه ألا إن جعفرا قد استشهد و قد جعل الله له جناحين يطير بهما فى الجنة ثم نزل فدخل بيته و أدخلنى و أمر بطعام فصنع لنا و أرسل إلى أخى فتغدينا عنده غداء طيبا عمدت سلمى خادمته إلى شعير فطحنته ثم نشفته ثم أنضجته و آدمته بزيت و جعلت عليه فلفلا فتغديت أنا و أخى معه و أقمنا عنده ثلاثة أيام ندور معه فى بيوت نسائه ثم أرجعنا إلى بيتنا و أتانى رسول الله ص بعد ذلك و أنا أساوم فى شاه فقال اللهم بارك له فى صفقته فو الله ما بعت شيئا و لا اشتريت إلا بورك فيه

ص: ٧١

فصل فى ذكر بعض مناقب جعفر بن أبى طالب

روى أبو الفرج الأصفهاني فى كتاب مقاتل الطالبين أن كنيه جعفر بن أبى طالب أبو المساكين و قال و كان ثالث الإخوه من ولد أبى طالب أكبرهم طالب و بعده عقيل و بعده جعفر و بعده على و كل واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين [و على أصغرهم سنا]

(١) و أهمهم جميعا فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف (٢) و هى أول هاشميه ولدت لهاشمى و فضلها كثير و قربها من رسول الله ص و تعظيمه لها معلوم عند أهل الحديث.

و روى أبو الفرج لجعفر رضى الله عنه فضل كثير و قد ورد فيه حديث كثير

٤١٣٠

١٤- من ذلك أن رسول الله ص لما فتح خيبر قدم جعفر بن أبى طالب من الحبشه فالتزمه (٣) رسول الله ص و جعل يقبل بين عينيه و يقول ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحا بقدم جعفر أم بفتح خيبر .

٤١٣١

قال و قد روى خالد الحذاء عن عكرمه عن أبى هريره أنه قال ما ركب المطايا و لا ركب الكور (٤) و لا انتعل و لا احتذى النعال أحد بعد رسول الله ص أفضل من جعفر بن أبى طالب .

٤١٣٢

قال و قد روى عطيه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ص خير الناس حمزه و جعفر و على .

٤١٣٣

و قد روى جعفر بن محمد عن أبيه ع قال قال رسول الله ص خلق الناس من أشجار شتى و خلقت أنا و جعفر من شجره واحده أو قال من طينه واحده.

ص: ٧٢

١-١) من مقاتل الطالبين.

٢-٢) مقاتل الطالبين ٦٧، مع تصرف.

٣-٣) التزمه: اعتنقه.

٤-٤) الكور(بضم الكاف):الرحل بأداته.

قال و بالإسناد قال رسول الله ص لجعفر أنت أشبهت خلقى و خلقى.

و قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب كانت سن جعفر ع يوم قتل إحدى و أربعين سنه.

قال أبو عمر و قد روى ابن المسيب أن رسول الله ص قال مثل لى جعفر و زيد و عبد الله فى خيمه من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا و ابن رواحه فى أعناقهما صدودا و رأيت جعفرا مستقيما ليس فيه صدود فسألت فليل لى إنهما حين غشيهما الموت أعرضا و صدا بوجهيهما و أما جعفر فلم يفعل.

قال أبو عمر أيضا و روى عن الشعبى قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول كنت إذا سألت عمى عليا ع شيئا و يمنعنى أقول له بحق جعفر فيعطينى (١).

١٤- و روى أبو عمر أيضا فى حرف الزاى فى باب زيد بن حارثه أن رسول الله ص لما أتاه قتل جعفر و زيد بمؤته بكى و قال أخواى و مؤنساى و محدثاى

و اعلم أن هذه الكلمات التى ذكرها الرضى رحمه الله عليه ملتقطه من كتابه ع الذى كتبه جوابا عن كتاب معاويه النافذ إليه مع أبى مسلم الخولانى و قد ذكره أهل السيره فى كتبهم

١٤- روى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين عن عمر بن سعد عن أبى ورقاء قال جاء أبو مسلم الخولانى فى ناس من قراء أهل الشام إلى معاويه قبل مسير أمير المؤمنين ع إلى صفين فقالوا له يا معاويه علام تقاتل عليا و ليس لك

مثل صحبته و لا هجرته و لا قرابته و لا سابقته فقال (١) إني لا أدعى أن لى فى الإسلام مثل صحبته و لا مثل هجرته و لا قرابته (٢) و لكن خبرونى عنكم أ لستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما قالوا بلى قال فليدفع إلينا قتلته لنقتلهم به و لا قتال بيننا و بينه قالوا فاكتب إليه كتابا يأت به بعضنا فكتب مع أبى مسلم الخولانى من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن الله اصطفى محمدا بعلمه و جعله الأمين على وحيه و الرسول إلى خلقه و اجتبى له من المسلمين أعوانا أيدى الله تعالى بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام فكان أفضلهم فى الإسلام و أنصحهم لله و رسوله الخليفة من بعده ثم خليفه خليفته من بعد خليفته ثم الثالث الخليفة المظلوم عثمان فكلهم حسدت و على كلهم بغيت عرفنا ذلك فى نظرك الشرر و قولك الهجر و تنفسك (٣) الصعداء و إبطائك عن الخلفاء تقاد إلى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش (٤) حتى تبايع و أنت كاره ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسدا منك لابن عمك عثمان و كان أحقهم ألا- تفعل ذلك فى قرابته و صهره فقطعت رحمه و قبحت محاسنه و ألبت (٥) الناس عليه و بطنت و ظهرت حتى ضربت إليه آباط الإبل و قيدت إليه الإبل العراب و حمل عليه السلاح فى حرم رسول الله ص فقتل معك فى المحله و أنت تسمع فى داره الهائعه (٦) لا- تردع الظن و التهمه عن نفسك بقول و لا عمل و أقسم قسما صادقا لو قمت فيما كان من أمره مقاما واحدا تنهنه الناس

ص: ٧٤

-
- ١-١-١) صفين: «ما أقاتل عليا و أنا أدعى أن فى الإسلام مثل صحبته و لا هجرته و لا سابقته».
 - ١-١-٢) صفين: «ما أقاتل عليا و أنا أدعى أن فى الإسلام مثل صحبته و لا هجرته و لا سابقته».
 - ٣-٣) المخشوش: الذى جعل فى عظم أنفسه الخشاش، و هو بالكسر عويد يجعل فى أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع فى انقياده».
 - ٤-٤) ألبت الناس: جمعهم عليه.
 - ٥-٥) الهائعه: الصوت الشديد.
 - ٦-

عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحدا و لمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبه لعثمان و البغى عليه و أخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين (١) إيوأوك قتله عثمان فهم عضدك و أنصارك و يدك و بطانتك و قد ذكر لى أنك تتصل من دمه فإن كنت صادقا فأمكنا من قتلته نقتلهم به و نحن أسرع الناس إليك و إلا فإنه ليس لك و لأصحابك إلا السيف و الذى لا إله إلا هو لنطلبن قتله عثمان فى الجبال و الرمال و البر و البحر حتى يقتلهم الله أو لتلحقن أرواحنا بالله و السلام (٢) .

قال نصر فلما قدم أبو مسلم على على ع بهذا الكتاب قام فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإنك قد قمت بأمر وليته و و الله ما أحب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك إن عثمان قتل مسلما محرما مظلوما فادفع إلينا قتلته و أنت أميرنا فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصره و ألسنتنا لك شاهده و كنت ذا عذر و حجه فقال له على ع اغد على غدا فخذ جواب كتابك فانصرف ثم رجع من غد ليأخذ جواب كتابه فوجد الناس قد بلغهم الذى جاء فيه قبل فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملئوا المسجد فنادوا كلنا قتله عثمان و أكثروا من النداء بذلك و أذن لأبى مسلم فدخل فدفع على ع جواب كتاب معاويه فقال أبو مسلم لقد رأيت قوما ما لك معهم أمر قال و ما ذاك قال بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتله عثمان فضجوا و اجتمعوا و لبسوا السلاح و زعموا أنهم قتله عثمان فقال على ع و الله ما أردت أن أدفعهم إليكم طرفه عين قط لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينه فما رأيتته ينبغى لى أن أدفعهم إليك و لا إلى غيرك فخرج أبو مسلم بالكتاب و هو يقول الآن طاب الضراب

ص: ٧٥

١- ١) ظنين: متهم صفين.

٢- ٢) ٩٧،٩٨.

و كان جواب على ع من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن أخا خولان قدم على بكتاب منك تذكر فيه محمدا ص و ما أنعم الله به عليه من الهدى و الوحي فالحمد لله الذى صدقه الوعد و أيدته (١) بالنصر و مكن له فى البلاد و أظهره على أهل العداوه (٢) و الشنثان من قومه الذين وثبوا عليه و شنفوا (٣) له و أظهروا تكذيبه (٤) و بارزوه بالعداوه و ظاهروا على إخراجهم و على إخراج أصحابه و أهله و ألبوا عليه [العرب و جادلوهم على حربته]

(٥) و جهدوا فى أمره كل الجهد و قلبوا له الأمور حتى جاء الحق و ظهر أمر الله و هم كارهون و كان أشد الناس عليه تأليا (٦) و تحريضا أسرته و الأدنى فالأدنى من قومه إلا من عصم الله و ذكرت أن الله تعالى اجتنبى له من المسلمين أعوانا أيدته الله بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام فكان أفضلهم زعمت فى الإسلام و أنصحهم الله و لرسوله الخليفة و خليفه الخليفة و لعمرى إن مكانهما فى الإسلام لعظيم و إن المصائب بهما لجرح فى الإسلام شديد فرحمهما الله و جزاهما أحسن ما عملا و ذكرت أن عثمان كان فى الفضل تاليا فإن يك عثمان محسنا فسيجزيه الله بإحسانه و إن يك مسينا فسيلقى ربا غفورا لا يتعاضمه ذنب أن يغفره و لعمرى إنى لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم فى الإسلام و نصيحتهم الله و لرسوله أن يكون نصيبنا فى ذلك الأوفر إن محمدا ص لما دعا إلى الإيمان بالله و التوحيد له كنا أهل البيت أول من آمن به و صدقه فيما جاء فبتنا أحوالا كاملة مجرمه (٧) تامه و ما يعبد الله فى ربع ساكن من

ص: ٧٦

١-١ (١) صفين: «و تمم له النصر».

٢-٢ (٢) صفين: «العداء» و هو يوافق ما فى ا.

٣-٣ (٣) شنف له، أى أبغضه.

٤-٤ (٤) صفين: «التكذيب».

٥-٥ (٥) من صفين.

٦-٦ (٦) صفين: «إلبا».

٧-٧ (٧) مجرمه، أى كامله.

العرب غيرنا فأراد قومنا قتل نبينا و اجتياح أصلنا و هموا بنا الهموم و فعلوا بنا الأفاعيل و منعونا الميره (١) و أمسكوا عنا العذب و أحلسونا الخوف (٢) و جعلوا علينا الأرصاد و العيون و اضطرونا إلى جبل وعر و أوقدوا لنا نار الحرب و كتبوا بينهم كتابا لا يؤاكلوننا و لا يشاربوننا و لا يناكحوننا و لا يبايعوننا و لا نأمن منهم حتى ندفع إليهم محمدا فيقتلوه و يمثلوا به فلم نكن نأمن فيهم إلا- من موسم إلى موسم فعزم الله لنا على منعه و الذب عن حوزته و الرمي من وراء حرمة و القيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف بالليل و النهار فمؤمنا يرجو بذلك الثواب و كافرنا يحامى عن الأصل و أما من أسلم من قريش فإنهم مما نحن فيه خلاء منهم الحليف الممنوع و منهم ذو العشيره التى تدافع عنه فلا يبغيه أحد مثل ما بغانا به قومنا من التلغف فهم من القتل بمكان (٣) نجوه و أمن فكان ذلك ما شاء الله أن يكون ثم أمر الله تعالى رسوله بالهجره و أذن له بعد ذلك فى قتال المشركين فكان إذا احمر البأس و دعيت نزال (٤) أقام أهل بيته فاستقدموا فوقى أصحابه بهم حد الأسنه و السيوف فقتل عبيده يوم بدر و حمزه يوم أحد و جعفر و زيد يوم مؤته و أراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذى أرادوا من الشهاده مع النبى ص غير مره إلا أن آجالهم عجلت و منيته أخرت و الله ولى الإحسان إليهم و المنه عليهم بما أسلفوا من أمر الصالحات فما سمعت بأحد و لا رأيتته هو أنصح فى طاعه رسوله و لا- لنيبه و لا أصبر على اللأواء (٥) و السراء و الضراء و حين البأس و مواطن المكروه مع النبى ص من هؤلاء النفر الذين سميت لك و فى المهاجرين خير كثير يعرف جزاهم الله خيرا بأحسن

ص: ٧٧

١-١) الميره بالكسر: ما يجلب؛ و يريد بالعذب الماء.

٢-٢) أحلسونا الخوف؛ أى ألزمناه.

٣-٣) انظر صفين ١١١، ١٠٠.

٤-٤) دعيت نزال، كقطام؛ أى تنازلوا للحرب.

٥-٥) اللأواء: الشده.

أعمالهم و ذكرت حسدى الخلفاء و إبطائى عنهم و بغيى عليهم فأما البغى فمعاذ الله أن يكون و أما الإبطاء عنهم و الكراهيه لأمرهم فلست أعتذر إلى الناس من ذلك إن الله تعالى ذكره لما قبض نبيه ص قالت قريش منا أمير و قالت الأنصار منا أمير فقالت قريش منا محمد نحن أحق بالأمر فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولاية و السلطان فإذا استحقوها بمحمد ص دون الأنصار فإن أولى الناس بمحمد أحق به منهم و إلا فإن الأنصار أعظم العرب فيها نصيبا فلا أدري أصحابى سلموا من أن يكونوا حقى أخذوا أو الأنصار ظلموا بل عرفت إن حقى هو المأخوذ و قد تركته لهم تجاوزا لله عنهم و أما ما ذكرت من أمر عثمان و قطيعتى رحمه و تأليبي عليه فإن عثمان عمل ما قد بلغك فصنع الناس به ما رأيت و إنك لتعلم أنى قد كنت فى عزله عنه إلا أن تتجنى فتجن (١) ما بدا لك و أما ما ذكرت من أمر قتله عثمان فإنى نظرت فى هذا الأمر و ضربت أنفه و عينه فلم أر دفعهم إليك و لا- إلى غيرك و لعمرى لئن لم تنزع عن غيرك و شقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك أن تطلبهم فى بر و لا بحر و لا سهل و لا جبل و قد أتانى أبوك حين ولى الناس أبا بكر فقال أنت أحق بمقام محمد و أولى الناس بهذا الأمر و أنا زعيم لك بذلك على من خالف ابسط يدك أبايعك فلم أفعل و أنت تعلم أن أباك قد قال ذلك و أرادته حتى كنت أنا الذى آييت لقرب عهد الناس بالكفر مخافه الفرقه بين أهل الإسلام فأبوك كان أعرف بحقى منك فإن تعرف من حقى ما كان أبوك يعرف تصب رشدك و إن لم تفعل فسيغنى الله عنك و السلام

(٢)

ص: ٧٨

١- (١) تجنى عليه: ادعى ذنبا لم يجنه.

٢- (٢) صفين ٩٨-١٠٢.

وَ كَيْفَ أَنْتَ صَائِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِرَبِّتَيْهَا وَ خَدَعَتْ بِلَدَّتَيْهَا دَعْتَكَ فَأَجَبْتَهَا وَ قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا وَ أَمَرْتَكَ فَاطَّعْتَهَا وَ إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ [مُنْج]

مَجْنٌ فَاقْعَسَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَ خُذْ أَهْبَهُ الْحِسَابِ وَ شَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ وَ لَا تُتَمَكِّنِ الْغُورَاهُ مِنْ سَمْعِكَ وَ إِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ وَ بَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وَ جَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَ الدَّمِ وَ مَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سِيَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَ وُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَهْدٍ سَابِقٍ وَ لَا شَرَفٍ بَاسِقٍ وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَ أُحِذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي غَرِّهِ الْأُمِّيَّةِ مُخْتَلِفِ الْعَلَانِيَةِ وَ السَّرِيرَةِ وَ قَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعَى النَّاسَ جَانِبًا وَ اخْرُجْ إِلَيَّ وَ أَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَ الْمُعْطَى عَلَى بَصِيرِهِ فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ حَيْدِكَ وَ أَخِيكَ وَ خَالِكَ شَدْخَا يَوْمَ بَيْدَرٍ وَ ذَلِكَ السَّيْفُ مَعِيَ وَ بِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي مَا اسْتَبَدَلْتُ دِينًا وَ لَا اسْتَحَدَّثْتُ نَبِيًّا وَ إِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَ دَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ وَ زَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِرًا بِدَمِ عُثْمَانَ وَ لَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ

مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضَعُ مِنْ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّكَ ضَعِيحُ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي
جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاهِدَةٌ أَوْ مُبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ .

الجلابيب جمع جلباب و هي الملحفه فى الأصل و استعير لغيرها من الثياب و تجلبب الرجل جلببه و لم تدغم لأنها ملحقه
بدخرجه.

قوله و تبهجت بزيتها صارت ذات بهجه أى زينه و حسن و قد بهج الرجل بالضم و يوشك يسرع.

و يقفك واقف يعنى الموت و يروى و لا ينحيك مجن و هو الترس و الروايه الأولى أصح.

قوله فاقعس عن هذا الأمر أى تأخر عنه و الماضى قعس بالفتح و مثله تقاعس و اقعنسس.

و أهبه الحساب عدته و تأهب استعد و جمع الأهبه أهب.

و شمر لما قد نزل بك

أى جد و اجتهد و خف و منه رجل شمري بفتح الشين و تكسر.

و الغواه جمع غاو و هو الضال.

قوله و إلا تفعل يقول و إن كنت لا تفعل ما قد أمرتك و وعظتك به فإنى أعرفك من نفسك ما أغفلت معرفته.

إنك مترف

و المترف الذى قد أترفه النعمه أى أطغته

قد أخذ الشيطان منك مأخذه

و يروى مأخذه بالجمع أى تناول الشيطان منك لبك و عقلك و مأخذه مصدر أى تناولك الشيطان تناوله المعروف و حذف مفعول أخذ لدلاله الكلام عليه و لأن اللفظه تجرى مجرى المثل.

قوله و جرى منك مجرى الروح و الدم هذه

٤١٣٩

كلمه رسول الله ص إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم .

ثم خرج ع إلى أمر آخر فقال لمعاويه و متى كنتم ساسه الرعيه و ولاه أمر الأمه ينبغي أن يحمل هذا الكلام على نفى كونهم ساده و ولاه فى الإسلام و إلا فى الجاهليه لا ينكر رئاسه بنى عبد شمس و لست أقول برياستهم على بنى هاشم و لكنهم كانوا رؤساء على كثير من بطون قريش ألا ترى أن بنى نوفل بن عبد مناف ما زالوا أتباعا لهم و أن بنى عبد شمس كانوا فى يوم بدر قادة الجيش كان رئيس الجيش عتبه بن ربيعه و كانوا فى يوم أحد و يوم الخندق قادة الجيش كان الرئيس فى هذين اليومين أبا سفيان بن حرب و أيضا فإن فى لفظه أمير المؤمنين ع ما يشعر بما قلناه و هو قوله و ولاه أمر الأمه فإن الأمه فى العرب هم المسلمون أمه محمد ص .

قوله ع بغير قدم سابق يقال لفلان قدم صدق أى سابقه و أثره حسنه.

قوله ع و لا شرف باسق أى عال .

و تمادى تفاعل من المدى و هو الغايه أى لم يقف بل مضى قدما.

و الغره الغفله و الأمنيه طمع النفس و مختلف السريره و العلانيه منافق .

قوله ع فدع الناس جانبا منصوب على الظرف.

ص: ٨١

و المرين على قلبه المغلوب عليه من قوله تعالى كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١) و قيل الرين الذنب على القريب.

و إنما قال أمير المؤمنين ع لمعاوية هذه الكلمه لأن معاويه قالها فى رساله كتبها

٤١٤٠

١٤- و وقفت عليها من كتاب أبى العباس يعقوب بن أبى أحمد الصيمرى الذى جمعه من كلام على ع و خطبه و أولها أما بعد فإنك المطبوع على قلبك المغطى على بصرك الشر من شيمتك و العتو من خليقتك فشمر للحرب و اصبر للضرب فوالله ليرجعن الأمر إلى ما علمت و العاقبه للمتقين هيهات هيهات أخطأك ما تمنى و هوى قلبك فيما هوى فأربع على ظلعك و قس شبرك بفترك تعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه و يفصل بين أهل الشك علمه و السلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين ع أما بعد يا ابن صخر يا ابن اللعين يزن الجبال فيما زعمت حلمك و يفصل بين أهل الشك علمك و أنت الجاهل القليل الفقه المتفاوت العقل الشارد عن الدين و قلت فشمر للحرب و اصبر فإن كنت صادقاً فيما تزعم و يعينك عليه ابن النابغه فدع الناس جانباً و أعف الفريقين من القتال و ابرز إلى لتعلم أين المرين على قلبه المغطى على بصره فأنا أبو الحسن حقاً قاتل أخيك و خالك و جدك شدخا يوم بدر و ذلك السيف معى و بذلك القلب ألقى عدوى

ص: ٨٢

(١-١) سورة المطففين ١٤.

قوله ع شدخا الشدخ كسر الشىء الأجوف شدخت رأسه فانشدخ وهؤلاء الثلاثة حنظله بن أبى سفيان و الوليد بن عتبه و أبوه عتبه بن ربيعه فحنظله أخوه و الوليد خاله و عتبه جده و قد تقدم ذكر قتله إياهم فى غزاه بدر .

و الثائر طالب الثأر و قوله قد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك يريد به إن كنت تطلب ثأرك من عند من أجلب و حاصر فالذى فعل ذلك طلحه و الزبير فاطلب ثأرك من بنى تميم و من بنى أسد بن عبد العزى و إن كنت تطلبه ممن خذل فاطلبه من نفسك فإنك خذلته و كنت قادرا على أن ترفده (١) و تمده بالرجال فخذلته و قعدت عنه بعد أن استنجدك و استغاث بك .

و تضحج تصوت و الجاحده المنكره و الحائده العادله عن الحق.

و اعلم أن قوله و كأنى بجماعتك يدعوننى جزعا من السيف إلى كتاب الله تعالى إما أن يكون فراسه نبويه صادقه و هذا عظيم و إما أن يكون إخبارا عن غيب مفصل و هو أعظم و أعجب و على كلا الأمرين فهو غاية العجب و قد رأيت له ذكر هذا المعنى فى كتاب غير هذا و هو أما بعد فما أعجب ما يأتينى منك و ما أعلمنى بمنزلتك التى أنت إليها صائر و نحوها سائر و ليس إبطائى عنك إلا لوقت أنا به مصدق و أنت به مكذب و كأنى أراك و أنت تضحج من الحرب و إخوانك يدعوننى خوفا من السيف إلى كتاب هم به كافرون و له جاحدون.

٤١٤١

١- و وقفت له ع على كتاب آخر إلى معاويه يذكر فيه هذا المعنى أوله أما بعد فطالما دعوت أنت و أولياؤك أولياء الشيطان الحق أساطير و نبذتموه وراء

ص: ٨٣

١- ١) ترفده: تعينه.

ظهوركم و حاولتم إطفاءه بأفواهكم وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١) و لعمرى لينفذ العلم فيك و ليتمن النور بصغرك و قماءتك و لتخسأن طريدا مدحورا أو قتيلا مثورا (٢) و لتجزين بعملك حيث لا ناصر لك و لا مصرخ (٣) عندك و قد أسهبت في ذكر عثمان و لعمرى ما قتله غيرك و لا خذله سواك و لقد تربصت به الدوائر و تمنيت له الأمانى طمعا فيما ظهر منك و دل عليه فعلك و إنى لأرجو أن ألحقك به على أعظم من ذنبه و أكبر من خطيئته فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف و إن قائمه لفى يدي و قد علمت من قتلت به من صناديد بنى عبد شمس و فراغنه بنى سهم و جمح و بنى مخزوم و أيتمت أبناءهم و أيتم نساءهم (٤) و أذكرك ما لست له ناسيا يوم قتلت أخاك حنظله و جررت برجله إلى القليب (٥) و أسرت أخاك عمرا فجعلت عنقه بين ساقيه رباطا و طلبتك ففررت و لك حصاص (٦) فلو لا- أنى لا- أتبع فارا لجعلتك ثالثهما و أنا أولى لك بالله إليه بره غير فاجره لئن جمعتنى و إياك جوامع الأقدار لأتركنك مثلا يتمثل به الناس أبدا و لأجمععن بك فى مناخك حتى يحكم الله بينى و بينك وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ و لئن أنسا (٧) الله فى أجلى قليلا لأغزينك سرايا المسلمين و لأنهدن إليك فى جحفل من المهاجرين و الأنصار ثم لا- أقبل لك معذره و لا شفاعه و لا أجيبك إلى طلب و سؤال و لترجعن إلى تحيرك و ترددك و تلددك فقد شاهدت و أبصرت و رأيت

ص: ٨٤

١-١ (١) سورة التوبه ٣٢.

٢-٢ (٢) مثورا: هالكا؛ أو مصروفا عن الخير.

٣-٣ (٣) المصرخ: المستغيث.

٤-٤ (٤) أيتم نساءهم؛ أى تركتهن بلا أزواج.

٥-٥ (٥) القليب: البئر.

٦-٦ (٦) الحصاص: شده العدو.

٧-٧ (٧) أنسا الله فى أجلى؛ أى أخره قليلا.

سحب الموت كيف هطلت عليك بصيبيها (١) حتى اعتصمت بكتاب أنت و أبوك أول من كفر و كذب بنزوله و لقد كنت تفرستها و آذنتك أنك فاعلها و قد مضى منها ما مضى و انقضى من كيدك فيها ما انقضى و أنا سائر نحوك على أثر هذا الكتاب فاختر لنفسك و انظر لها و تداركها فإنك إن فطرت و استمرت على غيبيك و غلوائك (٢) حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور و منعت أمرا هو اليوم منك مقبول يا ابن حرب إن لجاجك في منازعه الأمر أهله من سفاه الرأي فلا يطمعك أهل الضلال و لا- يوبقنك سفه رأى الجهال فو الذى نفس على بيده لئن برقت فى وجهك بارقه من ذى الفقار لتصعقن صعقه لا تفيق منها حتى ينفخ فى الصور النفخه التى يئس الكفار من أصحاب القبور (٣).

قلت سألت النقيب أبا زيد عن معاويه هل شهد بدرا مع المشركين فقال نعم شهدا ثلاثه من أولاد أبى سفيان حنظله و عمرو و معاويه قتل أحدهم و أسر الآخر و أفلت معاويه هاربا على رجله فقدم مكة و قد انتفخ قدماه و ورمت ساقاه فعالج نفسه شهرين حتى برأ.

قال النقيب أبو زيد و لا خلاف عند أحد أن عليا ع قتل حنظله و أسر عمرا أخاه و لقد شهد بدرا و هرب على رجله من هو أعظم منهما و من أخيهما عمرو بن عبد ود فارس يوم الأحزاب شهدا و نجا هاربا على قدميه و هو شيخ كبير

ص: ٨٥

١-١) الصيب:المطر المنصب.

٢-٢) الغلواء:الكبر.

٣-٣) الممتحنه ١٢.

و ارتث (١) جريحا فوصل إلى مكة و هو وقيذ (٢) فلم يشهد أحدا فلما برأ شهد الخندق فقتله قاتل الأبطال و الذى فاتته يوم بدر استدركه يوم الخندق .

ثم قال لى النقيب رحمه الله أ ما سمعت نادره الأعمش و مناظره فقلت ما أعلم ما تريد فقال سأل رجل الأعمش و كان قد ناظر صاحبها له هل معاويه من أهل بدر أم لا فقال له أصلحك الله هل شهد معاويه بدرا فقال نعم من ذلك الجانب و اعلم أن هذه الخطبه قد ذكرها نصر بن مزاحم فى كتاب صفين على وجه يقتضى أن ما ذكره الرضى رحمه الله منها قد ضم إليه بعض خطبه أخرى و هذه عادته لأن غرضه التقاط الفصيح و البليغ من كلامه

٤١٤٢

١- و الذى ذكره نصر بن مزاحم هذه صورته من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبى سفيان سلام على من أتبع الهدى فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإنك قد رأيت مرور الدنيا و انقضاءها و تصرفها بأهلها و خير ما اكتسب من الدنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى و من يقس الدنيا بالآخره يجد بينهما بعيدا و اعلم يا معاويه أنك قد ادعيت أمرا لست من أهله (٣) لا فى القديم و لا فى الحديث (٤) و لست تقول فيه بأمر بين يعرف له أثر (٥) و لا عليك منه شاهد من كتاب الله (٦) و لست متعلقا بآيه من

ص: ٨٦

١- ١) ارتث جريحا: حمل من المعركة رثيا؛ أى جريحا و به رمق.

٢- ٢) الوقيذ: الشديد المرض، المشرف على الهلاك.

٣- ٣- ٣) صفين: «لا فى القدم و لا فى الولاية».

٤- ٣- ٣) صفين: «لا فى القدم و لا فى الولاية».

٥- ٥) من صفين.

٦-

كتاب الله و لا عهد من رسول الله ص فكيف أنت صانع (١) إذا انقضت عنك غيابه ما أتت فيه من دنيا قد فتنت بزینتها و ركنت إلى لذاتها (٢) و خلی بینك و بین عدوك فيها و هو عدو و كلب مذل جاهد ملیح (٣) ملح مع ما قد ثبت فی نفسك من جهتها دعتك فأجبتها و قادتک فاتبعتها و أمرتك فأطعتها فاقعس (٤) عن هذا الأمر و خذ أهبة الحساب فإنه یوشك أن یقفك واقف علی ما لا یجئک (٥) مجن و متی كنتم یا معاویه ساسه الرعیه أو ولاه لأمر هذه الأمة بلا قدم حسن و لا شرف تلید علی قومكم فاستیقظ من سنتك و ارجع إلى خالقك و شمر لما سینزل بك و لا تمكن عدوك الشیطان من بغیته فیک مع أنى أعرف أن الله و رسوله صادقان نعوذ (٦) بالله من لزوم سابق الشقاء و إلا تفعل فإنی أعلمك ما أغفلت من نفسك إنك مترف قد أخذ منك الشیطان مأخذه فجرى منك مجرى الدم فی العروق و لست من أئمه هذه الأمة و لا من رعاتها و اعلم أن هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأیدیهم لحسدوناه و لامتنوا علینا به و لكنه قضاء ممن منحناه و اختصنا به علی لسان نبیه الصادق المصدق لا أفصح من شك بعد العرفان و البینه رب احکم بیننا و بین عدونا بالحق و أنت خیر الحاکمین (٧) .

قال نصر (٨) فكتب معاویه إليه الجواب (٩) من معاویه بن أبی سفیان إلى علی بن أبی طالب أما بعد فدع الحسد فإنك طالما لم تنتفع به و لا تفسد سابقه

ص: ٨٧

- ١-١-١ صفین: «إذا انقضت عنك جلابیب ما أنت فیہ من دنیا أبهجت بزینتها، و ركنت إلى لذتها».
- ١-١-٢ صفین: «إذا انقضت عنك جلابیب ما أنت فیہ من دنیا أبهجت بزینتها، و ركنت إلى لذتها».
- ٣-٣ أقعس عن هذا الأمر؛ أى تأخر.
- ٤-٤ كذا فی صفین و ا، و فی ب: «یخیبك».
- ٥-٥ صفین: «فنعوذ».
- ٦-٦ صفین ١٢٢، ١٢١.
- ٧-٧-٧ صفین: «فكتب معاویه بسم الله الرحمن الرحیم».

-٨

-٩

جهادك بشره نخوتك فإن الأعمال بخواتيمها ولا تمحص سابقتك بقتال من لا حق لك في حقه (١) فإنك إن تفعل لا تضر بذلك إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك ولا تبطل إلا حجتك و لعمرى إن ما مضى لك من السابقات لشبيهه أن يكون محوقا لما اجترأت عليه من سفك الدماء و خلاف أهل الحق فاقراً السوره التي يذكر فيها الفلق و تعوذ من نفسك (٢) فإنك الحاسد إذا حسد .

(٣)

ص: ٨٨

-
- ١-١) حق الرجل و أحقه؛ إذا غلبه على الحق.
 - ٢-٢) صفين: «و تعوذ بالله من شر نفسك».
 - ٣-٣) صفين ١٢٣.

١١ و من وصيه له ع وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعِيدٍ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيُكْنِ مَعَسِكَرَكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ أَوْ سَفَاحِ الْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِذَاءٌ وَ دُونَكُمْ مَرَدًّا وَ لَتَكُنْ مَقَاتِلُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ وَ اجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ وَ مَنَاكِبِ الْهَضَابِ لِئَلَّا يَأْتِيَكُمْ الْعِيدُ مِنْ مَكَانٍ مَخَافِهِ أَوْ أَمْنٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّ مُتَقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ وَ عُيُونَ الْمُتَقَدِّمَةِ طَلَانِعُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانزِلُوا جَمِيعًا وَ إِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا وَ إِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرَّمَاحَ كِفَّةً وَ لَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً .

المعسكر بفتح الكاف موضع العسكر و حيث ينزل.

الأشرف

الأماكن العاليه و قبلها ما استقبلك منها و ضده الدبر.

و سفاح الجبال أسافلها حيث يسفح منها الماء.

و أثناء الأنهار ما انعطف منها واحدها ثنى و المعنى أنه أمرهم أن ينزلوا مسندين ظهورهم إلى مكان عال كالهضاب العظيمه أو الجبال أو منعطف الأنهار التي تجرى مجرى الخنادق على العسكر ليأمنوا بذلك من البيات و ليأمنوا أيضا من إتيان العدو لهم

ص: ٨٩

من خلفهم و قد فسر ذلك بقوله كيما يكون لكم رداء و الردء العون قال الله تعالى فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي (١).

و دونكم مردا

أى حاجزا بينكم و بين العدو .

ثم أمرهم بأن يكون مقاتلتهم بفتح التاء و هى مصدر قاتل من وجه واحد أو اثنين أى لا- تتفرقوا و لا يكن قتالكم العدو فى جهات متشعبه فإن ذلك أدعى إلى الوهن و اجتماعكم أدعى إلى الظفر ثم أمرهم أن يجعلوا رقباء فى صياصى الجبال و صياصى الجبال أعاليها و ما جرى مجرى الحصون منها و أصل الصياصى القرون ثم استعير ذلك للحصون لأنه يمتنع بها كما يمتنع ذو القرن بقرنه و مناكب الهضاب أعاليها لثلا يأتىكم العدو إما من حيث تأمنون أو من حيث تخافون.

قوله ع مقدمه القوم عيونهم المقدمه بكسر الدال و هم الذين يتقدمون الجيش أصله مقدمه القوم أى الفرقة المتقدمه و الطلائع طائفه من الجيش تبعث ليعلم منها أحوال العدو و قال ع المقدمه عيون الجيش و الطلائع عيون المقدمه فالطلائع إذا عيون الجيش .

ثم نهاهم عن التفرق و أمرهم أن ينزلوا جميعا و يرحلوا جميعا لثلا- يفجأهم العدو بغته على غير تعبته و اجتماع فيستأصلهم ثم أمرهم أن يجعلوا الرماح كفه إذا غشيهم الليل و الكاف مكسوره أى اجعلوها مستديره حولكم كالدائره و كل ما استدار كفه بالكسر نحو كفه الميزان و كل ما استطال كفه بالضم نحو كفه الثوب و هى حاشيته و كفه الرمل و هو ما كان منه كالحبل.

ثم نهاهم عن النوم إلا غرارا أو مضمضه و كلا اللفظتين ما قل من النوم.

ص : ٩٠

و قال شبيب الخارجى الليل يكفيك الجبان و يصف الشجاع.

و كان إذا أمسى قال لأصحابه أتاكم المدد يعنى الليل.

قيل لبعض الملوك بيت عدوك قال أكره أن أجعل غلبتى سرقه.

و لما فصل قحطبه من خراسان و فى جملته خالد بن برمك بينا هو على سطح بيت فى قرية نزلاها و هم يتغدون نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر فقال خالد لقحطبه أيها الأمير ناد فى الناس يا خيل الله اركبى فإن العدو قد قرب منك و عامه أصحابك لن يسرجوا و يلجموا حتى يروا سرعان (١) الخيل فقام قحطبه مذعورا فلم ير شيئا يروعه و لم يعاين غبارا فقال لخالد ما هذا رأى فقال أيها الأمير لا تتشاغل بى و ناد فى الناس أ ما ترى أقاطيع الوحوش قد أقبلت و فارقت مواضعها حتى خالطت الناس و إن وراءها لجمعا كثيفا قال فو الله ما أسرجوا و لا ألجموا حتى رأوا النقع (٢) و ساطع الغبار فسلموا و لو لا ذلك لكان الجيش قد اصطلم (٣)

ص: ٩١

١-١) سرعان الخيل: أوائلها.

٢-٢) النقع: الغبار.

٣-٣) اصطلم: استوصل و أبيد.

اتَّقِ اللَّهَ الَّذِى لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ وَسِرِّ الْبُرْدَيْنِ وَغَوَّرِ بِالنَّاسِ وَرَفَّهُ فِي السَّيْرِ وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا وَقَدَّرَهُ مُقَامًا لَا ظِعْنَأَ فَأَرْخِ فِيهِ يَدَنَكَ وَرَوْحَ ظَهْرِكَ فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَهِ اللَّهُ فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَحِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَيْطًا وَلَا تَدُنْ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوًّا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَاؤُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْدَارِ إِلَيْهِمْ .

معقل بن قيس

كان من رجال الكوفه و أبطالها و له رئاسه و قدم أوفده عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان لفتح تستر (١) و كان من شيعه على ع وجهه إلى بنى ساقه فقتل منهم و سبى و حارب المستورد بن علفه الخارجى

ص: ٩٢

١- (١) تستر، بضم أوله و سکون ثانيه و فتح ثالثه: أعظم مدينه بخوزستان.

من تميم الرباب فقتل كل واحد منهما صاحبه بدجله و قد ذكرنا خبرهما فيما سبق و معقل بن قيس رياحى من ولد رياح بن يربوع بن حنظله بن مالك بن زيد مناه بن تميم .

قوله ع و لا تقاتلن إلا من قاتلك نهى عن البغى.

و سر البردين

هما الغداه و العشى و هما الأبردان أيضا.

و وصاه أن يرفق بالناس و لا يكلفهم السير فى الحر.

قوله ع و غور بالناس انزل بهم القائله و المصدر التغوير و يقال للقائله الغائره.

قوله ع و رفه فى السير أى دع الإبل ترد رफها (١) و هو أن ترد الماء كل يوم متى شاءت و لا ترهقها و تجشمها السير و يجوز أن يكون قوله و رفه فى السير من قولك رفهت عن الغريم أى نفست عنه.

قوله ع و لا تسر أول الليل قد ورد فى ذلك خبر مرفوع و فى الخبر أنه حين تنشر الشياطين و قد علل أمير المؤمنين ع النهى بقوله فإن الله تعالى جعله سكنا و قدره مقاما لا ظعنا يقول لما امتن الله تعالى على عباده بأن جعل لهم الليل ليسكنوا (٢) فيه كره أن يخالفوا ذلك و لكن لقائل أن يقول فكيف لم يكره السير و الحركة فى آخره و هو من جمله الليل أيضا و يمكن أن يكون فهم من رسول الله ص أن الليل الذى جعل سكنا للبشر إنما هو من أوله إلى وقت السحر.

ص: ٩٣

١-١) أى ترد الماء كما شاءت.

٢-٢) و هو قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا . سورة يونس ٦٧.

ثم أمره ع بأن يريح فى الليل بدنه و ظهره و هى الإبل و بنو فلان مظهرون أى لهم ظهر ينقلون عليه كما تقول منجبون أى لهم نجائب.

قال الراوندى الظهر الخيول و ليس بصحيح و الصحيح ما ذكرناه.

قوله ع فإذا وقفت أى فإذا وقفت ثقلك و رحلك لتسير فليكن ذلك حين ينبطح السحر .

قال الراوندى فإذا وقفت ثم قال و قد روى فإذا واقفت قال يعنى إذا وقفت تجارب العدو و إذا واقفته و ما ذكره ليس بصحيح و لا روى و إنما هو تصحيف ألا تراه كيف قال بعده بقليل فإذا لقيت العدو و إنما مراده هاهنا الوصاه بأن يكون السير وقت السحر و وقت الفجر.

قوله ع حين ينبطح السحر أى حين يتسع و يمتد أى لا- يكون السحر الأول أى ما بين السحر الأول و بين الفجر الأول و أصل الانبطاح السعه و منه الأبطح بمكه و منه البطيحه و تبطح السيل أى اتسع فى البطحاء و الفجر انفجر انشق .

ثم أمره ع إذا لقي العدو أن يقف بين أصحابه وسطاً لأنه الرئيس و الواجب أن يكون الرئيس فى قلب الجيش كما أن قلب الإنسان فى وسط جسده و لأنه إذا كان وسطاً كانت نسبته إلى كل الجوانب واحده و إذا كان فى أحد الطرفين بعد من الطرف الآخر فربما يختل نظامه و يضطرب.

ثم نهاه ع أن يدنو من العدو دنو من يريد أن ينشب الحرب و نهاه أن يبعد منهم بعد من يهاب الحرب و هى البأس قال الله تعالى
وَ حِينَ الْبَأْسِ (١)

ص: ٩٤

أى حين الحرب بل يكون على حال متوسطه بين هذين حتى يأتيه الأمر من أمير المؤمنين ع لأنه أعرف بما تقتضيه المصلحه .

ثم قال له لا يحملنكم بغضكم لهم على أن تبدءوهم بالقتال قبل أن تدعوهم إلى الطاعه و تعذروا إليهم أى تصيروا ذوى عذر فى حربهم.

و الشنتان البغض بسكون النون و تحريكها

نبد من الأقوال الحكيمه فى الحروب

و

٤١٤٣

فى الحديث المرفوع لا تتمنوا العدو فعسى أن تبتلوا بهم و لكن قولوا اللهم اكفنا شرهم و كف عنا بأسهم و إذا جاءوك يعرفون أن يضجون فعليكم الأرض جلوسا و قولوا اللهم أنت ربنا و ربهم و بيدك نواصينا و نواصيهم فإذا غشوكم فثوروا فى وجوههم.

و كان أبو الدرداء يقول أيها الناس اعملوا عملا صالحا قبل الغزو فإنما تقاتلون بأعمالكم.

و أوصى أبو بكر يزيد بن أبى سفيان حين استعمله فقال سر على بركه الله فإذا دخلت بلاد العدو فكن بعيدا من الحمله فإنى لا آمن عليك الجوله و استظهر بالزاد و سر بالأدلاء و لا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه و احترس من البيات فإن فى العرب غره و أقلل من الكلام فإن ما وعى عنك هو عليك و إذا أتاك كتابى فأمضه فإنما أعمل على حسب إنفاذه و إذا قدم عليك وفود العجم فأنزلهم معظم عسكرك و أسبغ عليهم من النفقه و امنع الناس من محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين و لا

ص: ٩٥

تلحن فى عقبوه فإن أذناها وجيعه و لا تسرعن إليها و أنت تكتفى بغيرها و اقبل من الناس علانيتهم و كلهم إلى الله فى سريرتهم و لا تعرض عسكرك ففضحه و أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه.

و أوصى أبو بكر أيضا عكرمه بن أبى جهل حين وجهه إلى عمان فقال سر على اسم الله و لا تنزلن على مستأمن و قدم النذير بين يديك و مهما قلت إنى فاعل فافعله و لا تجعلن قولك لغوا فى عقبوه و لا عفو فلا ترجى إذا أمنت و لا تخاف إذا خوفت و انظر متى تقول و متى تفعل و ما تقول و ما تفعل و لا تتوعدن فى معصيه بأكثر من عقوبتها فإنك إن فعلت أثمت و إن تركت كذبت و اتق الله و إذا لقيت فاصبر.

و لما ولى يزيد بن معاويه سلم بن زياد خراسان قال له إن أباك كفى أخاه عظيما و قد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر منى فقد اتكلت على كفايه منك و إياك منى من قبل أن أقول إياك منك و اعلم أن الظن إذا أخلف منك أخلف فيك و أنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه و قد تبعك أبوك فلا تريحن نفسك و اذكر فى يومك أحاديث غدك.

و قال بعض الحكماء ينبغى للأمير أن يكون له سته أشياء وزير يثق به و يفشى إليه سره و حصن إذا لجأ إليه عصمه يعنى فرسا و سيف إذا نزل به الأقران لم يخف نبوته و ذخيره خفيفه المحمل إذا نابتة نائبه و جدها يعنى جوهرها و طباخ إذا أقرى من الطعام صنع له ما يهيج شهوته و امرأه جميله إذا دخل أذهبت همه

٤١٤٤

فى الحديث المرفوع خير الصحابه أربعة و خير السرايا أربعمائهن و خير الجيوش أربعة آلاف

ص: ٩٤

و لن يغلب اثنا عشر ألفا من قله إذا اجتمعت كلمتهم.

كان يقال ثلاثه من كُن فيه لم يفلح فى الحرب البغى قال الله تعالى إِنَّمَا بَعُثْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ (١) و المكر السيئ قال سبحانه وَ لَا يَحِيْقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ (٢) و النكث قال تعالى فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ (٣).

يقال خرجت خارجه بخراسان على قتيبه بن مسلم فأهمه ذلك فقبل ما يهملك منهم وجه إليهم وكيع بن أبى أسود يكفيك أمرهم فقال لا- أوجهه و إن وكيعا رجل فيه كبر و عنده بغى يحقر أعداءه و من كان هكذا قلت مبالاته بخصمه فلم يحترس فوجد عدوه فيه غره فأوقع به.

و فى بعض كتب الفرس إن بعض ملوكهم سأل أى مكايد الحرب أحزم فقال إذكاء العيون و استطلاع الأخبار و إظهار القوه و السرور و الغلبه و إمامته الفرق و الا-حتراس من البطانه من غير إقصاء لمن ينصح و لا انتصاح لمن يغش و كتمان السر و إعطاء المبلغين على الصدق و معاقبه المتوصلين بالكذب و ألا- تخرج هاربا فتوجه إلى القتال و لا- تضيق أمانا على مستأمن و لا تدهشك الغنيمه عن المجاوزه.

و فى بعض كتب الهند ينبغى للعاقل أن يحذر عدوه المحارب له على كل حال يهرب منه المواثبه إن قرب و الغاره إن بعد و الكمين إن انكشف و الاستطراد إن ولى و المكر إن رآه وحيدا و ينبغى أن يؤخر القتال ما وجد بدا فإن النفقه عليه من الأنفس و على غيره من المال

ص: ٩٧

١-١) سورة يونس ٢٣.

٢-٢) سورة فاطر ٤٣.

٣-٣) سورة الفتح ١٠.

وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمْمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّرِكُمَا مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فَاسْتَمِعَا لَهُ وَأَطِيعَا وَاجْعَلَاهُ دِرْعًا وَمِجْنًا فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهُنْهُ وَلَا سَقَطْتُهُ وَلَا بَطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعِ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَيَّ مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

فصل في نسب الأشر و ذكر بعض فضائله

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمه بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن عله بن خالد بن مالك بن أدد و كان فارسا شجاعا رئيسا من أكابر الشيعة و عظمائها شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين ع و نصره

٤١٤٥

و قال فيه بعد موته رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ص .

و لما قتت على ع على خمسة و لعنهم و هم معاويه و عمرو بن العاص و أبو الأعور السلمى و حبيب بن مسلمة و بسر بن أرطاه قنت معاويه على خمسة و هم على و الحسن و الحسين ع و عبد الله بن العباس و الأشر و لعنهم.

٤١٤٦

١،١٤- و قد روى أنه قال لما ولى على ع بنى العباس على الحجاز و اليمن و العراق فلما ذا قتلنا الشيخ بالأمس و إن عليا ع لما بلغت هذه الكلمة أحضره و لاطفه و اعتذر إليه و قال له فهل وليت حسنا أو حسينا أو أحدا من ولد جعفر أخى أو عقيلاً

ص: ٩٨

أو واحدا من ولده و إنما وليت ولد عمى العباس لأنى سمعت العباس يطلب من رسول الله ص الإيماره مرارا فقال له رسول الله ص يا عم إن الإيماره إن طلبتها و كلت (١) إليها و إن طلبتك أعنت عليها و رأيت بنيه فى أيام عمر و عثمان يجدون فى أنفسهم إذ ولى غيرهم من أبناء الطلقاء و لم يول أحدا منهم فأحببت أن أصل رحمهم و أزيل ما كان فى أنفسهم و بعد فإن علمت أحدا من أبناء الطلقاء هو خير منهم فأتنى به فخرج الأشر و قد زال ما فى نفسه

و قد روى المحدثون حديثا يدل على فضيله عظيمه للأشتر رحمه الله و هى شهاده قاطعه من النبى ص بأنه مؤمن

٤١٤٧

روى هذا الحديث أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الإستيعاب فى حرف الجيم فى باب جندب قال أبو عمر

(٢)

لما حضرت أبا ذر الوفاء و هو بالربذه (٣) بكت زوجته أم ذر فقال لها ما يبكيك فقالت ما لى لا أبكى و أنت تموت بفلاه من الأرض و ليس عندى ثوب يسعك كفنا و لا بد لى من (٤) القيام بجهازك فقال أبشرى و لا تبكى فإنى سمعت رسول الله ص يقول لا يموت بين امرئين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران و يحتسبان فيريان النار أبدا و قد مات لنا ثلاثة من الولد و سمعت أيضا رسول الله ص يقول لنفر أنا فيهم ليموتن أحداكم بفلاه من الأرض يشهده عصابه من المؤمنين و ليس من أولئك نفر أحد إلا و قد مات فى قريه و جماعه فأنا لا أشك ذلك الرجل و الله ما كذبت و لا كذبت فانظرى الطريق قالت أم ذر فقلت أنى و قد ذهب الحاج و تقطعت الطرق فقال اذهبى فتبصرى قالت فكنت

ص: ٩٩

١- ١) و كلت إليها، أى احتجت إليها و عجزت.

٢- ٢) بسنده عن علي بن المدينى، عن يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر. عن أبيه.

٣- ٣) الربذه: قريه على ثلاثة أميال من المدينه المنوره قريه من ذات عرق.

٤- ٤) الاستيعاب: «للقيام».

أشدد (١) إلى الكتيب فأصعد فأنظر ثم أرجع إليه فأمرضه فيينا أنا و هو على هذه الحال إذ أنا برجال على ركبهم (٢) كأنهم الرخم (٣) تخب بهم رواحلهم فأسرعوا إلى حتى وقفوا على وقالوا يا أمه الله ما لك فقلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه قالوا و من هو قلت أبو ذر قالوا صاحب رسول الله ص قلت نعم ففدوه بأبائهم و أمهاتهم و أسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فقال لهم أبشروا فأنى سمعت رسول الله ص يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاه من الأرض تشهده عصابه من المؤمنين و ليس من أولئك النفر إلا و قد هلك في قريه و جماعه و الله ما كذبت و لا كذبت و لو كان عندى ثوب يسعنى كفنا لى أو لامرأتى لم أكفن إلا- فى ثوب لى أو لها و إنى أنشدكم الله ألا- يكفنى رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو بريدا أو نقيبا قالت و ليس فى أولئك النفر أحد إلا و قد قارف بعض ما قال إلا فتى من الأنصار قال له أنا أكفئك يا عم فى ردائى هذا و فى ثوبين معى فى عيبتى من غزل أمة فقال أبو ذر أنت تكفنى فمات فكفنه الأنصارى و غسله النفر الذين حضروه و قاموا عليه و دفنوه فى نفر كلهم يمان (٤) .

روى أبو عمر بن عبد البر قبل أن يروى هذا الحديث فى أول باب جندب كان النفر الذين حضروا موت أبى ذر بالربذه مصادفه جماعه منهم حجر بن الأدبر و مالك بن الحارث الأشر (٥) .

قلت حجر بن الأدبر هو حجر بن عدى الذى قتله معاويه و هو من أعلام الشيعة و عظمائها و أما الأشر فهو أشهر فى الشيعة من أبى الهذيل فى المعتزله .

ص: ١٠٠

١- ١) أشدد: أعدو.

٢- ٢) الاستيعاب: «رحالهم».

٣- ٣) الرخم: جمع رخمه، الطائر المعروف.

٤- ٤) الاستيعاب: ٨٣.

٥- ٥) الاستيعاب: «و فتى من الأنصار دعتهن امرأته إليه فشهدوا موته، و غمضوا عينيه، و غسلوه و كفنوه فى ثياب الأنصارى، فى خبر عجيب حسن فيه طول».

قرئ كتاب الإستيعاب على شيخنا عبد الوهاب بن سكينه المحدث و أنا حاضر فلما انتهى القارئ إلى هذا الخبر قال أستاذى عمر بن عبد الله الدباس و كنت أحضر معه سماع الحديث لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت فما قال المرتضى و المفيد إلا بعض ما كان حجر و الأشر يعقدانه فى عثمان و من تقدمه فأشار الشيخ إليه بالسكوت فسكت.

و ذكرنا آثار الأشر و مقاماته بصفين فيما سبق.

و الأشر هو الذى عانق عبد الله بن الزبير يوم الجمل فاصطربا على ظهر فرسيهما حتى وقعا فى الأرض فجعل عبد الله يصرخ من تحته اقتلونى و مالكا فلم يعلم من الذى يعنيه لشده الاختلاط و ثوران النقع (١) فلو قال اقتلونى و الأشر لقتلا جميعا فلما افترقا قال الأشر أ عائش لو لا أننى كنت طاويا

و يقال إن عائشه فقدت عبد الله فسألت عنه فقيل لها عهدنا به و هو معانق للأشر فقالت وا ثكل أسماء و مات الأشر فى سنه تسع و ثلاثين متوجها إلى مصر واليا عليها لعلى ع قيل سقى سما و قيل إنه لم يصح ذلك و إنما مات حتف أنفه.

فأما ثناء أمير المؤمنين ع عليه فى هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل و لعمرى لقد كان الأشر أهلا لذلك كان شديد البأس جوادا

ص: ١٠١

١-١) النقع: الغبار.

رئيسا حلّما فصيحاً شاعراً و كان يجمع بين اللين و العنف فيسطو في موضع السطوه و يرفق في موضع الرفق

نبد من الأقوال الحكيمه

و من كلام عمر إن هذا الأمر لا يصلح إلا لقوى في غير عنف و لين في غير ضعف.

و كان أنو شروان إذا ولى رجلاً أمر الكاتب أن يدع في العهد موضع ثلاثه أسطر ليوقع فيها بخطه فإذا أتى بالعهد وقع فيه سس خيار الناس بالموده و سفلتهم بالإخافه و امزج العامه رهبه برغبه.

و قال عمر بن عبد العزيز إنى لأهم أن أخرج للناس أمرا من العدل فأخاف ألا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا فإن نفرت القلوب من ذاك سكنت إلى هذا.

و قال معاويه إنى لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى و لا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى و لو أن بينى و بين الناس شعره ما انقطعت فقيلى له كيف قال إذا مدوها خليتها و إذا خلوها مددتها.

و قال الشعبى فى معاويه كان كالجمل الطب إذا سكت عنه تقدم و إذا رد تأخر.

و قال ليزيد ابنه قد تبلغ بالوعيد ما لا تبلغ بالإيقاع و إياك و القتل فإن الله قاتل القتالين.

و أغلظ له رجل فحلّم عنه فقيلى له أ تحلم عن هذا قال إنا لا نحول بين الناس و ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا و بين سلطاننا.

و فخر سليم مولى زياد عند معاويه بن زياد فقال معاويه اسكت ويحك فما أدرك صاحبك بسيفه شيئا قط إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني.

و قال الوليد بن عبد الملك لأبيه ما السياسه يا أبت قال هيبه الخاصه لك مع صدق مودتها و اقتيادك قلوب العامه بالإنصاف لها و احتمال هفوات الصنائع.

و قد جمع أمير المؤمنين ع من أصناف الثناء و المدح ما فرقه هؤلاء في كلماتهم بكلمه واحده قالها في الأشر و هي قوله لا يخاف بطؤه عما الإسراع إليه أحزم و لا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل .

قوله ع و على من في حيز كما أى في ناحيتكما.

و المجن الترس.

و الوهن الضعف.

و السقطه الغلطه و الخطأ.

و هذا الرأي أحزم من هذا أى أدخل في باب الحزم و الاحتياط و هذا أمثل من هذا أى أفضل

ص: ١٠٣

لَا [تُقَاتِلُوهُمْ]

تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبِيدَ وَكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّهِ وَ تَزَكُّكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبِيدَ وَكُمْ حُجَّهِ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا وَلَا تُصَيِّبُوا مُعَوَّرًا وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى وَإِنْ شَتَمَنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَيَّبَنَ أَمْرَاءَكُمْ فَإِنَّهِنَّ ضَعِيفَاتُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ إِنْ كُنَّا لَنُؤَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهِنَّ وَإِنَّهِنَّ لَمْشْرِكَاتٌ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ فَيَعَيِّرُ بِهَا وَعَقَبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

نهى أصحابه عن البغى و الابتداء بالحرب و

٤١٤٨

قد روى عنه أنه قال ما نصرت على الأقران الذين قتلتهم إلا لأنى ما ابتدأت بالمبارزه .

و نهى إذا وقعت الهزيمة عن قتل المدبر و الإجهاز على الجريح و هو إتمام قتله.

قوله ع و لا تصيبوا معورا هو من يعتصم منك فى الحرب بإظهار عورته لتكف عنه و يجوز أن يكون المعور هاهنا المريب الذى يظن أنه من القوم و أنه حضر للحرب و ليس منهم لأنه حضر لأمر آخر.

قوله ع و لا تهيجوا النساء بأذى أى لا تحركوهن .

ص: ١٠٤

و الفهر الحجر و الهراوه العصا.

و عطف و عقبه على الضمير المستكن المرفوع فى فيعير و لم يؤكد للفصل بقوله بها كقوله تعالى مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا (١) لما فصل بلا عطف و لم يحتج إلى تأكيد

نبد من الأقوال الحكيمه

و مما ورد فى الشعر فى هذا المعنى قول الشاعر (٢) إن من أعظم الكبائر عندى

٤١٤٩

١- و قالت امرأه عبد الله بن خلف الخزاعى بالبصره لعلى ع بعد ظفره و قد مر ببابها يا على يا قاتل الأحبه لا مرحبا بك أيتم الله منك ولدك كما أيتمت بنى عبد الله بن خلف فلم يرد عليها و لكنه وقف و أشار إلى ناحيه من دارها ففهمت إشارته فسكتت و انصرفت و كانت قد سترت عندها عبد الله بن الزبير و مروان بن الحكم فأشار إلى الموضع الذى كانا فيه أى لو شئت أخرجتهما فلما فهمت انصرفت و كان ع حليما كريما .

و كان عمر بن الخطاب إذا بعث أمراء الجيوش يقول بسم الله و على عون الله

ص: ١٠٥

(١-١) سورة الأنعام ١٤٨.

(٢-٢) من أبيات تنسب لعمر بن أبى ربيعه، ملحق ديوانه: ٤٩٨.

و برکتہ فامضوا بتأييد الله و نصره أوصيكم بتقوى الله و لزوم الحق و الصبر فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله و لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ و لَا تَجِبُوا عِنْدَ اللِّقَاءِ و لَا تَمَثَلُوا عِنْدَ الغَارِ و لَا تَسْرِفُوا عِنْدَ الظُّهُورِ و لَا تَقْتُلُوا هَرَمًا و لَا أَمْرًا و لَا وَلِيدًا و تَوَقُّوا أَنْ تَطْشُوا هَوْلًا عِنْدَ التَّقَاءِ الزَّحْفِينَ و عِنْدَ حَمَةِ النُّهْضَاتِ و فِي شَنِ الغَارَاتِ و لَا تَغْلُوا عِنْدَ الغَنَائِمِ و نَزْهُوا الجِهَادَ عَنِ غِرْضِ الدُّنْيَا و أَبْشُرُوا بِالْأَرْبَاحِ فِي البَيْعِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ و ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ.

و استشار قوم أكثرهم بن صيفى فى حرب قوم أرادوهم و سألوه أن يوصيهم فقال أقلوا الخلاف على أمرائكم و اثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين (١) و رب عجله تهب (٢) ريثا.

و كان قيس بن عاصم المنقرى إذا غزا شهد معه الحرب ثلاثون من ولده يقول لهم إياكم و البغى فإنه ما بغى قوم قط إلا ذلوا قالوا فكان الرجل من ولده يظلم فلا ينتصف مخافه الذل.

قال أبو بكر يوم حنين لن نغلب اليوم من قله و كانوا اثني عشر ألفا فهزموا يومئذ هزيمة قبيحه و أنزل الله تعالى قوله و يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا (٣).

و كان يقال لا ظفر مع بغى و لا صحه مع نهم و لا ثناء مع كبر و لا سؤدد مع شح

ص: ١٠٦

١-١) الركين: العزيز الممتنع.

٢-٢) الريث: الإبطاء؛ و هو مثل.

٣-٣) سورة التوبة: ٢٥.

و من الكلمات المستحسنه فى سوء عاقبه البغى ما ذكره ابن قتبيبه فى كتاب عيون الأخبار إن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك سار بجنوده نحو بلاد الهياطله فلما انتهى إليهم اشتد رعب ملكهم أخشنوار منه و حذره فناظر أصحابه و وزراءه فى أمره (١) فقال رجل منهم أعطنى موثقا من الله و عهدا تطمئن إليه نفسى أن تكفينى الغم بأمر أهلى و ولدى و أن تحسن إليهم و تخلفنى فيهم ثم اقطع يدى و رجلى و ألقنى فى طريق فيروز حتى يمر بى هو و أصحابه و أنا أكفيك أمرهم (٢) و أورشطهم مورطا تكون فيه هلكتهم فقال له أخشنوار و ما الذى تنتفع به من سلامتنا و صلاح حالنا إذا أنت هلكت و لم تشاركنا فى ذلك فقال إنى قد بلغت ما كنت أحب أن أبلغ من الدنيا و أنا موقن أن الموت لا بد منه و إن تأخر أياما قليله فأحب أن أختم عملى بأفضل ما يختم به الأعمال من النصيحه بسطانى و النكايه فى عدوى فيشرف بذلك عقبى و أصيب سعادته و حظوه فيما أمامى.

ففعّل أخشنوار به ذلك و حمّله فألقاه فى الموضع الذى أشار إليه فمر به فيروز فى جنوده فسأله عن حاله فأخبره أن أخشنوار فعل به ما يراه و أنه شديد الأسف كيف لا يستطيع أن يكون أمام الجيش فى غزو بلاده و تخريب مدينته و لكنه سيدل الملك على طريق هو أقرب من هذا الطريق الذى يريدون سلوكه و أخفى فلا يشعر أخشنوار حتى يهجم عليه فينتقم الله منه بكم و ليس فى هذا الطريق من المكروه إلا تغور (٣) يومين ثم تفضون إلى كل ما تحبون.

ص: ١٠٧

١- ١) العيون: «أن تكفينى أهلى و ولدى».

٢- ٢) العيون: «أكفيك مئونتهم و أمرهم».

٣- ٣) التغور: إتيان الغور. و فى عيون الأخبار: تفويض يومين؛ أى السير فى المفازة.

فقبل فيروز قوله بعد أن أشار إليه وزراؤه بالاتهام له و الحذر منه [و بغير ذلك]

(١) فخالفهم و سلك تلك الطريق فانتهاوا بعد يومين إلى موضع من المفازة لا صدر لهم عنه و لا ماء معهم و لا بين أيديهم و تبين لهم أنهم قد خدعوا فترقوا في تلك المفازة يمينا و شمالا يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم و لم يسلم مع فيروز إلا عده يسيره فانتهى إليهم أحسنوار بجيشه فواقعهم في تلك الحال التي هم فيها من القله و الضر و الجهد فاستمكنوا منهم بعد أن أعظموا (٢) الكنايه فيهم.

و أسر فيروز فرغب أحسنوار أن يمن عليه و على من بقى من أصحابه على أن يجعل له عهد الله و ميثاقه ألا يغزوهم أبدا ما بقى و على أن يحد فيما بينه و بين مملكتهم حدا لا يتجاوزة جنوده فرضى أحسنوار بذلك فخلى سبيله و جعلاً بين المملكتين حجرا (٣) لا يتجاوزة كل واحد منهما.

فمكث فيروز برهه من دهره ثم حمله الأنف على أن يعود لغزو الهياطله و دعا أصحابه إلى ذلك فنهوه عنه و قالوا إنك قد عاهدته و نحن نتخوف عليك عاقبه البغى و الغدر مع ما فى ذلك من العار و سوء القاله (٤).

فقال لهم إنما اشترطت له ألا أجوز الحجر الذى جعلناه بيننا و أنا أمر بالحجر فيحمل أمامنا على عجل.

فقالوا أيها الملك إن العهود و المواثيق التى يتعاطاها الناس بينهم لا- تحمل على ما يسره المعطى لها و لكن على ما يعلن به المعطى إياها و إنما جعلت عهد الله و ميثاقه على الأمر الذى عرفه لا على الأمر الذى لم يخطر له ببال فأبى فيروز و مضى فى غزوته حتى انتهى إلى الهياطله و تصاف الفريقان للقتال

ص: ١٠٨

١-١) من عيون الأخبار.

٢-٢) عيون الأخبار: «و أعظموا النكايه».

٣-٣) عيون الأخبار: «حدا لا تجاوزه»:

٤-٤) القول فى الخير، و القاله فى الشر، و فى عيون الأخبار المقاله: «».

فأرسل أخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيهم فخرج إليه فقال له أخشنوار إني قد ظننت أنه لم يدعك إلى مقامك هذا إلا- الأنف مما أصابك و لعمرى إن كنا قد احتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمسنا أعظم منه و ما ابتدأناك ببغى و لا ظلم و ما أردنا إلا دفعك عن أنفسنا و حرينا و لقد كنت جديرا أن تكون من سوء مكافاتنا بمننا عليك و على من معك و من نقض العهد و الميثاق الذى أكدته على نفسك أعظم أنفا و أشد امتعاضا مما نالك منا فإننا أطلقناكم و أنتم أسارى و مننا عليكم و أنتم على الهلكة مشرفون و حقنا دماءكم و لنا على سفكها قدره و إنا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه و المرید لنا عليه ففكر فى ذلك و ميز بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشد عارا و أقبح سماعا إن طلب رجل أمرا فلم يقدر له و لم ينجح فى طلبته و سلك سبيلا فلم يظفر فيه ببغيته و استمكن منه عدوه على حال جهد و ضيعة منه و ممن هم معه.

فمن عليهم و أطلقهم على شرط شرطوه و أمر اصطلاحوا عليه فاصطبر (١) بمكروه القضاء و استحيا من الغدر و النكث أن يقال نقض العهد و أخفر (٢) الميثاق مع أنى قد ظننت أنه يزيدك لجاجة (٣) ما تثق به من كثره جنودك و ما ترى من حسن عدتهم و ما أجدنى أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شخوصك بهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق و دعوتهم إلى ما يسخط الله و أنهم فى حربنا غير مستبصرين و نياتهم على مناصحتك مدخوله.

فانظر ما قدر غناء من يقاتل على هذه الحال و ما عسى أن يبلغ نكايته فى عدوه إذا كان عارفا بأنه إن ظفر فمع عار و إن قتل فإلى النار و أنا أذكرك الله الذى جعلته

ص: ١٠٩

١-١ (١) عيون الأخبار: «فاضطر».

٢-٢ (٢) أخفر ميثاقه: نقض عهده؛ و فى عيون الأخبار: «خفر الميثاق».

٣-٣ (٣) عيون الأخبار: «نجاها».

على نفسك كفيلا و أذكرك نعمتي عليك و على من معك بعد ياسكم من الحياه و إشفائكم على الممات و أدعوك إلى ما فيه حظك و رشدك من الوفاء بالعهد و الاقتداء بآبائك و أسلافك الذين مضوا على ذلك في كل ما أحبه و كرهوه فأحمدوا عواقبه و حسن عليهم أثره.

و مع ذلك فإنك لست على ثقه من الظفر بنا و بلوغ نهمتك (١) فينا و إنما تلتمس أمرا يلتمس منك مثله و تنادى عدوا لعله يمنح النصر عليك فأقبل هذه النصيحة فقد بالغت في الاحتجاج عليك و تقدمت بالإعذار إليك و نحن نستظهر بالله الذى اعتذرنا إليه و وثقنا بما جعلت لنا من عهده إذا استظهرت بكثرة جنودك و ازدهتك عده أصحابك فدونك هذه النصيحة فبالله ما كان أحد من أصحابك يبالغ لك أكثر منها و لا يزيدك عليها و لا يحرمك منفعتها مخرجها منى فإنه ليس يزرى بالمنافع و المصالح عند ذوى الآراء صدورها عن الأعداء كما لا تحسن المضار أن تكون على أيدي الأصدقاء.

و اعلم أنه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مخاطبتي إياك ضعف من نفسى و لا من قله جنودى و لكنى أحببت أن ازداد بذلك حجه و استظهارا فأزداد به للنصر و المعونه من الله استيجابا و لا أوتر على العافيه و السلامه شيئا ما وجدت إليهما سيلا (٢).

فقال فيروز لست ممن يردعه عن الأمر بهم به الوعيد و لا يصده التهديد و الترهيب و لو كنت أرى ما أطلب غدرا منى إذا ما كان أحد أنظر و لا أشد إبقاء منى على نفسى و قد يعلم الله أنى لم أجعل لك العهد و الميثاق إلا بما أضمرت فى نفسى فلا يغرنك الحال التى كنت صادفتنا عليها من القله و الجهد و الضعف.

ص: ١١٠

١- ١) التهمه: الحاجه و الشهوه.

٢- ٢) فى عيون الأخبار بعدها: «فأبى فيروز إلا تعلقا لحجته فى الحجر الذى جعله حدا بينه و بينه».

فقال أخصنوار لا- يغرناك ما تخدع به نفسك من حملك الحجر أمامك فإن الناس لو كانوا يعطون العهود على ما تصف من إسرار أمر و إعلان آخر إذا ما كان ينبغي لأحد أن يغر بأمان أو يثق بعهد و إذا ما قبل الناس شيئاً مما كانوا يعطون من ذلك و لكنه وضع على العلانية و على نيه من تعقد له العهود و الشروط ثم انصرف.

فقال فيروز لأصحابه لقد كان أخصنوار حسن المحاوره و ما رأيت للفرس الذى كان تحته نظيراً فى الدواب فإنه لم يزل قوائمه و لم يرفع حوافره عن مواضعها و لا سهل و لا أحدث شيئاً يقطع به المحاوره فى طول ما توافقنا.

و قال أخصنوار لأصحابه لقد وافقت فيروز كما رأيتم و عليه السلاح كله فلم يتحرك و لم ينزع رجله من ركابه و لا حنى ظهره و لا التفت يمينا و لا شمالاً و لقد توركت أنا مرارا و تمطيت على فرسى و التفت إلى من خلفى و مددت بصرى فيما أمامى و هو منتصب ساكن على حاله و لو لا محاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى و إنما أراد بما وصفا من ذلك أن ينشر هذان الحديثان فى أهل عسكرهما فيشتغلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكرا.

فلما كان فى اليوم الثانى أخرج أخصنوار الصحيفه التى كتبها لهم فيروز و نصبها على رمح ليراها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره و بغيه و يخرجوا من متابعتة على هواه فما هو إلا- أن راوها حتى انتقض عسكرهم و اختلفوا و ما تلبثوا إلا يسيرا حتى انهزموا و قتل منهم خلق كثير و هلك فيروز فقال أخصنوار لقد صدق الذى قال لا مرد لما قدر و لا شىء أشد إحاله لمنافع الرأى من الهوى و اللجاج و لا- أضيع من نصيحه يمنحها من لا- يوطن نفسه على قبولها و الصبر على مكروهاها و لا أسرع عقوبه و أسوأ عاقبه من البغى و الغدر و لا أجلب لعظيم العار و الفضوح من الأنف و إفراط العجب (1)

ص: ١١١

١٥ و كان ع يقول إذا لقي العدو محاربا

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَ أُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكْنُونُ الشَّنَانِ وَ جَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَهُ نَبِيِّنَا وَ كَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَ تَشْتَتِ أَهْوَانِنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ .

أفضت القلوب

أى دنت و قربت و منه أفضى الرجل إلى امرأته أى غشيها و يجوز أن يكون أفضت أى بسرها فحذف المفعول.

و أنضيت الأبدان

هزلت و منه النضو و هو البعير المهزول .

و صرح انكشف و الشنآن البغضه.

و جاشت

تحركت و اضطربت.

و المراجل جمع مرجل و هى القدر.

و الأضغان الأحقاد واحدها ضغن .

و أخذ سديف مولى المنصور هذه اللفظه فكان يقول فى دعائه اللهم إنا نشكو

ص: ١١٢

إليك غيبه نبينا و تشنت أهوائنا و ما شملنا من زيغ الفتن و استولى علينا من غشوه الحيره حتى عاد فينا دوله بعد القسمه و إمارتنا غلبه بعد المشوره و عدنا ميراثا بعد الاختيار للأمه و اشترت الملاهي و المعازف بمال اليتيم و الأرمله و رعى في مال الله من لا يرعى له حرمه و حكم في أبطار المؤمنين أهل الذمه و تولى القيام بأموهم فاسق كل محله فلا ذائد يذودهم عن هلكه و لا راع ينظر إليهم بعين رحمه و لا ذو شفقه يشيع الكبد الحرى من مسغبه فهم أولو ضرع و فاقه و أسراء فقر و مسكنه و حلفاء كتابه و ذله اللهم و قد استحصد زرع الباطل و بلغ نهايته و استحكم عموده و استجمع طريده و حذف وليده و ضرب بجرانه فأتح له من الحق يدا حاصده تجذ سنامه و تهشم سوقه و تصرع قائمه ليستخفي الباطل بقبح حليته و يظهر الحق بحسن صورته .

و وجدت هذه الألفاظ في دعاء منسوب إلى علي بن الحسين زين العابدين ع و لعله من كلامه و قد كان سديف يدعو به

لَا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا وَ [وَطَّنُوا]

وَطَّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا وَ اذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ وَ الضَّرْبِ الطَّلْحَفِيِّ وَ أَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرُدُ لِلْفَشْلِ [وَ]

فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا وَ لَكِنْ اسْتَشَلُّمُوا وَ أَسْرُوا الْكُفْرَ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ .

قال لا تستصعبوا فره تفرونها بعدها كره تجبرون بها ما تكسر من حالكم و إنما الذي ينبغي لكم أن تستصعبوه فره لا كره بعدها و هذا حض لهم على أن يكروا و يعودوا إلى الحرب إن وقعت عليهم كسره.

و مثله قوله و لا جوله بعدها حملة و الجوله هزيمه قريبه ليست بالممعنه (١).

و اذمروا أنفسكم

من ذمره على كذا أى حظه عليه و الطعن الدعسى الذى يحشى به أجواف الأعداء و أصل الدعس الحشو دعست الوعاء حشوته.

و ضرب طلحفى

بكسر الطاء و فتح اللام أى شديد و اللام زائده.

ص: ١١٤

ثم أمرهم بإماتة الأصوات لأن شدة الضوضاء في الحرب أماره الخوف والوجل. ثم أقسم أن معاويه و عمرا و من والاهما من قريش ما أسلموا ولكن استسلموا خوفا من السيف و نافقوا فلما قدروا على إظهار ما في أنفسهم أظهروه و هذا يدل على أنه ع جعل محاربتهم له كفرا.

و قد تقدم في شرح حال معاويه و ما يذكره كثير من أصحابنا من فساد عقيدته ما فيه كفايه

نبد من الأقوال المتشابهة في الحرب

و أوصى أكتهم بن صيفى قوما نهضوا إلى الحرب فقال ابرزوا للحرب و ادرعوا الليل فإنه أخفى للويل و لا جماعه لمن اختلف و اعلموا أن كثره الصياح من الفشل و المرء يعجز لا محاله.

و سمعت عائشه يوم الجمل أصحابها يكبرون فقالت لا تكبروا هاهنا فإن كثره التكبير عند القتال من الفشل.

و قال بعض السلف قد جمع الله أدب الحرب في قوله تعالى **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا (١) الْآيَتِينَ.**

و قال عتبه بن ربيعه لقريش يوم بدر أ لا ترونهم يعنى أصحاب النبي ص جثيا على الركب يتلمظون تلمظ الحيات.

و أوصى عبد الملك بن صالح أمير سريه بعثها فقال أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذى إن وجد ربحا تجر و إلا احتفظ برأس المال و لا تطلب

ص: ١١٥

الغنيمة حتى تحوز السلامه و كن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك.

و

٤١٥٠

فى الحديث المرفوع إنه ص قال لزيد بن حارثه لا تشق جيشك فإن الله تعالى ينصر القوم بأضعفهم.

٤١٥١

١- و قال ابن عباس و ذكر عليا ما رأيت رئيسا يوزن به لقد رأيت يوم صفين و كأن عينيه سراجا سليط (١) و هو يحمس أصحابه إلى أن انتهى إلى و أنا فى كنف فقال يا معشر المسلمين استشعروا الخشيه و تجلبوا السكينه و أكملوا اللأمه .

..الفصل المذكور فيما تقدم

ص: ١١٦

١- (١) السليط: زيت به يضاء.

وَ أَمَّا طَلْبُكَ إِلَى الشَّامِ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ
بَقِيَتْ أَلَا وَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ وَ أَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَ الرِّجَالِ فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ
مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ وَ لَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَ
لَكِنْ لَيْسَ أُمَّتُهُ كَهَاشِمٍ وَ لَا حِزْبُ كَعْبِيدِ الْمُطَّلِبِ وَ لَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ وَ لَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيحِ وَ لَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ وَ لَا
الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَ لَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ وَ لَيْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سِلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ فِي أَيِّدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبِيِّ الَّتِي
أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَرِيزَ وَ نَعَشْنَا بِهَا الدَّلِيلَ وَ لَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا وَ اسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَ كَرْهًا كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ
فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَ إِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينٍ فَازَرَ أَهْلُ السَّبْتِ بِسَبْقِهِمْ وَ ذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ
نَصِيبًا وَ لَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا وَ السَّلَامُ .

يقال طلبت إلى فلان كذا و التقدير طلبت كذا راغبا إلى فلان كما قال تعالى فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ (١) أى مرسلا .

و يروى إلا حشاشه نفس بالإفراد و هو بقيه الروح فى بدن المريض.

و روى ألا و من أكله الحق فإلى النار و هذه الروايه أليق من الروايه المذكوره فى أكثر الكتب لأن الحق يأكل أهل الباطل و من روى تلك الروايه أضمر مضافا تقديره أعداء الحق و مضافا آخر تقديره أعداء الباطل و يجوز أن يكون من أكله الحق فإلى الجنه أى من أفضى به الحق و نصرته و القيام دونه إلى القتل فإن مصيره إلى الجنه فيسمى الحق لما كانت نصرته كالسبب إلى القتل أكلا لذلك المقتول و كذلك القول فى الجانب الآخر .

و كان الترتيب يقتضى أن يجعل هاشما بإزاء عبد شمس لأنه أخوه فى قعد (٢) و كلاهما ولد عبد مناف لصلبه و أن يكون أميه بإزاء عبد المطلب و أن يكون حرب بإزاء أبى طالب و أن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين ع لأن كل واحد من هؤلاء فى قعد صاحبه إلا أن أمير المؤمنين ع لما كان فى صفين بإزاء معاويه اضطر إلى أن جعل هاشما بإزاء أميه بن عبد شمس .

فإن قلت فهلا قال و لا أنا كانت قلت قبيح أن يقال ذلك كما لا يقال السيف أمضى من العصا بل قبيح به أن يقولها مع أحد من المسلمين كافه نعم قد يقولها لا تصريحاً بل تعريضا لأنه يرفع نفسه على أن يقيسها بأحد.

و هاهنا قد عرض بذلك فى قوله و لا المهاجر كالطليق فإن قلت فهل معاويه

ص: ١١٨

١-١) سورة النمل ١٢.

٢-٢) قعد؛ أى قريب الآباء من الجد الأكبر.

من الطلقاء قلت نعم كل من دخل عليه رسول الله ص مكة عنوه بالسيف فملكه ثم من عليه عن إسلام أو غير إسلام فهو من الطلقاء ممن لم يسلم كصفوان بن أميه و من أسلم كعوايه بن أبي سفيان و كذلك كل من أسر في حرب رسول الله ص ثم امتن عليه بفداء أو بغير فداء فهو طليق فممن امتن عليه بفداء كسهيل بن عمرو و ممن امتن عليه بغير فداء أبو عزة الجمحي و ممن امتن عليه معاوضه أى أطلق لأنه بإزاء أسير من المسلمين عمرو بن أبي سفيان بن حرب كل هؤلاء معدودون من الطلقاء.

فإن قلت فما معنى قوله و لا الصريح كاللصيق و هل كان في نسب معاويه شبهه ليقول له هذا.

قلت كلا إنه لم يقصد ذلك و إنما أراد الصريح بالإسلام و اللصيق في الإسلام فالصريح فيه هو من أسلم اعتقاداً و إخلاصاً و اللصيق فيه من أسلم تحت السيف أو رغبه في الدنيا و قد صرح بذلك فقال كنتم ممن دخل في هذا الدين إما رغبه و إما رهبه .

فإن قلت فما معنى قوله و لبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم و هل يعاب المسلم بأن سلفه كانوا كفاراً.

قلت نعم إذا تبع آثار سلفه و احتذى حذوهم و أمير المؤمنين ع ما عاب معاويه بأن سلفه كفار فقط بل بكونه متبعاً لهم .

قوله ع و في أيدينا بعد فضل النبوه أى إذا فرضنا تساوى الأقدام في مآثر أسلافكم كان في أيدينا بعد الفضل عليكم بالنبوه التى نعشنا بها الخامل و أحملنا بها النبيه .

قوله ع على حين فاز أهل السبق قال قوم من النحاه

حين مبنى هاهنا على الفتح و قال قوم بل منصوب لإضافته إلى الفعل .

قوله ع فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا أى لا تستلزم من أفعالك ما يدوم به كون الشيطان ضاربا فيك بنصيب لأنه ما كتب إليه هذه الرسالة إلا بعد أن صار للشيطان فيه أوفر نصيب و إنما المراد نهيه عن دوام ذلك و استمراره

ذكر بعض ما كان بين على و معاوية يوم صفين

٤١٥٢

١- و ذكر نصر بن مزاحم بن بشار العقيلي فى كتاب صفين أن هذا الكتاب كتبه على ع إلى معاوية قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثه قال نصر أظهر على ع أنه مصبح معاوية و مناجز له و شاع ذلك من قوله ففرع أهل الشام لذلك و انكسروا لقوله و كان معاوية بن الضحاك بن سفيان صاحب رايه بنى سليم مع معاوية مبغضا لمعاوية و أهل الشام و له هوى مع أهل العراق و على بن أبى طالب ع و كان يكتب بأخبار معاوية إلى عبد الله بن الطفيل العامرى و هو مع أهل العراق فيخبر بها عليا ع فلما شاعت كلمه على ع وجل لها أهل الشام و بعث ابن الضحاك إلى عبد الله بن الطفيل إنى قائل شعرا أذعر به أهل الشام و أرغم به معاوية و كان معاوية لا يتهمه و كان له فضل و نجده و لسان فقال ليلا ليستمع أصحابه ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدا

ص: ١٢٠

كأنى به فى الناس كاشف رأسه

فلما سمع أهل الشام شعره أتوا به معاوية فهم بقتله ثم راقب فيه قومه فطرده من الشام فلحق بمصر و ندم معاوية على تسييره إياه و قال معاوية لشعر السلمى (١) أشد على أهل الشام من لقاء على ما له قاتله الله لو صار خلف جابلق مصعدا لم يأمن عليا أ لا تعلمون ما جابلق يقوله لأهل الشام قالوا لا قال مدينه فى أقصى المشرق ليس بعدها شىء.

قال نصر و تناقل الناس كلمه على ع لأناجزتهم مصبحا (٢) فقال الأشرق قد دنا الفضل فى الصباح و للسلم رجال و للحروب رجال

ص: ١٢١

١-١) المرجحنه: الأمر العظيم.

٢-٢) جالدوا: دافعوا.

قال فلما انتهى إلى معاوية شعر الأشر قال شعر منكر من شاعر منكر رأس أهل العراق و عظيمهم و مسعر حربهم و أول الفتنه و آخرها قد رأيت أن أعاود عليا و أسأله إقرارى على الشام فقد كنت كتبت إليه ذلك فلم يجب إليه و لأكتبن ثانيه فألقى فى نفسه الشك و الرقه فقال له عمرو بن العاص و ضحكك أين أنت يا معاوية من خدعه على قال ألسنا بنى عبد مناف قال بلى و لكن لهم النبوه دونك و إن شئت أن تكتب فاكذب فكتب معاوية إلى على ع مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبه و كان من نافله أهل العراق أما بعد فإنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجنها بعضنا على

بعض و لئن كنا قد غلبنا على عقولنا لقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى و نصلح به ما بقى و قد كنت سألتك الشام على أن تلمنى لك بيعه و طاعه فأبيت ذلك على فأعطاني الله ما منعت و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنى لا أرجو من البقاء إلا- ما ترجو و لا- أخاف من الموت إلا- ما تخاف و قد و الله فارقت الأجناد و ذهبت الرجال و نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستدل به عزيز و لا يسترق به حر و السلام.

فلما انتهى كتاب معاويه إلى على ع قرأه ثم قال العجب لمعاويه و كتابه (١) و دعا عبيد بن أبى رافع كاتبه فقال اكتب جوابه (٢) أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر أنك لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجننا بعضنا على بعض فإنى لو قتلت فى ذات الله و حيت ثم قتلت ثم حيت سبعين مره لم أرجع عن الشده فى ذات الله و الجهاد لأعداء الله و أما قولك إنه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى فإنى ما نقصت عقلى و لا ندمت على فعلى و أما طلبك الشام فإنى لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس و أما استواؤنا فى الخوف و الرجاء فليست أمضى على الشك منى على اليقين و ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخره و أما قولك إنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض فلعمرى إنا بنو أب واحد و لكن ليس أميه كهاشم و لا- حرب كعبد المطلب و لا- المهاجر كالطلق و لا المحق كالمبطل و فى أيدينا بعد فضل النبوه التى أذللنا بها العزيز و أعززنا بها الذليل و السلام.

فلما أتى معاويه كتاب على ع كتبه عن عمرو بن العاص أياما ثم دعاه

ص: ١٢٣

١-١-١) صفين: «ثم دعا عبيد الله بن أبى رافع كاتبه، فقال: اكتب إلى معاويه».

١-١-٢) صفين: «ثم دعا عبيد الله بن أبى رافع كاتبه، فقال: اكتب إلى معاويه».

فأقرأه إياه فشمت به عمرو و لم يكن أحد من قريش أشد إعظاما لعلی من عمرو بن العاص منذ يوم لقيه و صفح عنه فقال عمرو
فيما كان أشار به علی معاويه ألا لله درك يا ابن هند

فلما بلغ معاويه شعر عمرو دعاه فقال له العجب لك تفيل رأيي و تعظم عليا و قد فضحك فقال أما تفيل رأيك فقد كان و أما
إعظامي عليا فإنك بإعظامه أشد معرفه مني و لكنك تطويه و أنا أنشره و أما فضيحتي فلم يفتضح امرؤ لقي أبا حسن (١)

ص: ١٢٤

(١-١) صفين: «و ترجو أن يهابك بالوعيد».

وَ اعْلَمَ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبُطُ إِبْلِيسَ وَ مَغْرَسُ الْفِتَنِ فَحَادِثُ أَهْلِهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَ أَحْلَى عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَ قَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ
لِبَنِي تَمِيمٍ وَ غَلَطْتُكَ عَلَيْهِمْ وَ إِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخِرٌ وَ إِنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا بَوْغَمٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَ لَا إِسْلَامٍ وَ إِنَّ
لَهُمْ بَنِي رَحِمًا مَيَّاسَةً وَ قَرَابَةً خِصَاصَةً نَحْنُ مِمَّا أُجْرُونَ عَلَى صَمَلَتِهَا وَ مَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا فَارْبَعُ أَبَا الْعَبَّاسِ رَحِمَكَ اللَّهُ فِيمَا جَرَى
عَلَى يَدِكَ وَ لِسَانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرِّ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ وَ كُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ وَ لَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ وَ السَّلَامُ .

قوله ع مهبط إبليس موضع هبوطه.

و مغرس الفتن

موضع غرسها و يروى و مغرس الفتن و هو الموضع الذى ينزل فيه القوم آخر الليل للاستراحه يقال غرسوا و أغرسوا.

و قوله ع فحادث أهلها أى تعهدهم بالإحسان من قولك حادثت السيف بالصقال .

ص: ١٢٥

و التمر للقوم الغلظه عليهم و المعامله لهم بأخلاق النمر من الجراه و الوثوب و سنذكر تصديق قوله ع لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر .

و الوغم التره و الأوغام التراث أى لم يهدر لهم دم فى جاهليه و لا إسلام يصفهم بالشجاعه و الحميه .

و مأزورون كان أصله موزورون و لكنه جاء بالألف ليحاذى به ألف مأجورون و قد قال النبى ص مثل ذلك .

قوله ع فاربع أبا العباس أى قف و تثبت فى جميع ما تعتمدة فعلا و قولاً من خير و شر و لا تعجل به فى شريكك فيه إذ أنت عاملى و النائب عنى .

و يعنى بالشرها هنا الضرر فقط لا الظلم و الفعل القبيح .

قوله ع و كن عند صالح ظنى فيك أى كن واقفا عنده كأنك تشاهده فتمنعك مشاهدته عن فعل ما لا يجوز .

فال رأى يفيل أى ضعف و أخطأ

فصل فى بنى تميم و ذكر بعض فضائلهم

و قد ذكر أبو عبيده معمر بن المثنى فى كتاب التاج أن لبنى تميم ما أثر لم يشركهم فيها غيرهم أما بنو سعد بن زيد مناه فلها ثلاث خصال يعرفها العرب إحداها كثره العدد فإنه أضعف عددها على بنى تميم حتى ملأت السهل و الجبل عدلت مضر كثره و عامه العدد منها فى كعب بن سعد بن زيد مناه و لذلك قال أوس بن مغراء

كعبي من خير الكعاب كعبا

من خيرها فوارسا و عقبا تعدل جنبا و تميم جنبا.

و قال الفرزدق أيضا فيهم هذه الأبيات لو كنت تعلم ما برمل مويسل

و قال أيضا تبكى على سعد و سعد مقيمه بيبرين قد كادت على الناس تضعف (١) و لذلك كانت تسمى سعد الأكثرين و فى المثل فى كل واد بنو سعد (٢).

و الثانية الإفاضه فى الجاهليه كان ذلك فى بنى عطار و هم يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى قام الإسلام و كانوا إذا اجتمع الناس أيام الحج بمنى لم يبرح أحد من الناس دينا و سنه حتى يجوز القائم بذلك من آل كرب بن صفوان و قال أوس بن مغراء و لا يريمون فى التعريف موقفهم حتى يقال أجزوا آل صفوانا .

و قال الفرزدق إذا ما التقينا بالمحصب من منى

و الثالثة أن منهم أشرف بيت فى العرب الذى شرفته ملوك لخم قال المنذر بن المنذر بن ماء السماء ذات يوم و عنده وفود العرب و دعا ببردى أبيه محرق بن المنذر فقال ليلبس هذين أعز العرب و أكرمهم حسبا فأحجم الناس فقال أحيمر بن

ص: ١٢٧

١-١ ديوانه ٥٦٩.

٢-٢ مجمع الأمثال ٢:٨٣؛ و لفظه فيه: «فى كل أرض سعد بن زيد»؛ قاله الأصبط بن قريع.

خلف بن بهدله بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم أنا لهما قال الملك بما ذا قال بأن مضر أكرم العرب و أعزها و أكثرها عديدا و أن تميما كاهلها (١) و أكثرها و أن بيتها و عددها في بني بهدله بن عوف و هو جدى فقال هذا أنت في أصلك و عشيرتك فكيف أنت في عترتك و أدانيك.

قال أنا أبو عشره و أخو عشره و عم عشره فدفعهما إليه و إلى هذا أشار الزبيرقان بن بدر في قوله و بردا ابن ماء المزن عمى اكتساهما بفضل معد حيث عدت محاصله قال أبو عبيده و لهم في الإسلام خصله-

٤١٥٣

قدم قيس بن عاصم المنقرى على رسول الله ص في نفر من بني سعد فقال له رسول الله ص هذا سيد أهل الوبر. فجعله سيد خندف و قيس ممن يسكن الوبر.

قال و أما بنو حنظله بن مالك بن زيد مناه بن تميم فلهم خصال كثيرة قال في بني دارم بن مالك بن حنظله و هو بيت مضر فمن ذلك زراره بن عدس بن زيد بن دارم يقال إنه أشرف البيوت في بني تميم و من ذلك قوس حاجب بن زراره المرهونه عند كسرى عن مضر كلها و في ذلك قيل و أقسم كسرى لا يصلح واحدا من الناس حتى يرهن القوس حاجب.

و من ذلك في بني مجاشع بن دارم صعصعه بن ناجيه بن عقال بن محمد بن سفیان بن مجاشع و هو أول من أحيا الوئيد قام الإسلام و قد اشترى ثلاثمائة موءوده فأعتقهن و رباهن و كانت العرب تئد البنات خوف الإملاق.

و من ذلك غالب بن صعصعه و هو أبو الفرزدق و غالب هو الذى قرى مائه ضيف و احتمال عشر ديات لقوم لا يعرفهم و كان من حديث ذلك أن بنى كلب

ص: ١٢٨

(١-١) كاهلها، أى أعلاها.

بن وبره افتخرت بينها فى أنديتها فقالت نحن لباب العرب و قلبها و نحن الذين لا ننازع حسبا و كرما فقال شيخ منهم إن العرب غير مفره لكم بذلك إن لها أحسابا و إن منها لبابا و إن لها فعلا و لكن ابعثوا مائه منكم فى أحسن هيئه و بزه ينفرون من مروا به فى العرب و يسألونه عشر ديات و لا ينتسيون له فمن قرأهم و بذل لهم الديات فهو الكريم الذى لا ينازع فضلا فخرجوا حتى قدموا على أرض بنى تميم و أسد فنفروا الأحياء حيا فحيا و ماء فماء لا يجدون أحدا على ما يريدون حتى مروا على أكثم بن صيفى فسألوه ذلك فقال من هؤلاء القتلى و من أنتم و ما قصتكم فإن لكم لشأنا باختلافكم فى كلامكم فعدلوا عنه ثم مروا بقتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى فسألوه عن ذلك فقال من أنتم قالوا من كلب بن وبره فقال إنى لأبغى كلبا بدم فإن انسلخ الأشهر الحرم و أنتم بهذه الأرض و أدرككم الخيل نكلت بكم و أثكلتكم أمهاتكم فخرجوا من عنده مرعوبين فمروا بعطارد بن حاجب بن زراره فسألوه ذلك فقال قولوا بيانا و خذوها فقالوا أما هذا فقد سألكم قبل أن يعطيكم فتركوه و مروا ببني مجاشع بن دارم فأتوا على واد قد امتلأ إبلا فيها غالب بن صعصعه يهنا (١) منها إبلا فسألوه القرى و الديات فقال هاكم البزل قبل النزول فابتروها من البرك و حوزوا دياتكم ثم انزلوا فتنزلوا و أخبروه بالحال و قالوا أرشدك الله من سيد قوم لقد أرحتنا من طول النصب و لو علمنا لقصدنا إليك فذلك قول الفرزدق فله عينا من رأى مثل غالب

ص: ١٢٩

(١-١) هنا الإبل يهونها: طلاها بالهناء، و هو القطران.

فلم يجعل عن أحسابها غير غالب

جری بعناني كل أبلج خضرم (١)

قال فأما بنو يربوع بن حنظله فمنهم ثم من بنى رباح بن يربوع عتاب بن هرمى بن رياح كانت له ردافه الملوک ملوک آل المنذر و ردافه الملك أن يثنى به فى الشرب و إذا غاب الملك خلفه فى مجلسه و ورث ذلك بنوه كابر عن كابر حتى قام الإسلام قال لبيد بن ربيعه و شهدت أنجبه الأكارم غالبا كعبي و أرداف الملوک شهود (٢) و يربوع أول من قتل قتيلًا من المشركين و هو واقد بن عبد الله بن ثعلبه بن يربوع حليف عمر بن الخطاب قتل عمرو بن الحضرمى فى سرية نخله فقال عمر بن الخطاب يفتخر بذلك سقينا من ابن الحضرمى رماحنا

و لها جواد العرب كلها فى الإسلام بدأ العرب كلها جودا خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك و كان يشنؤه لكثرة بأوه (٣) و فخره فتهجمه و تنكر له و أغلظ فى خطابه حتى قال من أنت لا أم لك قال أ و ما تعرفنى يا أمير المؤمنين أنا من حى هم من أوفى العرب و أحلم العرب و أسود العرب و أجود العرب و أشجع العرب و أشعر العرب فقال سليمان و الله لتحتجن لما ذكرت أو لأوجعن ظهرك و لأبعدن دارك قال أما أوفى العرب فحاجب بن زراره رهن قوسه عن العرب كلها و أوفى و أما أحلم العرب فالأحنف بن قيس يضرب به المثل حلما و أما أسود العرب

٤١٥٤

فقيس بن عاصم قال له رسول الله ص هذا سيد أهل الوبر.

ص: ١٣٠

١- (١) الأبلج: الواضح. و الخضرم: الجواد المعطاء.

٢- (٢) لم أجده فى ديوانه.

٣- (٣) الغل بالضم: طوق من حديد يجعل فى العنق، و الجمع أغلال.

و أما أشجع العرب فالحرش بن هلال السعدى و أما أجود العرب فخالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى و أما أشعر العرب فها أنا ذا عندك قال سليمان فما جاء بك لا شىء لك عندنا فارجع على عقبك و غمه ما سمع من عزه و لم يستطع له ردا فقال الفرزدق فى أبيات أتيناك لا من حاجه عرضت لنا إليك و لا من قله فى مجاشع (١).

قلت و لو ذكر عتيبه بن الحارث بن شهاب اليربوعى و قال إنه أشجع العرب لكان غير مدافع قالوا كانت العرب تقول لو وقع القمر إلى الأرض لما التقفه إلا عتيبه بن الحارث لثقافته بالرمح و كان يقال له صياد الفوارس و سم الفوارس و هو الذى أسر بسطام بن قيس و هو فارس ربيعه و شجاعها و مكث عنده فى القيد مده حتى استوفى فداءه و جز ناصيته و خلى سبيله على ألا يغزو بنى يربوع و عتيبه هذا هو المقدم على فرسان العرب كلها فى كتاب طبقات الشجعان و مقاتل الفرسان و لكن الفرزدق لم يذكره و إن كان تميميا لأن جريرا يفتخر به لأنه من بنى يربوع فحملته عداوه جرير على أن عدل عن ذكره.

قال أبو عبيده و لبنى عمرو بن تميم خصال تعرفها لهم العرب و لا ينازعهم فيها (٢) أحد فمناها أكرم الناس عما و عمه و جدا و جدده و هو هند بن أبى هاله و اسم أبى هاله نباش بن زراره أحد بنى عمرو بن تميم كانت خديجه بنت خويلد قبل

ص: ١٣١

١-١) ديوانه ٤٩١.

٢-٢) ا: «عليها».

النبي ص تحت أبي هاله فولدت له هنداً ثم تزوجها رسول الله ص و هند بن أبي هاله غلام صغير فتبناه النبي ص ثم ولدت خديجه من رسول الله ص القاسم و الطاهر و زينب و رقيه و أم كلثوم و فاطمه فكان هند بن أبي هاله أخاهم لأمهم ثم أولد هند بن أبي هاله هند بن هند فهند الثاني أكرم الناس جدا و جده يعنى رسول الله ص و خديجه و أكرم الناس عما و عمه يعنى بنى النبي ص و بناته.

و منها أن لهم أحكم العرب فى زمانه أكثم بن صيفى أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم كان أكثر أهل الجاهليه حكما و مثلاً و موعظه سائره.

و منها ذو الأعواز كان له خراج على مضر كافه تؤديه إليه فشاخ حتى كان يحمل على سرير يطاف به على مياه العرب فيؤدى إليه الخراج و قال الأسود بن يعفر النهشلى و كان ضريرا و لقد علمت خلاف ما تناشى أن السبيل سبيل ذى الأعواز.

و منها هلال بن أحوز المازنى الذى ساد تميما كلها فى الإسلام و لم يسدها غيره.

قال و دخل خالد بن عبد الرحمن بن الوليد بن المغيرة المخزومى مسجد الكوفه فانتهى إلى حلقه فيها أبو الصقعب التيمى من تيم الرباب و المخزومى لا يعرفه و كان أبو الصقعب من أعلم الناس فلما سمع علمه و حديثه حسده فقال له ممن الرجل قال من تيم الرباب فظن المخزومى أنه وجد فرصه فقال و الله ما أنت من سعد الأكثرين و لا من حنظله الأكرمين و لا من عمرو الأشدين فقال أبو الصقعب فممن أنت قال من بنى مخزوم قال و الله ما أنت من هاشم المنتخبين و لا من أميه المستخلفين

ولا- من عبد الدار المستحجين فبم تفخر قال نحن ريحانه قريش قال أبو الصقعب قبحا لما جئت به و هل تدري لم سميت مخزوم ريحانه قريش سميت لحظوه نساؤها عند الرجال فأفحمه روى أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل أن معاويه قال للأحنف بن قيس و جاريه (١) بن قدامه و رجال من بنى سعد معهما كلاما أحفظهم فردوا عليه جوابا مقذعا و امرأته فاخته بنت قرظه فى بيت يقرب منهم و هى أم عبد الله بن معاويه فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر فكذت أن أخرج إليهم فأسطو بهم فقال معاويه إن مضر كأهل العرب و تميما كأهل مضر و سعدا كأهل تميم و هؤلاء كأهل سعد (٢) .

و روى أبو العباس أيضا أن عبد الملك ذكر يوما بنى دارم فقال أحد جلسائه يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون يعنى فى كثره النسل و نماء الذريه فلذلك انتشر صيتهم فقال عبد الملك ما تقول هذا و قد مضى منهم لقيط بن زراره و لم يخلف عقبا و مضى قعقاع بن معبد بن زراره و لم يخلف عقبا و مضى محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زراره و لم يخلف عقبا و الله لا تنسى العرب هذه الثلاثه أبدا (٣) .

قال أبو العباس إن الأصمعى قال إن حربا كانت بالباديه ثم اتصلت بالبصره فتفاقم الأمر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا فى المسجد الجامع قال فبعثت و أنا غلام إلى ضرار بن القعقاع من بنى دارم فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فإذا به فى شمله يخلط بزرا لعنز له حلوب فخبيرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصحف و صاح يا جاريه غدينا فأنته بزيت و تمر فدعاني فقدرته

ص: ١٣٣

١- ١) ب: «حارثه»، و الصواب ما فى ١ و الكامل.

٢- ٢) الكامل ١: ٦٥.

٣- ٣) الكامل ١: ٣٠٨.

أن آكل معه حتى إذا قضى من أكله و حاجته وطرا وثب إلى طين ملقى فى الدار فغسل به يده ثم صاح يا جاريه اسقيني ماء فأنته بماء فشربه و مسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصره بزيت الشام متى تؤدى شكر هذه النعم ثم قال على بردائى فأنته برداء عدنى افارتدى به على تلك الشملة قال الأصمعى فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى إلى القوم فلم تبق حبه إلا حلت إعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الأحياء فى ماله ثم انصرف ٢.

قال أبو العباس و حدثنى أبو عثمان المازنى عن أبى عبيده قال لما أتى زياد بن عمرو المربرد فى عقب قتل مسعود بن عمرو العتكى و جاء زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى ليثأر به من بنى تميم صف أصحابه فجعل فى الميمنه بكر بن وائل و فى الميسره عبد القيس و هم لكيز بن أفصى بن دعمى بن جديله بن أسد بن ربيعه و كان زياد بن عمرو العتكى فى القلب فبلغ ذلك الأحنف بن قيس فقال هذا غلام حدث شأنه الشهره و ليس يبالى أين قذف بنفسه فنذب أصحابه فجاءه حارثه بن بدر الغداني و قد اجتمعت بنو تميم فلما أتى^٣ قال قوموا إلى سيدكم ثم أجلسه فناظره فجعلوا سعدا و الرباب فى القلب و رئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف بأخى كهمس و هو أحد بنى صريم بن يربوع فكانوا بحذاء زياد بن عمرو و من معه من الأزد و جعل حارثه بن بدر الغداني فى بنى حنظله بحذاء بكر بن وائل و جعل عمرو بن تميم بحذاء عبد القيس فذلك حيث يقول حارثه بن بدر للأحنف سيكفيك عبس أخو كهمس

و لكيز بن أفصى تعم عبد القيس قال فلما توافقوا بعث إليهم الأحنف يا معشر الأزد من اليمن و ربيعه من أهل البصره أنتم و الله أحب إلينا من تميم الكوفه و أنتم جيراننا فى الدار و يدنا على العدو و أنتم بدأتمونا بالأمس و وطئتم حريمنا و حرقتم علينا فدفعنا عن أنفسنا و لا حاجه لنا فى الشر ما طلبنا فى الخير مسلكا فتمموا بنا طريقه مستقيمه (١) فوجه إليه زياد بن عمرو تخير خله من ثلاث إن شئت فانزل أنت و قومك على حكمنا و إن شئت فخل لنا عن البصره و ارحل أنت و قومك إلى حيث شئتم و إلا فدوا قتلاتنا و أهدروا دماءكم و ليود مسعود ديه المشعره.

قال أبو العباس و تأويل قوله ديه المشعره يريد أمر الملوك فى الجاهليه و كان الرجل إذا قتل و هو من أهل بيت المملكه و دى عشر ديات فبعث إليه الأحنف سنختار فانصرفوا فى يومكم فهز القوم راياتهم و انصرفوا فلما كان الغد بعث الأحنف إليهم إنكم خيرتمونا خللا لا ليس لنا فيها خيار أما النزول على حكمكم فكيف يكون و الكلم (٢) يقطر و أما ترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز و جل وَ لَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٣) و لكن الثالثه إنما هى حمل على المال فنحن نبطل دماءنا و ندى قتلاكم و إنما مسعود رجل من المسلمين و قد أذهب الله عز و جل أمر الجاهليه فاجتمع القوم على أن يقفوا أمر مسعود و يغمدوا السيف و تودى سائر القتلى من الأزد و ربيعه فضمن ذلك الأحنف و دفع إليهم إياس بن قتاده المجاشعى رهينه حتى يؤدى هذا المال فرضى به القوم ففخر بذلك الفرزدق فقال لجرير

١-١ (١) الكامل: «قاصده».

٢-٢ (٢) الكلم: الجرح.

٣-٣ (٣) سوره النساء ٦٦.

و منا الذى أعطى يديه رهينه

و يقال إن تميمًا فى ذلك الوقت مع باديتها و حلفائها من الأساوره و الزط و السبابجه و غيرهم كانوا زهاء سبعين ألفا و فى ذلك يقول جرير سائل ذوى يمن و رهط محرق

قال الأحنف بن قيس فكثرت على الديات فلم أجدها فى حاضره تميم فخرجت نحو يبرين إلى بادية تميم فسألت عن المقصود هناك فأرشدت إلى قبه فإذا شيخ جالس بفنائها مؤتزر بشمله محتب بحبل فسلمت عليه و انتسبت له فقال لى ما فعل رسول الله ص قلت توفى قال فما فعل عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب و يحوطها قلت توفى قال فأى خير فى حاضر تكم بعدهما قال فذكرت له الديات التى لزمنا للأزد و ربيعه قال فقال لى أقم فإذا راع قد أراح عليه ألف بعير فقال خذها ثم أراح علينا آخر مثلها فقال خذها فقلت لا أحتاج إليها قال فانصرفت بالألف عنه و والله ما أدرى من هو إلى الساعة (١)

ص: ١٣٦

(١-١) ديوانه ٨٦١. و الغاران، مشنى غار، و هو الجيش.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكَّوْا مِنْكَ غِلْظَهُ وَقَسْوَهُ وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً وَنَظَرَتْ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنَّ يُدْنُوا لِشَرِكِهِمْ وَلَا أَنْ يُقْصِيُوا وَيُجْضُوا لِعَهْدِهِمْ فَالْبَسَ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللَّيْلِ تَشْوِبُهُ بِطَرْفٍ مِنَ الشَّدِّهِ وَدَاوِلٌ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسِيَّوَةِ وَالرَّافَةِ وَامْتَزَجَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الدهاقين الزعماء أرباب الأملاك بالسواد واحدهم دهقان بكسر الدال و لفظه معرب .

و داوِل بينهم أى مره هكذا و مره هكذا أمره أن يسلك معهم منهجا متوسطا لا يدينهم كل الدنو لأنهم مشركون و لا يقصيههم كل الإقصاء لأنهم معاهدون فوجب أن يعاملهم معامله آخذه من كل واحد من القسمين بنصيب

٢٠ و من كتاب له ع إلى زياد بن أبيه و هو خليفه عامله عبد الله بن عباس على البصره و عبد الله عامل أمير المؤمنين ع يومئذ عليها و على كور الأهواز و فارس و كرمان و غيرها

وَ إِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسِيماً صَادِقاً لِيُنْ بَلَّغْنِي أَنَّكَ حُنْتٌ مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ ثَقِيلَ الظَّهِرِ ضَبِيلَ الْأَمْرِ وَالسَّلَامِ .

سيأتي ذكر نسب زياد و كيفية استلحاق معاويه له فيما بعد إن شاء الله تعالى .

قوله ع لأشدن عليك شدة مثل قوله لأحملن عليك حملة و المراد تهديده بالأخذ و استتصاف المال.

ثم وصف تلك الشدة فقال إنها تتركك قليل الوفرة أي أفقرتك بأخذ ما احتجت من بيت مال المسلمين.

و ثقل الظهر أي مسكين لا تقدر على مؤونه عيالك.

و ضئيل الأمر أي حقير لأنك إنما كنت نبيها بين الناس بالغنى و الثروه فإذا افتقرت صغرت عندهم و اقتحمتك أعينهم

ص: ١٣٨

فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا وَ اذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا وَ اَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَ قَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ أَوْ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيكَ
اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَ أَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَ تَطْمَعُ وَ أَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ [أَنْ تَمْنَعَهُ]

تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَ الْأَرْمَلَ [وَ]

أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ إِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَ قَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ وَ السَّلَامُ .

المتمرغ في النعيم المتقلب فيه و نهاء عن الإسراف و هو التبذير في الإنفاق و أمره أن يمسك من المال ما تدعو إليه الضروره و
أن يقدم فضول أمواله و ما ليس له إليه حاجه ضروريه في الصدقه فيدخره ليوم حاجته و هو يوم البعث و النشور.

قلت قبح الله زيادا فإنه كافأ إنعام على ع و إحسانه إليه و اصطناعه له بما لا حاجه إلى شرحه من أعماله القبيحه بشيئته و محبيه و
الإسراف في لعنه و تهجين أفعاله و المبالغه في ذلك بما قد كان معاويه يرضى باليسير منه و لم يكن يفعل ذلك لطلب رضا
معاويه كلا- بل يفعله بطبعه و يعاديه بباطنه و ظاهره و أبي الله إلا أن يرجع إلى أمه و يصحح نسبه و كل إناء ينضح بما فيه ثم
جاء ابنه بعد فختم تلك الأعمال السيئه بما ختم و إلى الله تُرْجَعُ الْأُمُورُ

٢٢ و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى

و كان ابن عباس يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله ص كانتفاعى بهذا الكلام أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسِيرُهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَ يَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ فَلْيَكُنْ سُورُوكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ وَ لِيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا وَ مَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا وَ مَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا وَ لِيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

يقول إن كل شيء يصيب الإنسان في الدنيا من نفع و ضرر فبقضاء من الله و قدره تعالى لكن الناس لا ينظرون حق النظر في ذلك فيسر الواحد منهم بما يصيبه من النفع و يساء بفوته ما يفوته منه غير عالم بأن ذلك النفع الذي أصابه كان لا بد أن يصيبه و أن ما فاتته منه كان لا بد أن يفوته و لو عرف ذلك حق المعرفة لم يفرح و لم يحزن.

و لقائل أن يقول هب أن الأمور كلها بقضاء و قدر فلم لا ينبغي للإنسان أن يفرح بالنفع و إن وقع بالقدر و يساء بفوته أو بالضرر و إن وقعاً بقدر أليس العريان يساء

بقدم الشتاء و إن كان لا بد من قدومه و المحموم غبا (١) يساء بتجدد نوبه الحمى و إن كان لا بد من تجددها فليس سبب الاختيار فى الأفعال مما يوجب أن لا يسر الإنسان و لا يساء بشىء منها.

و الجواب ينبغى أن يحمل هذا الكلام على أن الإنسان ينبغى أن لا يعتقد فى الرزق أنه أتاه بسعيه و حركته فيفرح معجبا بنفسه معتقدا أن ذلك الرزق ثمره حركته و اجتهاده و كذلك ينبغى ألا يساء بفوات ما يفوته من المنافع لائما نفسه فى ذلك ناسبا لها إلى التقصير و فساد الحيله و الاجتهاد لأن الرزق هو من الله تعالى لا أثر للحركة فيه و إن وقع عندها و على هذا التأويل ينبغى أن يحمل قوله تعالى مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢).

من النظم الجيد الروحانى فى صفه الدنيا و التحذير منها و الوصاه بترك الاغترار بها و العمل لما بعدها ما أورده أبو حيان فى كتاب الإشارات الإلهيه و لم يسم قائله دار الفجائع و الهموم و دار

ص: ١٤١

١- (١) الغب من الحمى: ما تأخذ يوما و تدع يوما.

٢- (٢) سورة الحديد ٢٣، ٢٢.

للمرء رزق لا يفوت ولو

ص: ١٤٢

٢٣ و من كلام له ع قاله قبل موته على سبيل الوصيه لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

وَصِيَّتِي لَكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَ مُحَمَّدٌ ص فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وَ أَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَ خَلَاكُمْ ذَمُّ
أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ وَ الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَ غَدًا مُفَارِقُكُمْ إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي وَ إِنْ أَفَنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي وَ إِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَ
هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا أَلَّا تُجِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ (١) وَ اللَّهُ مَيِّمٌ فَجِأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٍ كَرِهْتُهُ وَ لَأِ طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ وَ مَا كُنْتُ إِلَّا
كَقَارِبٍ وَرَدٍّ وَ طَالِبٍ وَجَدٍّ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ (٢) .

[قال الرضى رحمه الله تعالى أقول و قد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا أن فيه هاهنا زياده أوجبت تكريره]

فإن قلت لقائل أن يقول إذا أوصاهم بالتوحيد و اتباع سنه النبى ص

ص: ١٤٣

١- ١) سورة النور ٢٢.

٢- ٢) سورة آل عمران ١٩٨.

فلم يبق شيء بعد ذلك يقول فيه أقيموا هذين العمودين و خلاكم ذم لأن سنه النبي ص فعل كل واجب و تجنب كل قبيح
فخلاهم ذم فما ذا يقال.

و الجواب أن كثيرا من الصحابه كلفوا أنفسهم أمورا من النوافل شاقه جدا فمنهم من كان يقوم الليل كله و منهم من كان يصوم
الدهر كله و منهم المرابط في الثغور و منهم المجاهد مع سقوط الجهاد عنه لقيام غيره به و منهم تارك النكاح و منهم تارك
المطاعم و الملابس و كانوا يتفاخرون بذلك و يتنافسون فيه فأراد ع أن يبين لأهله و شيعته وقت الوصيه أن المهم الأعظم هو
التوحيد و القيام بما يعلم من دين محمد ص أنه واجب و لا عليكم بالإحلال بما عدا ذلك فليت من المائه واحدا نهض بذلك و
المراد ترغيبهم بتخفيف وظائف التكاليف عنهم فإن الله تعالى يقول يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (١)

٤١٥٥

و قال ص بعثت بالحنيفيه السهله السمه.

قوله و خلاكم ذم لفظه تقال على سبيل المثل أى قد أعذرتكم و سقط عنكم الذم .

ثم قسم أيامه الثلاثه أقساما فقال أنا بالأمس صاحبكم أى كنت أرجى و أخاف و أنا اليوم عبره لكم أى عظه تعتبرون بها و أنا
غدا مفارقكم أكون فى دار أخرى غير داركم.

ثم ذكر أنه إن بقى و لم يمت من هذه الضربه فهو ولى دمه إن شاء عفا و إن شاء اقتص و إن لم يبق فالفناء الموعد الذى لا بد
منه.

ثم عاد فقال و إن أعف و التقسيم ليس على قاعده تقسيم المتكلمين و المعنى منه مفهوم و هو إما أن أسلم من هذه الضربه أو لا
أسلم فإن سلمت منها فأنا ولى دمي إن شئت عفوت فلم أقتص و إن شئت اقتصصت و لا يعنى بالقصاص هاهنا القتل بل ضربه
بضربه فإن سرت إلى النفس كانت السرايه مهدره كقطع اليد.

ص: ١٤٤

ثم أوماً إلى أنه إن سلم عفا بقوله إن العفو لى إن عفوت قربه .

ثم عدنا إلى القسم الثانى من القسمين الأولين و هو أنه ع لا يسلم من هذه فولايه الدم إلى الورثه إن شاءوا اقتصوا و إن شاءوا عفوا.

ثم أوماً إلى أن العفو منهم أحسن بقوله و هو لكم حسنه بل أمرهم أمرا صريحا بالعفو فقال فاعفوا أ لا تُجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ و هذا لفظ الكتاب العزيز و ينبغى أن يكون أمره بالعفو فى هذا الكلام محمولا على الندب .

ثم أقسم ع أنه ما فجأه من الموت أمر أنكره و لا كرهه فجأنى الشىء أتانى بغته.

ثم قال ما كنت إلا كقارب ورد و القارب الذى يسير إلى الماء و قد بقى بينه و بينه ليله واحده و الاسم القرب فهم قاربون و لا يقال مقربون و هو حرف شاذ

٢٤ و من وصيه له ع بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ لِيُؤَلِّجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ .

قد عاتبت العثمانيه و قالت إن أبا بكر مات و لم يخلف دينارا و لا درهما و إن عليا مات و خلف عقارا كثيرا يعنون نخلا قيل لهم قد علم كل أحد أن عليا ع استخرج عيوننا بكمد يده بالمدينه و ينبع و سويعه و أحيا بها مواتا كثيرا ثم أخرجها عن ملكه و تصدق بها على المسلمين و لم يمت و شيء منها في ملكه ألا ترى إلى ما تتضمنه كتب السير و الأخبار من منازعه زيد بن علي و عبد الله بن الحسن في صدقات علي ع و لم يورث علي ع بنيه قليلا من المال و لا كثيرا إلا عبيده و إماءه و سبعمائه درهم من عطائه تركها ليشتري بها خادما لأهله قيمتها ثمانيه و عشرون دينارا على حسب المائة أربعه دنانير و هكذا كانت المعامله بالدراهم إذ ذاك و إنما لم يترك أبو بكر قليلا- و لا- كثيرا لأنه ما عاش و لو عاش لترك ألا ترى أن عمر أصدق أم كلثوم أربعين ألف درهم و دفعها إليها و ذلك لأن هؤلاء طالت أعمارهم فمنهم من درت عليه أخلاف التجاره و منهم من كان يستعمر الأرض و يزرعها و منهم من استفضل من رزقه من الفيء (١).

ص: ١٤٦

(١ - ١) الفيء: الغنيمه.

و فضلهم أمير المؤمنين ع بأنه كان يعمل بيده و يحرث الأرض و يستقى الماء و يغرس النخل كل ذلك يباشره بنفسه الشريفه و لم يستبق منه لوقته و لا- لعقبه قليلا- و لا كثيرا و إنما كان صدقه و قدمات رسول الله ص و له ضياع كثيره جليله جدا بخير و فدك و بنى النضير و كان له وادى نخله و ضياع أخرى كثيره بالطائف فصارت بعد موته صدقه بالخبر الذى رواه أبو بكر فإن كان على ع معييا بضياعه و نخله فكذلك رسول الله ص و هذا كفر و إحداد و إن كان رسول الله ص إنما ترك ذلك صدقه فرسول الله ص ما روى عنه الخبر فى ذلك إلا- واحد من المسلمين و على ع كان فى حياته قد أثبت عند جميع المسلمين بالمدينه أنها صدقه فالتهمه إليه فى هذا الباب أبعد و روى و يعطينى به الأمانه و هى الأمان منها فإنه يقوم بذلك الحسن بن عليّ يأكل منه بالمعروف و يُنفق منه بالمعروف فإن خدث بحسن خدث و حسيئ حتى قام بالأمر بعيدته و أصدره مصدرة و إن لابنى فاطمة من صدقه على مثل الذى لبني على و إنى إنما جعلت القيام بذلك إلى ابنى فاطمة ابتغاء وجه الله و قربة إلى رسول الله ص و تكريماً لحرمته و تشریفاً لوصولته و يشترط على الذى يجعله إليه أن يترك المال على أصوله و يُنفق من ثمره حيث أمر به و هدى له و ألا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى و دية حتى تشكل أرضها غراساً

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أُطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَمَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتَمْسَكَ عَلَيَّ وَلَمَدَهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ فَإِنْ مَاتَ وَلَمَدَهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

قال السيد الرضى رحمه الله تعالى قوله ع فى هذه الوصيه و ألا يبيع من نخلها وديه الوديه الفسيله و جمعها ودى.

قوله ع حتى تشكل أرضها غراسا هو من أفصح الكلام و المراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفه التى عرفها بها فيشكل عليه أمرها و يحسبها غيرها

جعل للحسن ابنه ع و لايه صدقات أمواله و أذن له أن يأكل منه بالمعروف أى لا يسرف و إنما يتناول منه مقدار الحاجه و ما جرت بمثله عاده من يتولى الصدقات كما قال الله تعالى وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا (١).

ثم قال فإن مات الحسن و الحسين بعده حى فالولاية للحسين و الهاء فى مصدره ترجع إلى الأمر أى يصرفه فى مصارفه التى كان الحسن يصرفه فيها ثم ذكر أن لهذين الولدين حصه من صدقاته أسوه بسائر البنين و إنما قال ذلك لأنه قد يتوهم متوهم

ص: ١٤٨

١-١) سورة التوبه ٦٠.

أنهما لكونهما قد فوض إليهما النظر في هذه الصدقات قد منعا أن يسهما فيها بشيء و إن الصدقات إنما يتناولها غيرهما من بنى على ع ممن لا- ولا-يه له مع وجودهما ثم بين لما ذا خصهما بالولاية فقال إنما فعلت ذلك لشرفهما برسول الله ص فتقربت إلى رسول الله ص بأن جعلت لسبطيه هذه الرئاسة و فى هذا رمز و إزرء بمن صرف الأمر عن أهل بيت رسول الله ص مع وجود من يصلح للأمر أى كان الأليق بالمسلمين و الأولى أن يجعلوا الرئاسة بعده لأهله قربه إلى رسول الله ص و تكريما لحرمة و طاعه له و أنفه لقدره ص أن تكون ورثته سوقه يليهم الأجانب و من ليس من شجرته و أصله أ لا ترى أن هيبه الرساله و النبوه فى صدور الناس أعظم إذا كان السلطان و الحاكم فى الخلق من بيت النبوه و ليس يوجد مثل هذه الهيبة و الجلال فى نفوس الناس للنبوه إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوه ع .

ثم اشترط على من يلى هذه الأموال أن يتركها على أصولها و ينفق من ثمرتها أى لا يقطع النخل و الثمر و يبيعه خشبا و عيدانا فيفضى الأمر إلى خراب الضياع و عطله العقار.

قوله و ألا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى أى من الفسلان الصغار سماها أولادا و فى بعض النسخ ليست أولاد مذكوره و الوديه الفسيله.

تشكل أرضها

تمتلى بالغرأس حتى لا يبقى فيه طريقه واضحه .

قوله أطوف عليهن كناية لطيفه عن غشيان النساء أى من السرارى و كان ع يذهب إلى حل بيع أمهات الأولاد فقال من كان من إمائى لها ولد منى أو هى حامل منى و قسمتى تركتى فلتكن أم ذلك الولد مبيعه على ذلك الولد و يحاسب بالثمن من حصته من التركة فإذا بيعت عليه عتقت عليه لأن الولد إذا اشترى الوالد عتق الوالد

ص: ١٤٩

عنه و هذا معنى قوله فتمسك على ولدها أى تقوم عليه بقيمه الوقت الحاضر و هى من حظه أى من نصيبه و قسطه من التركة.

قال فإن مات ولدها و هى حيه بعد أن تقوم عليه فلا يجوز بيعها لأنها خرجت عن الرق بانتقالها إلى ولدها فلا يجوز بيعها.

فإن قلت فلما ذا قال فإن مات ولدها و هى حيه و هلا قال فإذا قومت عليه عتقت.

قلت لأن موضع الاشتباه هو موت الولد و هى حيه لأنه قد يظن ظان أنه إنما حرم بيعها لمكان وجود ولدها فأرادع أن يبين أنها قد صارت حره مطلقا سواء كان ولدها حيا أو ميتا

ص: ١٥٠

و إنما ذكرنا هنا جملاً منها ليعلم بها أنه ع كان يقيم عماد الحق و يشرع أمثله العدل في صغير الأمور و كبيرها و دقيقها و جليلها انطلق على تقوى الله و خيده لا شريك له و لا ترؤف عن مسيماً و لا تجتازن عليه كارهاً و لا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض إليهم بالسكينه و الوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم و لا تخرج بالتحية لهم ثم تقول عباد الله أرسى لى إليكم و لى الله و خليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى و ليه فإن قال قائل لا فلا تراجع و إن أنعم لك ممن فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تغسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه و لا عفيف به و لا تنفرن بهيمة و لا تفزعنها و لا تسوءن صاحبها فيها و اضدع المال صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لى اختاره ثم اضدع الياقى صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لى اختاره فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لى الله في ماله فاقبض حق الله منه

فَإِنْ اسْتَفَالَكَ فَأَقِلَّهُ ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوْلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَلا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا وَلا هَرِمَةً وَلا مَكْسُورَةً وَلا مَهْلُوسَةً وَلا ذَاتَ عَوَارٍ وَلا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقَ بِعَدِينِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ وَلا تُوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَآمِينًا حَفِيزًا غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلا مُجْحِفٍ وَلا مُلْغِبٍ وَلا مُتَعِبٍ ثُمَّ اخْذُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نَصِيرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقِهِ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا وَلا يَمْضِرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ [فَيَضُرَّ]

ذَلِكَ بِوَالِدِهَا وَلا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا وَلا يُعِيدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا وَلِيُرْفَهُ عَلَى اللَّأْغِبِ وَلا يُسْتَأَنَّ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ وَلا يُورِدُهَا مِا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْعُدْرِ وَلا يَعِيدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ وَلا يُرْوِحَهَا فِي السَّاعَاتِ وَلا يُمَهِّلَهَا عِنْدَ النَّطَافِ وَالأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدْنًا مُنْقِيَاتٍ غَيْرِ مُتْعَبَاتٍ وَلا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّتِهِ نَبِيَّهِ ص فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِلْأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وقد كرر ع قوله لنقسمها على كتاب الله و سنه نبيه ص فى ثلاثه مواضع من هذا الفصل الأول قوله حتى يوصله إلى وليهم ليقسمه بينهم .

الثانى قوله ع نصيره حيث أمر الله به .

ص : ١٥٢

الثالث قوله لنقسمها على كتاب الله و البلاغه لا تقتضى ذلك و لكنى أظنه أحب أن يحتاط و أن يدفع الظنه عن نفسه فإن الزمان كان فى عهده قد فسد و ساءت ظنون الناس لا سيما مع ما رآه من عثمان و استثنائه بمال الفىء.

و نعود إلى الشرح قوله ع على تقوى الله على ليست متعلقه بانطلق بل بمحذوف تقديره مواظبا.

قوله و لا تروعن أى لا تفزعن و الروع الفزع رعبه أو روعه و لا تروعن بتشديد الواو و ضم حرف المضارعه من روعت للتكثير.

قوله ع و لا تجتازن عليه كارها أى لا تمرن بيوت أحد من المسلمين يكره مرورك و روى و لا تختارن عليه أى لا تقسم ماله و تختار أحد القسمين و الهاء فى عليه ترجع إلى مسلما و تفسير هذا سيأتى فى وصيته له أن يصدق المال ثم يصدعه فهذا هو النهى عن أن يختار على المسلم و الروايه الأولى هى المشهوره .

قوله ع فانزل بمائهم و ذلك لأن الغريب يحمده منه الانقباض و يستهجن فى القادم أن يخالط بيوت الحى الذى قدم عليه فقد يكون من النساء من لا تليق رؤيته و لا يحسن سماع صوته و من الأطفال من يستهجن أن يرى الغريب انبساطه على أبويه و أهله و قد يكره القوم أن يطلع الغريب على مأكلهم و مشربهم و ملبسهم و بواطن أحوالهم و قد يكونون فقراء فيكرهون أن يعرف فقرهم فيحتقرهم أو أغنياء أرباب ثروه كثيره فيكرهون أن يعلم الغريب ثروتهم فيحسداهم ثم أمره أن يمضى إليهم غير متسرع و لا عجل و لا طائش نزع حتى يقوم بينهم فيسلم عليهم

ص: ١٥٣

و يحييهم تحيه كامله غير مخدجه أى غير ناقصه أخذجت الناقه إذا جاءت بولدها ناقص الخلق و إن كانت أيامه تامه و خدجت ألفت الولد قبل تمام أيامه و روى و لا تحدج بالتحيه و الباء زائده .

ثم أمره أن يسألهم هل فى أموالهم حق لله تعالى يعنى الزكاه فإن قالوا لا- فلينصرف عنهم لأن القول قول رب المال فلعله قد أخرج الزكاه قبل وصول المصدق إليه.

قوله و أنعم لك أى قال نعم.

و لا تعسفه أى لا تطلب منه الصدقه عسفا و أصله الأخذ على غير الطريق.

و لا ترهقه لا تكلفه العسر و المشقه.

ثم أمره أن يقبض ما يدفع إليه من الذهب و الفضة و هذا يدل على أن المصدق كان يأخذ العين و الورق كما يأخذ الماشيه و أن النصاب فى العين و الورق تدفع زكاته إلى الإمام و نوابه و فى هذه المسأله اختلاف بين الفقهاء.

قوله فإن أكثرها له كلام لا مزيد عليه فى الفصاحه و الرئاسه و الدين و ذلك لأن الصدقه المستحقه جزء يسير من النصاب و الشريك إذا كان له الأكثر حرم عليه أن يدخل و يتصرف إلا بإذن شريكه فكيف إذا كان له الأقل.

قوله فلا تدخلها دخول متسلط عليه قد علم ع أن الظلم من طبع الولاه و خصوصا من يتولى قبض الماشيه من أربابها على وجه الصدقه فإنهم يدخلونها دخول متسلط حاكم قاهر و لا يبقى لرب المال فيها تصرف فنهى ع عن مثل ذلك.

قوله و لا- تنفرن بهيمه و لا تفرز عنها و ذلك أنهم على عادة السوء يهجهجون (١) بالقطيع حتى تنفر الإبل و كذلك بالشاء إظهارا للقوه و القهر و ليتمكن أعوانهم من اختيار الجيد و رفض الردىء.

قوله و لا تسوءن صاحبها فيها أى لا تغموه و لا تحزنوه يقال سؤته فى كذا سوائيه و مسائيه .

قوله و اصدع المال صدعين و خيريه أى شقه نصفين ثم خيريه فإذا اختار أحد النصفين فلا تعرضن لما اختار ثم اصدع النصف الذى ما ارتضاه لنفسه صدعين و خيريه ثم لا- تزال تفعل هكذا حتى تبقى من المال بمقدار الحق الذى عليه فأقبضه منه فإن استقالك فأقله ثم اخلط المال ثم عد لمثل ما صنعت حتى يرضى و ينبغى أن يكون المعيبات الخمس و هى المهلوسه و المكسوره و أخواتهما يخرجها المصدق من أصل المال قبل قسمته ثم يقسم و إلا فربما وقعت فى سهم المصدق إذا كان يعتمد ما أمره به من صدع المال مره بعد مره.

و العود المسن من الإبل و الهرمه المسنه أيضا و المكسوره التى أحد قوائمها مكسوره العظم أو ظهرها مكسور و المهلوسه المريضه قد هلسها المرض و أفنى لحمها و الهلاس السل و العوار بفتح العين العيب و قد جاء بالضم .

و المعنف ذو العنف بالضم و هو ضد الرفق و المجحف الذى يسوق المال سوقا عنيفا فيجحف به أى يهلكه أو يذهب كثيرا من لحمه و نقيه (٢) .

و الملغب المتعب و اللغوب الإعياء .

و حدرت السفينه و غيرها بغير ألف أحدرها بالضم.

ص: ١٥٥

١- ١) يقال: هجهج بالسبع: صاح به، و بالجمل زجره.

٢- ٢) النقى، بكسر النون و سكون القاف: المخ.

قوله بين ناقة و بين فصيلها الأفسح حذف بين الثانيه لأن الاسمين ظاهران و إنما تكرر إذا جاءت بعد المضمرة كقولك المال بينى و بين زيد و بين عمرو و ذلك لأن المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة حرف الجر و الاسم المضاف و قد جاء المال بين زيد و عمرو و أنشدوا بين السحاب و بين الريح ملحمة قعاقع و ظبي فى الجو تختلط (١).

و أيضا بين الندى و بين برقه ضاحك غيث الضريك و فارس مقدم (٢).

و من شعر الحماسه و إن الذى بينى و بين بنى أبى و بين بنى عمى لمختلف جدا (٣).

و ليس قول من يقول إنه عطف بين الثالثه على الضمير المجرور بأولى من قول من يقول بل عطف بين الثالثه على بين الثانيه لأن المعنى يتم بكل واحد منها.

قوله ع و لا تمصر لبنها المصير حلب ما فى الضرع جميعه نهاه من أن يحلب اللبن كله فيبقى الفصيل جائعا ثم نهاه أن يجهدا ركوبا أى يتعبها و يحملها مشقه ثم أمره أن يعدل بين الركاب فى ذلك لا يخص بالركوب واحده بعينها ليكون ذلك أروح لهن ليرفه على اللاغب أى ليركه و ليعفه عن الركوب ليستريح و الرفاهيه الدعه و الراحة.

و النقب ذو النقب و هو رقه خف البعير حتى تكاد الأرض تجرحه أمره أن يستأنى بالبعير ذى النقب من الأناه و هى المهله.

ص: ١٥٦

١-١) الملحمة: الحرب، و القعاقع: حكاية أصوات الترسه فى الحرب. و الظبي: جمع ظبه، و هو حدّ السيف.

٢-٢) برقه ضاحك: موضع بعينه.

٣-٣) ديوان الحماسه ١٧٢: ٣٠، و البيت للمقنع الكندى.

و الظالع الذى ظلع أى غمز فى مشيه.

و الغدر جمع غدیر الماء و جواد الطريق حيث لا ينبت المرعى.

و النطاف جمع نطفه و هى الماء الصافى القليل.

و البدن بالتشديد السمان واحدها بادن.

و منقيات ذوات نقى و هو المخ فى العظم و الشحم فى العين من السمن و أنقت الإبل و غيرها سمنت و صار فيها نقى و ناقه منقيه و هذه الناقه لا تنقى

ص: ١٥٧

[آمره]

أمره بتقوى الله في سرائر أمره و خفيات عمله حيث لا [شاهد]

شهيده غيره و لا وكيل دونه و [آمره]

أمره ألا يعمل بشيء من طاعه الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسر و من لم يختلف سره و علانيته و فعله و مقالته فقد أدى الأمانة و أخلص العباده و [آمره]

أمره ألا يجههم و لا يعضهم و لا يزغب عنهم تفضلاً بالإماره عليهم فإنهم الإخوان في الدين و الأعوان على استخراج الحقوق و إن لك في هديه الصدقه نصيباً مفروضاً و حقاً معلوماً و شركاء أهيل مسكنه و ضه عفاء ذوى فاقه و إنا موفوك حقاك فوقهم حقوقهم و إلا- تفعل فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة و بؤسى لمن خصمه عند الله الفقراء و المساكين و السائلون و المذفوعون و العارمون و ابن السبيل و من استهان بالأمانه و رتع في الخيانه و لم ينزه نفسه و دينه عنها فقد أحل بنفسه الذل و الخزي في الدنيا و هو في الآخره أذل و أخزى و إن أعظم الخيانه خيانه الأمه و أقطع الغش غش الأئمه و السلام .

حيث لا شهيد و لا وكيل دونه

يعنى يوم القيامة .

قوله ألا يعمل بشيء من طاعه الله فيما ظهر أى لا ينافق فيعمل الطاعه فى الظاهر و المعصيه فى الباطن.

ثم ذكر أن الذين يتجنبون النفاق و الرياء هم المخلصون .

و ألا- يجبههم لا- يواجههم بما يكرهونه و أصل الجبه لقاء الجبهه أو ضربها فلما كان المواجه غيره بالكلام القبيح كالضارب جبهته به سمى بذلك جبهها.

قوله و لا يعصهم أى لا يرميهم بالبهتان و الكذب و هى العصيه و عضت فلانا عضها و قد عضت يا فلان أى جئت بالبهتان قوله و لا يرغب عنهم تفضلا يقول لا يحقرهم ادعاء لفضله عليهم و تميزه عنهم بالولايه و الإمره يقال فلان يرغب عن القوم أى يأنف من الانتماء إليهم أو من المخالطه لهم.

و كان عمر بن عبد العزيز يدخل إليه سالم مولى بنى مخزوم و عمر فى صدر بيته فيتحنى عن الصدر و كان سالم رجلا صالحا و كان عمر أراد شراءه و عتقه فأعتقه مواليه فكان يسميه أخى فى الله فليل له أ تتحنى لسالم فقال إذا دخل عليك من لا ترى لكك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس و هم السراج ليله بأن يخمد فوثب إليه رجاء بن حيوه ليصلحه فأقسم عليه عمر بن عبد العزيز فجلس ثم قام عمر فأصلحه فقال له رجاء أ تقوم أنت يا أمير المؤمنين قال نعم قمت و أنا عمر بن عبد العزيز و رجعت و أنا عمر بن عبد العزيز

ص: ١٥٩

قال رسول الله ص لا- ترفعوني فوق قدرى فتقولوا فى ما قالت النصرى فى ابن مريم فى ان الله عز و جل اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا.

ثم قال إن أرباب الأموال الذين تجب الصدقه عليهم فى أموالهم إخوانك فى الدين و أعوانك على استخراج الحقوق لأن الحق إنما يمكن العامل استيفاؤه بمعاونه رب المال و اعترافه به و دفعه إليه فإذا كانوا بهذه الصفه لم يجز لك عضهم و جبههم و ادعاء الفضل عليهم .

ثم ذكر أن لهذا العامل نصيبا مفروضا من الصدقه و ذلك بنص الكتاب العزيز فكما نوفيك نحن حقك يجب عليك أن توفى شركاءك حقوقهم و هم الفقراء و المساكين و الغارمون و سائر الأصناف المذكوره فى القرآن و هذا يدل على أنه ع قد فوضه فى صرف الصدقات إلى الأصناف المعلومه و لم يأمره بأن يحمل ما اجتمع إليه ليوزعه هوع على مستحقه كما فى الوصيه الأولى و يجوز للإمام أن يتولى ذلك بنفسه و أن يكله إلى من يثق به من عماله.

و انتصب أهل مسكنه لأنه صفه شركاء و فى التحقيق أن شركاء صفه أيضا موصوفها محذوف فىكون صفه بعد صفه.

و قال الراوندى انتصب أهل مسكنه لأنه بدل من شركاء و هذا غلط لأنه لا يعطى معناه ليكون بدلا منه .

و قال أيضا بؤسى أى عذابا و شده فظنه منونا و ليس كذلك بل هو بؤسى على وزن فعلى كفضلى و نعمى و هى لفظه مؤنثه يقال بؤسى لفلان قال الشاعر أرى الحلم بؤسى للفتى فى حياته و لا عيش إلا ما حباك به الجهل.

هاهنا هم الرقاب المذكورون في الآيه و هم المكاتبون يتعذر عليهم أداء مال الكتابه فيسألون الناس ليتخلصوا من ربقه الرق و قيل هم الأسارى يطلبون فكاك أنفسهم و قيل بل المراد بالرقاب في الآيه الرقيق يسأل أن يبتاعه الأغنياء فيعتقوه و المدفوعون هاهنا هم الذين عناهم الله تعالى في الآيه بقوله وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَ هُم فُقَرَاءُ الْغَزَاةِ سَمَاهُم مَّدْفُوعِينَ لِفُقَرَاهُمْ وَ الْمَدْفُوعُ وَ الْمَدْفَعُ الْفَقِيرُ لِأَن كُلَّ أَحَدٍ يَكْرَهُهُ وَ يَدْفَعُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَ قِيلَ هُم الْحَجِيجُ الْمُنْقَطِعُ بِهِمْ سَمَاهُم مَّدْفُوعِينَ لِأَنَّهُمْ دَفَعُوا عَنِ إِتْمَامِ حُجَّتِهِمْ أَوْ دَفَعُوا عَنِ الْعُودِ إِلَى أَهْلِهِمْ.

فإن قلت لم حملت كلام أمير المؤمنين ع على ما فسرت به قلت لأنه ع إنما أراد أن يذكر الأصناف المذكوره في الآيه فترك ذكر المؤلفه قلوبهم لأن سهمهم سقط بعد موت رسول الله ص فقد كان يدفع إليهم حين الإسلام ضعيف و قد أعزه الله سبحانه فاستغنى عن تأليف قلوب المشركين و بقيت سبعة أصناف و هم الفقراء و المساكين و العاملون عليها و الرقاب و الغارمون و في سبيل الله و ابن السبيل.

فأما العاملون عليها فقد ذكرهم ع في قوله و إن لك في هذه الصدقه نصيبا مفروضا فبقيت ستة أصناف أتى ع بألفاظ القرآن في أربعة أصناف منها و هي الفقراء و المساكين و الغارم و ابن السبيل و أبدال لفظتين و هما الرقاب و في سبيل الله بلفظتين و هما السائلون و المدفوعون.

فإن قلت ما يقوله الفقهاء في الصدقات هل تصرف إلى الأصناف كلها أم يجوز صرفها إلى واحد منها.

قلت أما أبو حنيفة فإنه يقول الآية قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة فهي مختصه بها لا تتجاوزها إلى غيرها كأنه تعالى قال إنما هي لهم لا لغيرهم كقولك إنما الخلافه لقريش فيجوز أن تصرف الصدقه إلى الأصناف كلها و يجوز أن تصرف إلى بعضها و هو مذهب ابن عباس و حذيفه و جماعه من الصحابه و التابعين و أما الشافعي فلا يرى صرفها إلا إلى الأصناف المعدوده كلها و به قال الزهري و عكرمه .

فإن قلت فمن الغارم و ابن السبيل.

قلت الغارمون الذين ركبهم الديون و لا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب و قيل هم الذين يحملون الحملات فدينوا فيها و غرموا و ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو و إن كان غنيا حيث ماله موجود فقير حيث هو بعيد.

و قد سبق تفسير الفقير و المسكين فيما تقدم .

قوله فقد أحل بنفسه الذل و الخزي أى جعل نفسه محلا لهما و يروى فقد أحل بنفسه بالخاء المعجمه و لم يذكر الذل و الخزي أى جعل نفسه محلا- و معناه جعل نفسه فقيرا يقال خل الرجل إذا افتقر و أحل به غيره و بغيره أى جعل غيره فقيرا و روى أحل بنفسه بالخاء المهمله و لم يذكر الذل و الخزي و معنى أحل بنفسه أباح دمه و الروايه الأولى أصح لأنه قال بعدها و هو فى الآخره أذل و أخزى .

و خيانه الأمه مصدر مضاف إلى المفعول به لأن الساعى إذا خان فقد خان الأمه كلها و كذلك غش الأئمه مصدر مضاف إلى المفعول أيضا لأن الساعى إذا غش فى الصدقه فقد غش الإمام

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَ ابْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ حَيْثَى لَا يَطْمَعُ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَ لَا يَيْئَسُ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَيْدِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَ الْكَبِيرَةِ وَ الظَّاهِرَةِ وَ الْمُسْتُورَةِ فَإِنْ يَعْذِبْ فَانْتُمْ أَظْلَمُ وَ إِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَ آجَلِ الْآخِرَةِ فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَ لَمْ يُشَارِكُهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ سَيَكُونُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَيَكُنْتُمْ وَ أَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلْتُمْ فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظَى بِهِ الْمُتَرَفُونَ وَ أَخَذُوا مِنْهَا مِمَّا أَخَذَهُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلَّغِ وَ الْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَ تَيَقَّنُوا أَنََّّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ عَدَاً فِي آخِرَتِهِمْ لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَ لَا [يُنْقَفُ]

يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةِهَا فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَ قُرْبَهُ وَ أَعِدُّوا لَهُ عِدَّتَهُ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَ خَطْبٍ جَلِيلٍ بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا أَوْ شَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا وَ مَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا وَ أَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَ هُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَ الدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ

فَاخِذُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَحَرُّهَا شَدِيدٌ وَعِزْدَانُهَا جَدِيدٌ دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ وَلَا تَسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةَ وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كَرْبَةٌ وَإِنْ
اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ أَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا فَإِنَّ الْعَبِيدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ
رَبِّهِ وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ وَاعْلَمُوا يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مَضِرَ
فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالَفَ عَلَى نَفْسِكَ وَ أَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ وَ لَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ
خَلْقِهِ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ وَ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ صَلَّى الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا وَ لَا تُعَجِّلْ وَ قَتَلَهَا لِفِرَاقٍ وَ لَا تُؤَخِّرْهَا
عَنْ وَقْتِهَا لِاسْتِغَالٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكُمْ تَبِعَ لِصَلَاتِكُمْ .

آس بينهم

اجعلهم أسوه لا تفضل بعضهم على بعض في اللحظة و النظرة و نبه بذلك على وجوب أن يجعلهم أسوه في جميع ما عدا ذلك
من العطاء و الإنعام و التقريب كقوله تعالى **فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ** ١ .

قوله حتى لا- يطمع العظماء في حيفك لهم الضمير في لهم راجع إلى الرعيه لا- إلى العظماء و قد كان سبق ذكرهم في أول
الخطبه أى إذا سلكت هذا المسلك لم يطمع العظماء في أن تحيف على الرعيه و تظلمهم و تدفع أموالهم إليهم فإن و لاه الجور

ص: ١٦٤

هكذا يفعلون يأخذون مال هذا فيعطونه هذا و يجوز أن يرجع الضمير إلى العظماء أى حتى لا يطمع العظماء فى جورك فى القسم الذى إنما تفعله لهم ولأجلهم فإن ولاء الجور يطمع العظماء فيهم أن يحيفوا فى القسمه فى الفىء و يخالفوا ما حده الله تعالى فيها حفظا لقلوبهم و استماله لهم و هذا التفسير أليق بالخطابه لأن الضمير فى عليهم فى الفقره الثالثه عائد إلى الضعفاء فيجب أن يكون الضمير فى لهم فى الفقره الثانيه عائدا إلى العظماء .

قوله فإن يعذب فأنتم أظلم أفعل ها هنا بمعنى الصفه لا بمعنى التفضيل و إنما يراد فأنتم الظالمون كقوله تعالى وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ
او كقولهم الله أكبر .

ثم ذكر حال الزهاد فقال أخذوا من الدنيا بنصيب قوى و جعلت لهم الآخره و يروى أن الفضيل بن عياض كان هو و رفيق له فى بعض الصحارى فأكلا كسره يابسه و اغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران و قام الفضيل فحط رجله فى الماء فوجد برده فالتذ به و بالحال التى هو فيها فقال لرفيقه لو علم الملوك و أبناء الملوك ما نحن فيه من العيش و اللذه لحسدونا .

و روى و المتجر المربح فالرابع فاعل من ربح ربحا يقال بيع رابح أى يربح فيه و المربح اسم فاعل قد عدى ماضيه بالهمزه كقولك قام و أقمته .

قوله جيران الله غدا فى آخرتهم ظاهر اللفظ غير مراد لأن البارئ تعالى ليس فى مكان و جهه ليكونوا جيرانه و لكن لما كان الجار يكرم جاره سماهم جيران الله لإكرامه إياهم و أيضا فإن الجنه إذا كانت فى السماء و العرش هو السماء العليا كان فى الكلام محذوف مقدر أى جيران عرش الله غدا .

قوله فإنه يأتي بأمر عظيم و خطب جليل بخير لا يكون معه شر أبدا و شر لا يكون معه خير أبدا نص صريح فى مذهب أصحابنا فى الوعيد و أن من دخل النار من جميع المكلفين فليس بخارج لأنه لو خرج منها لكان الموت قد جاءه بشر معه خير و قد نفى نفيا عاما أن يكون مع الشر المعقب للموت خير البتة .

قوله من عاملها أى من العامل لها.

قوله طرداء الموت جمع طريد أى يطردكم عن أوطانكم و يخرجكم منها لا بد من ذلك إن أقمتم أخذكم و إن هربتم أدرككم .

و قال الراوندى طرداء هاهنا جمع طريده و هى ما طردت من الصيد أو الوسيقه (١) و ليس بصحيح لأن فعيله بالتأنيث لا تجمع على فعلاء و قال النحويون إن قوله تعالى وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ (٢) جاء على خليف لا على خليفه و أنشدوا لأوس بن حجر بيتا استعملها جميعا فيه و هو إن من القوم موجودا خليفته و ما خليف أبى ليلى بموجود (٣) .

قوله ألزم لكم من ظلكم لأن الظل لا تصح مفارقتة لذى الظل ما دام فى الشمس و هذا من الأمثال المشهوره.

قوله معقود بنواصيكم أى ملازم لكم كالشئ المعقود بناصيه الإنسان أين ذهب ذهب منه.

و قال الراوندى أى الموت غالب عليكم قال تعالى فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ (٤) فإن الإنسان إذا أخذ بناصيته لا يمكنه الخلاص و ليس بصحيح لأنه لم يقل أخذ بنواصيكم.

قوله و الدنيا تطوى من خلفكم من كلام بعض الحكماء الموت و الناس كسطور

ص: ١٦٦

١- (١) الوسيقه:الجماعه من الإبل،إذا سوقت طردت معا.

٢- (٢) سوره النمل ٦٢.

٣- (٣) ديوانه ٢٥،و روايته:«و ما خليف أبى وهب».

٤- (٤) سوره الرحمن ٤١.

فى صحيفه يقرؤها قارئ و يطوى ما يقرأ فكلما ظهر سطر خفى سطر .

ثم أمره ع بأن يجمع بين حسن الظن بالله و بين الخوف منه و هذا مقام جليل لا يصل إليه إلا كل ضامر مهزول و قد تقدم كلامنا فيه

٤١٥٧

و قال على بن الحسين ع لو أنزل الله عز و جل كتابا أنه معذب رجلا واحدا لرجوت أن أكونه أو أنه معذبي لا محاله ما ازددت إلا اجتهادا لئلا أرجع إلى نفسى بلائمه .

ثم قال وليتك أعظم أجنادى يقال للأقاليم و الأطراف أجناد تقول ولى جند الشام و ولى جند الأردن و ولى جند مصر .

قوله فأنت محقوق كقولك حقيق و جدير و خليق قال الشاعر و إنى لمحقوق بألا يطولنى نداه إذا طاولته بالقصائد.

و تنافح تجالذ نافحت بالسيف أى خاصمت به.

قوله و لو لم يكن إلا ساعه من النهار المراد تأكيد الوصاه عليه أن يخالف على نفسه و ألا يتبع هواها و أن يخاصم عن دينه و أن ذلك لازم له و واجب عليه و يلزم أن يفعله دائما فإن لم يستطع فليفعله و لو ساعه من النهار و ينبغى أن يكون هذا التقييد مصروفا إلى المنافحه عن الدين لأن الخصام فى الدين قد يمنعه عنه مانع فأما أمره إياه أن يخالف على نفسه فلا يجوز صرف التقييد إليه لأنه يشعر بأنه مفسوح له أن يتبع هوى نفسه فى بعض الحالات و ذلك غير جائز بخلاف المخاصمه و النضال عن المعتقد .

قال و لا تسخط الله برضا أحد من خلقه فإن فى الله خلفا من غيره و ليس من الله خلف فى غيره أخذه الحسن البصرى فقال لعمر

بن هبيرة

ص: ١٦٧

أمير العراق إن الله مانعك من يزيد و لم يمنعك يزيد من الله يعنى يزيد بن عبد الملك .

ثم أمره بأن يصلى الصلاة لوقتها أى فى وقتها و نهاء أن يحمله الفراغ من الشغل على أن يعجلها قبل وقتها فإنها تكون غير مقبولة أو أن يحمله الشغل على تأخيرها عن وقتها فيأثم.

و من كلام هشام بن عقبه أخى ذى الرمه و كان من عقلاء الرجال قال المبرد فى الكامل حدثنى العباس بن الفرغ الرياشى بإسناده قال هشام لرجل أراد سفرا اعلم أن لكل رفقه كلبا يشركهم فى فضل الزاد و يهر دونهم فإن قدرت ألا تكون كلب الرفقه فافعل و إياك و تأخير الصلاة عن وقتها فإنك مصليها لا محاله فصلها و هى تقبل منك (١).

قوله و اعلم أن كل شىء من عملك تبع لصلاتك فيه شبه من

٤١٥٨

قول رسول الله ص الصلاة عماد الإيمان و من تركها فقد هدم الإيمان.

٤١٥٩

و قال ص أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن سهل عليه كان ما بعده أسهل و إن اشتد عليه كان ما بعده أشد.

و مثل قوله و لا تسخط الله برضا أحد من خلقه ما رواه المبرد فى الكامل عن عائشه قالت من أرضى الله بإسخط الناس كفاه الله ما بينه و بين الناس و من أرضى الناس بإسخط الله و كله الله إلى الناس.

و مثل هذا ما رواه المبرد أيضا قال لما ولى الحسن بن زيد بن الحسن المدينه قال لابن هرمه إنى لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك فقد رزقنى (٢).

ص: ١٦٨

١-٢) الكامل ٢٦٢:١.

٢-٣) الكامل: قد أفادنى الله بولاده نبيه الممدوح.

الله عز و جل بولاده نبيه ص الممادح و جنبني المقابح و إن من حقه على ألا أغضى على تقصير في حق الله و أنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدا للخمر و حدا للسكر و لأزيدن لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله عز و جل تعن عليه و لا تدعها للناس فتوكل إليهم فقال ابن هرمة ٢نهاني ابن الرسول عن المدام

ص: ١٦٩

وَ [مِنْ هَذَا الْعَهْدِ]

مِنْهُ فَإِنَّهُ لَا سِوَاءَ إِمَامٍ الْهُدَى وَ إِمَامٍ الرَّدَى وَ وَلِيِّ النَّبِيِّ وَ عَدُوِّ النَّبِيِّ وَ لَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَ لَا مُشْرِكًا أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيْمَانِهِ وَ أَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ وَ لَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَ يَفْعَلُ مَا تُكْرَهُونَ .

الإشارة بإمام الهدى إليه نفسه و بإمام الردى إلى معاويه و سماه إماما كما سمي الله تعالى أهل الضلال أئمه فقال وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ (١) ثم وصفه بصفه أخرى و هو أنه عدو النبي ص ليس يعنى بذلك أنه كان عدوا أيام حرب النبي ص لقريش بل يريد أنه الآن عدو النبي ص

٤١٦٠

لقوله ص

له ع و عدوك عدوى و عدوى عدو الله و أول الخبر وليك وليى و وليى ولي الله.

و تمامه مشهور و لأن دلائل النفاق كانت ظاهره عليه من فلتات لسانه و من أفعاله و قد قال أصحابنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة فلتطلب من كتبهم خصوصا

ص : ١٧٠

من كتب شيخنا أبي عبد الله و من كتب الشيخين أبي جعفر الإسكافي و أبي القاسم البلخي و قد ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم .

ثم قال ع إن رسول الله ص قال إني لا أخاف على أمتي مؤمنا و لا مشركا أي و لا مشركا يظهر الشرك قال لأن المؤمن يمنعه الله بإيمانه أن يضل الناس و المشرك مظهر الشرك يقمعه الله بإظهار شركه و يخذله و يصرف قلوب الناس عن اتباعه لأنهم ينفرون منه لإظهاره كلمه الكفر فلا تطمئن قلوبهم إليه و لا تسكن نفوسهم إلى مقالته و لكني أخاف على أمتي المنافق الذي يسر الكفر و الضلال و يظهر الإيمان و الأفعال الصالحه و يكون مع ذلك ذا لسن و فصاحه يقول بلسانه ما تعرفون صوابه و يفعل سرا ما تنكرونه لو اطلعتم عليه و ذاك أن من هذه صفته تسكن نفوس الناس إليه لأن الإنسان إنما يحكم بالظاهر فيقلده الناس فيضلهم و يوقعهم في المفاسد

كتاب المعتضد بالله

و من الكتب المستحسنه الكتاب الذي كتبه المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد طلحه بن المتوكل على الله في سنه أربع و ثمانين و مائتين و وزيره حينئذ عبيد الله بن سليمان و أنا أذكره مختصرا من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى .

قال أبو جعفر و في (١) هذه السنه عزم المعتضد على لعن معاويه بن أبي سفيان على المنابر و أمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس فخوفه عبيد الله بن سليمان اضطراب العامه

ص: ١٧١

و أنه لا يأمن أن تكون فتنه فلم يلتفت إليه فكان أول شىء بدأ به المعتضد من ذلك التقدم إلى العامه بلزوم أعمالهم و ترك الاجتماع و العصييه ٢و [الشهادات عند السلطان إلا أن يسألوا]

٣و منع ٤القصاص عن القعود على الطرقات و أنشأ هذا الكتاب و عملت به نسخ قرئت بالجانبين من مدينه السلام فى الأرباع و المحال و الأسواق يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى من هذه السنه ثم منع يوم الجمعة لأربع بقين منه و منع القصاص من القعود فى الجانبين و منع أهل الحلق من القعود فى المسجدين و نودى فى المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع و غيره و بمنع القصاص و أهل الحلق من القعود و نودى إن الذمه قد برئت ممن اجتمع من الناس فى مناظره أو جدال و تقدم إلى الشراب الذين يسقون الماء فى الجامعين ألا- يترحموا على معاويه و لا- يذكروه بخير و كانت عادتهم جاريه بالترحم عليه و تحدث الناس أن الكتاب الذى قد أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاويه يقرأ بعد صلاه الجمعة على المنبر فلما صلى الناس بادروا إلى المقصوره لىسمعوا قراءه الكتاب فلم يقرأ و قيل إن عبيد الله بن سليمان صرفه عن قراءته و أنه أحضر يوسف بن يعقوب القاضى و أمره أن يعمل الحيله فى إبطال ما عزم المعتضد عليه فمضى يوسف فكلم المعتضد فى ذلك و قال له إنى أخاف أن تضطرب العامه و يكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركه فقال إن تحركت العامه أو نطقت وضعت السيف فيها فقال يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين يخرجون فى كل ناحيه و يميل إليهم خلق كثير لقربتهم من رسول الله ص و ما فى هذا الكتاب من إطرائهم أو كما قال و إذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل و كانوا هم أبسط

ألسنه و أثبت حجه منهم اليوم فأمسك المعتضد فلم يرد إليه جوابا و لم يأمر بعد ذلك فى الكتاب بشىء و كان من جملة الكتاب بعد أن قدم حمد الله و الثناء عليه و الصلاة على رسول الله ص أما بعد فقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعه العامه من شبهه قد دخلتهم فى أديانهم و فساد قد لحقهم فى معتقدهم و عصبية قد غلبت عليها أهواؤهم و نطقت بها ألسنتهم على غير معرفه و لا رويه قد قلدوا فيها قاده الضلاله بلا بينه و لا بصيره و خالفوا السنن المتبعه إلى الأهواء المبتدعه قال الله تعالى وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَـ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١) خروجا عن الجماعه و مسارعه إلى الفتنة و إثارة للفرقه و تشتيتا للكلمه و إظهارا لموالاه من قطع الله عنه الموالاه و بتر منه العصمه و أخرجته من المله و أوجب عليه اللعنه و تعظيما لمن صغر الله حقه و أوهن أمره و أضعف ركنه من بنى أميه الشجره الملعونه و مخالفه لمن استنقذهم الله به من الهلكه و أسغ عليهم به النعمه من أهل بيت البركه و الرحمه و الله يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢).

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك و رأى (٣) ترك إنكاره حرجا عليه فى الدين و فسادا لمن قلده الله أمره من المسلمين و إهمالا- لما أوجه الله عليه من تقويم المخالفين و تبصير الجاهلين و إقامة الحجه على الشاكين و بسط اليد على المعاندين (٤) و أمير المؤمنين يخبركم معاشر المسلمين أن الله جل ثناؤه لما ابتعث محمدا ص بدينه و أمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله و عشيرته فدعاهم إلى ربه و أنذرهم و بشرهم

ص: ١٧٣

- ١-١) سورة القصص ٥٠.
- ٢-٢) سورة البقره ١٠٥.
- ٣-٣) الطبرى: «ترك».
- ٤-٤) الطبرى: «العاندين».

و نصح لهم و أرشدهم فكان من استجاب له و صدق قوله و اتبع أمره نفيير ايسير من بنى أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربه و ناصر لكلمته و إن لم يتبع دينه إعزازا له و إشفاقا عليه فمؤمنهم مجاهد بصيرته و كافرهم مجاهد بنصرته و حميته يدفعون من نابذه و يقهرون من عازيه و عانده و يتوثقون له ممن كانفه و عاضده و يبائعون من سمح بنصرته و يتجسسون أخبار أعدائه و يكيّدون له بظهر الغيب كما يكيّدون له برأى العين حتى بلغ المدى و حان وقت الاهتداء فدخلوا فى دين الله و طاعته و تصديق رسوله و الإيمان به بأثبت بصيره و أحسن هدى و رغبه فجعلهم الله أهل بيت الرحمة و أهل بيت الذين أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا معدن الحكمة و ورثه النبوه و موضع الخلافه أوجب الله لهم الفضيله و ألزم العباد لهم الطاعه.

و كان ممن عانده و كذبه و حاربه من عشيرته العدد الكثير و السواد الأعظم يتلقونه بالضرر و الشريب ٢ و يقصدونه بالأذى و التخويف و ينادونه بالعداوه و ينصبون له المحاربه و يصدون من قصده و ينالون بالتعذيب من اتبعه و كان أشدهم فى ذلك عداوه و أعظمهم له مخالفه أولهم فى كل حرب و مناصبه و رأسهم فى كل إجلاب و فتنه لا يرفع على الإسلام رايه إلا كان صاحبها و قائدها و رئيسها أبا سفيان بن حرب صاحب أحد و الخندق و غيرهما و أشياعه من بنى أميه الملعونين فى كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله ص فى مواطن عدده لسابق علم الله فيهم و ماضى حكمه فى أمرهم و كفرهم و نفاقهم فلم يزل لعنه الله يحارب مجاهدا و يدافع مكابدا و يجلب منابذا حتى قهره السيف و علا أمر الله و هم كارهون فتعود بالإسلام غير منطو عليه و أسر الكفر غير مقلع عنه فقبله و قبل ولده على علم منه بحاله و حالهم ثم أنزل الله

تعالى كتابا فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم و هو قوله تعالى وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ١ و لا خلاف بين أحد في أنه تعالى و تبارك أراد بها بنى أميه .

و مما ورد من ذلك في السنه و رواه ثقات الأمه

٤١٦١

قول رسول الله ص فيه و قد رآه مقبلا على حمار و معاويه يقوده و يزيد يسوقه ٢ لعن الله الراكب و القائد و السائق.

و منه ما روته الرواه عنه من قوله يوم بيعه عثمان تلقفوها يا بنى عبد شمس تلقف الكره فو الله ما من جنه و لا نار و هذا كفر صراح يلحقه اللعنه من الله كما لحقت الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون.

و منه ما يروى من وقوفه على ثنيه أحد من بعد ذهاب بصره و قوله لقائده هاهنا رمينا محمدا و قتلنا أصحابه.

و منها الكلمه التى قالها للعباس قبل الفتح و قد عرضت عليه الجنود لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال له العباس ويحك إنه ليس بملك إنها النبوه.

و منها قوله يوم الفتح و قد رأى بلالا على ظهر الكعبه يؤذن و يقول أشهد أن محمدا رسول الله لقد أسعد الله عتبه بن ربيعه إذ لم يشهد هذا المشهد.

٤١٦٢

١٤- و منه الرؤيا التى رآها رسول الله ص فوجم لها قالوا فما رئى بعدها ضاحكا ٣ رأى نفرا من بنى أميه ينزون ٤ على منبره نزوه القرده .

٤١٦٣

١٤- و منها طرد رسول الله ص الحكم بن أبى العاص لمحاكاته إياه فى

ص: ١٧٥

مشيته و ألحقه الله بدعوه رسول الله ص آفه باقيه حين التفت إليه فرآه يتخلج يحكيه فقال كن كما أنت فبقى على ذلك سائر عمره .

هذا إلى ما كان من مروان ابنه في افتتاحه أول فتنه كانت في الإسلام و احتقابه اكل حرام سفك فيها أو أريق بعدها.

و منها ما أنزل الله تعالى على نبيه ص لَيْلَهُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ قالوا ملكك بنى أميه .

و منها

٤١٦٤

١٤- أن رسول الله ص دعا معاويه ليكتب بين يديه فدافع بأمره و اعتل بطعامه فقال ص لا أشبع الله بطنه فبقى لا يشبع و هو يقول و الله ما أترك الطعام شبعاً و لكن إعياء .

و منها

٤١٦٥

أن رسول الله ص قال يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي فطلع معاويه .

و منها

٤١٦٦

أن رسول الله ص قال إذا رأيتم معاويه على منبري فاقتلوه.

و منها

٤١٦٧

الحديث المشهور المرفوع أنه ص قال إن معاويه في تابوت من نار في أسفل درك من جهنم ينادى يا حنان يا منان فيقال له
الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين ٢.

و منها افتراؤه بالمحاربه لأفضل المسلمين في الإسلام مكانا و أقدمهم إليه سبقا و أحسنهم فيه أثرا و ذكرا على بن أبي طالب
ينازعه حقه بباطله و يجاهد أنصاره بضلاله أعوانه و يحاول ما لم يزل هو و أبوه يحاولانه من إطفاء نور الله و جحود دينه

وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ اوستهوى أهل الجهاله و يموه لأهل الغباوه بمكره و بغيه اللذين قدم

٤١٤٨

رسول الله ص

الخبر عنهما فقال لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة و يدعونك إلى النار .

مؤثرا للعاجله كافرا بالأجله خارجا من ربه ١٢ الإسلام مستحلا للدم الحرام حتى سفك في فتنته و على سبيل غوايته و ضلالته ما لا يحصى عدده من أختيار المسلمين الذابين عن دين الله و الناصرين لحقه مجاهدا في عداوه الله مجتهدا في أن يعصى الله فلا يطاع و تبطل أحكامه فلا تقام و يخالف دينه فلا بد و أن تعلق كلمه الضلال و ترتفع دعوه الباطل و كلمه الله هي العليا و دينه المنصور و حكمه النافذ و أمره الغالب و كيد من عاداه و حاده المغلوب الداحض حتى احتمل أوزار تلك الحروب و ما تبعها و تطوق تلك الدماء و ما سفك بعدها و سن سنن الفساد التي عليه إثمها و إثم من عمل بها و أباح المحارم لمن ارتكبها و منع الحقوق أهلها و غرته الآمال و استدرجه الإمهال و كان مما أوجب الله عليه به اللعنه قتله من قتل صبيرا ٣ من خيار الصحابه و التابعين و أهل الفضل و السدين مثل عمرو بن الحمق الخزاعي و حجر بن عدى الكندى فيمن قتل من أمثالهم على أن تكون له العزه و الملك و الغلبه ثم ادعاؤه زياد بن سميه أخوا و نسبه إياه إلى أبيه و الله تعالى يقول أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ٤

٤١٤٩

و رسول الله ص يقول ملعون من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه.

٤١٧٠

و قال الولد للفراش و للعاهر الحجر.

فخالف حكم الله تعالى و رسوله جهارا و جعل الولد لغير الفراش و الحجر لغير العاهر فأحل بهذه الدعوه من محارم الله و رسوله في أم حبيبه أم المؤمنين و في غيرها من النساء من شعور و وجوه قد

ص: ١٧٧

حرمها الله و أثبت بها من قربي قد أبعدها الله ما لم يدخل الدين خلل مثله و لم ينل الإسلام تبديل يشبهه.

و من ذلك إثاره لخلافه الله على عباده ابنه يزيد السكير الخمير صاحب الديكة و الفهود و القرده و أخذ البيعه له على خيار المسلمين بالقهر و السطوه و التوعد و الإخافه و التهديد و الرهبه و هو يعلم سفهه و يطلع على رهقه و خبثه و يعاين سكراته و فعلاته و فجوره و كفره فلما تمكن قاتله الله فيما تمكن منه طلب بثارات المشركين و طوائلهم عند المسلمين فأوقع بأهل المدينه فى وقع الحره الوقعه التى لم يكن فى الإسلام أشنع منها و لا أفحش فشفى عند نفسه غليله و ظن أنه قد انتقم من أولياء الله و بلغ الثأر لأعداء الله فقال مجاهرا بكفره و مظهرا لشركه ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل ١.

قول ٢ من لا يرجع إلى الله و لا إلى دينه و لا إلى رسوله و لا إلى كتابه و لا يؤمن بالله و بما جاء من عنده.

ثم أغلظ ما انتهك و أعظم ما اجترم سفكه دم الحسين بن على ع مع موقعه من رسول الله ص و مكانه و منزلته من الدين و الفضل و الشهاده له و لأخيه بسياده شباب أهل الجنه اجترأ على الله و كفرا بدينه و عداوه لرسوله و مجاهره لعترته و استهانه لحرمته كأنما يقتل منه و من أهل بيته قوما من كفره الترك

ص: ١٧٨

و الديلم و لا يخاف من الله نغمه و لا يراقب منه سطوه فبتر الله عمره أخبث أصله و فرعه و سلبه ما تحت يده و أعد له من عذابه و عقوبته ما استحقه من الله بمعصيته.

هذا إلى ما كان من بنى مروان من تبديل كتاب الله و تعطيل أحكام الله و اتخاذ مال الله بينهم دولا و هدم بيت الله و استحلالهم حرمه و نصبهم المجانيق عليه و رميهم بالنيران إياه لا يألون له إحراقا و إخرابا و لما حرم الله منه استباحه و انتهاكا و لمن لجأ إليه قتلا- و تنكيلا- و لمن أمنه الله به إخفاقه و تشريدا حتى إذا حقت عليهم كلمه العذاب و استحقوا من الله الانتقام و ملئوا الأرض بالجور و العدوان و عموا عباد بلاد الله بالظلم و الاقتسار و حلت عليهم السخطه و نزلت بهم من الله السطوه أتاح الله لهم من عتره نبيه و أهل وراثته و من استخلصه منهم لخلافته مثل ما أتاح من أسلافهم المؤمنين و آبائهم المجاهدين لأوائهم الكافرين فسفك الله به دماءهم و دماء آبائهم مرتدين كما سفك بأبائهم مشركين و قطع الله دابر الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

أيها الناس إن الله إنما أمر ليطاع و مثل ليمثل و حكم ليفعل قال الله سبحانه و تعالى إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝۱
قال أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون ۝۲

فالعنوا أيها الناس من لعنه الله و رسوله و فارقوا من لا تنالون القربه من الله إلا بمفارقتة اللهم العن أبا سفيان بن حرب بن أميه و معاويه بن أبي سفيان و يزيد بن معاويه و مروان بن الحكم و ولده و ولد ولده اللهم العن أئمه الكفر و قاده الضلال و أعداء الدين و مجاهدى الرسول و معطلى الأحكام و مبدلى الكتاب و منتهكى الدم الحرام اللهم إنا نبرأ إليك من مواله أعدائك و من الإغماض لأهل معصيتك

كما قلت لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يؤادون من حاد الله و رسوله ١.

أيها الناس اعرفوا الحق تعرفوا أهله و تأملوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها فقفوا عند ما وقفكم الله عليه و انفذوا كما أمركم الله به و أمير المؤمنين يستعصم بالله لكم و يسأله توفيقكم و يرغب إليه في هدايتكم و الله حسبه و عليه توكله و لا-قوه إلا-بالله العلي العظيم ٢.

قلت هكذا ذكر الطبري الكتاب و عندي أنه الخطبه لأن كل ما يخطب به فهو خطبه و ليس بكتاب و الكتاب ما يكتب إلى عامل أو أمير و نحوهما و قد يقرأ الكتاب على المنبر فيكون كالخطبه و لكن ليس بخطبه و لكنه كتاب قرئ على الناس.

و لعل هذا الكلام كان قد أنشئ ليكون كتابا و يكتب به إلى الآفاق و يؤمروا بقراءته على الناس و ذلك بعد قراءته على أهل بغداد و الذي يؤكد كونه كتابا و ينصر ما قاله الطبري إن في آخره كتب عبيد الله بن سليمان في سنة أربع و ثمانين و مائتين و هذا لا يكون في الخطب بل في الكتب و لكن الطبري لم يذكر أنه أمر بأن يكتب إلى الآفاق و لا قال وقع العزم على ذلك و لم يذكر إلا وقوع العزم على أن يقرأ في الجوامع ببغداد

ص: ١٨٠

و هو من محاسن الكتب أمّا بعيد فقد أتاني كتابك تذكّر فيه اصطفى الله مُحَمَّدًا ص لدينه و تأييده إياه لمن أيده من أصحابه
فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تُخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا و نعمته علينا في نبينا فكننت في ذلك كناقل التمر إلى هجر
أو داعي مسيده إلى النضال و زعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان و فلان فذكرت أمراً إن تم اعترلك كله و إن نقص لم
يلحقك ثلثه و ما أنت و الفاضل و المفضول و السائس و المسوس و ما للطلاق و أبناء الطلاق و التمييز بين المهاجرين الأولين و
تزيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم هيئات لقد حنّ قدح ليس منها و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها أ لا تربع أيها الإنسان
على ظلعك و تعرف قُصور ذرعك و تتأخر حيث أحرَكَ القدر فما عليك غلبه المغلوب و لا ظفر الظافر [فإنك]

وَ إِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي النَّبِيِّ رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَ لَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحَدْتُ أَنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ لِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِدْنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَ خَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ص بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ
صَلَاتِهِ عَلَيْهِ

أَوْ لَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا فَعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فَعَلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَ ذُو
الْجَنَاحَيْنِ وَ لَوْ لَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِيهِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَهَذَا كَرَّ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ
فَدَعُ عَنْكَ مَنْ مَيَّالَتْ بِهِ الرِّمِيَّةُ فَإِنَّا صَيَّرْنَا نَائِعَ رَبَّنَا وَ النَّاسُ بَعِيدٌ صَيَّرْنَا نَائِعَ لَنَا لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمَ عِزِّنَا وَ لَا عَادِي طَوْلَنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ
خَطَّنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَتَكُحْنَا وَ أَنْكُحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَ لَسْتُمْ هُنَاكَ وَ أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ [كَذَلِكَ]

وَ مِنَّا النَّبِيُّ وَ مِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ وَ مِنَّا أَسِيدُ اللَّهِ وَ مِنْكُمْ أَسِيدُ الْأَخْلَافِ وَ مِنَّا ٣، سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ مِنْكُمْ صَبِيهُ النَّارِ وَ مِنَّا خَيْرُ
نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ مِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَ عَلَيْكُمْ فَأَسْلَامُنَا [مَا]

فَدُ سِيْمَعٍ وَ جَاهِلِيَّتِنَا لَا تُدْفَعُ وَ كِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَا وَ هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ أَوْلَاهَا الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي
كِتَابِ اللَّهِ أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ٢ فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى
بِالْقَرَابَةِ وَ تَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ وَ لَمَّا اِخْتَجَّ الْمُتَهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ص فَلَجُوا عَلَيْهِمْ فَإِنْ يَكُنِ الْفُلُجُ بِهِ
فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ وَ إِنْ يَكُنْ بغيرِهِ فَاَلْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ وَ زَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسِيْدَةٌ وَ عَلَى كُلِّهِمْ بَغِيْتُ فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ
كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ

وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارَهَا

وَقُلْتُ إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أَتَابِعَ وَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ وَ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضِهِ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مِمَّا لَمْ يَكُنْ شَاكِّيًا فِي دِينِهِ وَ لَا مُرْتَابًا بِبِقِينِهِ وَ هِدْيَهُ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصِيدُهَا وَ لَكِنِّي أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَيَحُ مِنْ ذِكْرِهَا ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَ أَمْرِ عُثْمَانَ فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَمْ مَنْ بَدَّلَ لَهُ نُصَيْرَتَهُ فَاسْتَفْعَدَهُ وَ اسْتَكَفَّهُ أَمَّنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَى قَدْرُهُ عَلَيْهِ كَلًّا وَ اللَّهُ لَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا (١).

وَ مَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَخِي دَائًا فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِزْشَادِي وَ هِدَايَتِي لَهُ قُرْبٌ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ وَ قَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّ الْمُتَنَصِّحُ وَ مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَ مَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ وَ ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَ لِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ وَ بِالسَّيْفِ مُحَوِّفِينَ

ص: ١٨٣

(١-١) سورة الأحزاب: ١٨.

فَلَبَّثُ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلُ

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ وَ يَفْتُرُ مِنْكَ مَا تَشْتَبِعُ وَ أَنَا مُرَقَّلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ
شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٌ قَتَامُهُمْ مُتَسَرِّبِلِينَ سَرَائِلَ الْمَوْتِ أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ وَ قَدْ صَحِبْتَهُمْ ذُرِّيَّةَ بَدْرِيَّةٍ وَ سُيُوفَ هَاشِمِيَّةٍ قَدْ
عَرَفَتْ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ وَ أَهْلِكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ١.

كتاب لمعاويه إلى علي

سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد فقلت أرى هذا الجواب منطبقا على كتاب معاويه الذى بعثه مع أبى مسلم الخولانى
إلى على ع فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الذى ذكره أرباب السيره و أورده نصر بن مزاحم فى كتاب صفين إذن غير
صحيح و إن كان ذلك الجواب فهذا الجواب إذن غير صحيح و لا ثابت فقال لى بل كلاهما ثابت مروى و كلاهما كلام أمير
المؤمنين ع و ألفاظه ثم أمرنى أن أكتب ما عليه على ع فكتبته قال رحمه الله كان معاويه يتسقط ٢عليا و ينعى عليه ما عساه
يذكره من حال أبى بكر و عمر و أنهما غضباه حقه و لا يزال يكيده بالكتاب يكتبه و الرساله يبعثها يطلب غرته لينفت بما فى
صدره من حال أبى بكر و عمر إما مكاتبه أو مراسله فيجعل ذلك حجه

ص: ١٨٤

عليه عند أهل الشام و يضيفه إلى ما قرره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم فقد كان غمصه (١) عندهم بأنه قتل عثمان و مالا على قتله و أنه قتل طلحه و الزبير و أسر عائشه و أراق دماء أهل البصره و بقيت خصله واحده و هو أن يثبت عندهم أنه يتبرأ من أبي بكر و عمر و ينسبهما إلى الظلم و مخالفه الرسول في أمر الخلافة و أنهما وثبا عليها غلبه و غصباه إياها فكانت هذه الطامه الكبرى ليست مقتصره على فساد أهل الشام عليه بل و أهل العراق الذين هم جنده و بطانته و أنصاره لأنهم كانوا يعتقدون إمامه الشيخين إلا- القليل الشاذ من خواص الشيعة فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب عليا و يخرجه و يحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر و أنه أفضل المسلمين إلى أن يخلط خطه في الجواب بكلمه تقتضى طعنا في أبي بكر فكان الجواب مجمما (٢) غير بين ليس فيه تصريح بالتظلم لهما و لا التصريح ببراءتهما و تاره يترحم عليهما و تاره يقول أخذا حقي و قد تركته لهما فأشار عمرو بن العاص على معاويه أن يكتب كتابا ثانيا مناسبا للكتاب الأول ليستفزا فيه عليا و يستخفاه و يحمله الغضب منه أن يكتب كلاما يتعلقان به في تقييح حاله و تهجين مذهبه و قال له عمرو إن عليا ع رجل نزع تياه و ما استطعت منه الكلام بمثل تقرير أبي بكر و عمر فاكتب فكتب كتابا أنفذه إليه مع أبي أمامه الباهلي و هو من الصحابه بعد أن عزم على بعثته مع أبي الدرداء و نسخه الكتاب من عبد الله معاويه بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإن الله تعالى جده اصطفى محمدا ع لرسالته و اختصه بوحيه و تأديه شريعته فأنقذ به من العمايه و هدى به من الغوايه ثم قبضه إليه رشيدا حميدا قد بلغ الشرع و محق الشرك و أخمذ نار الإفك فأحسن الله جزاءه و ضاعف عليه نعمه و آلاءه ثم إن الله سبحانه اختص محمدا ع بأصحاب أيدوه و آزره و نصره

ص: ١٨٥

١-١) غمصه: اتهمه.

٢-٢) مجمما: غير واضح.

و كانوا كما قال الله سبحانه لهم أَشَدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ (١) فكان أفضلهم مرتبه و أعلاهم عند الله و المسلمين منزله الخليفه الأول الذى جمع الكلمه و لم الدعوه و قاتل أهل الرده ثم الخليفه الثانى الذى فتح الفتوح و مصر الأمصار و أذل رقاب المشركين ثم الخليفه الثالث المظلوم الذى نشر المله و طبق الآفاق بالكلمه الحنيفيه.

فلما استوثق الإسلام و ضرب بجرانه عدوت عليه فبغيته الغوائل و نصبت له المكاييد و ضربت له بطن الأمر و ظهره و دسست عليه و أغريت به و قعدت حيث استنصر ك عن نصره و سألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته و ما يوم المسلمين منك بواحد.

لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه و رمت إفساد أمره و قعدت فى بيتك و استغويت عصابه من الناس حتى تأخروا عن بيعته ثم كرهت خلافه عمر و حسدته و استطلت مدته و سررت بقتله و أظهرت الشماته بمصابه حتى إنك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل أبيه ثم لم تكن أشد منك حسدا لابن عمك عثمان نشرت مقابحه و طويت محاسنه و طعنت فى فقهه ثم فى دينه ثم فى سيرته ثم فى عقله و أغريت به السفهاء من أصحابك و شيعتك حتى قتلوه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان و لا يد و ما من هؤلاء إلا من بغيت عليه و تلكأت فى بيعته حتى حملت إليه قهرا تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش ثم نهضت الآن تطلب الخلافه و قتله عثمان خلصاؤك و سجراؤك و المحدقون بك و تلك من أمانى النفوس و ضلالات الأهواء.

فدع اللجاج و العبث جانبا و ادفع إلينا قتله عثمان و أعد الأمر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضا فلا بيعه لك فى أعناقنا و لا طاعه لك علينا و لا عتبى لك

ص: ١٨٦

عندنا و ليس لك و لأصحابك عندى إلا السيف و الذى لا إله إلا هو لأطلبن قتله عثمان أين كانوا و حيث كانوا حتى أقتلهم أو تلتحق روحى بالله.

فأما ما لا تزال تمن به من سابقتك و جهادك فإنى وجدت الله سبحانه يقول يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١ و لو نظرت فى حال نفسك لو جدتها أشد الأنفس امتنانا على الله بعملها و إذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد و يجعله ك صِفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٢.

قال النقيب أبو جعفر فلما وصل هذا الكتاب إلى على ع مع أبى أمامه الباهلى كلم أبأ أمامه بنحو مما كلم به أبأ مسلم الخولانى و كتب معه هذا الجواب.

قال النقيب و فى كتاب معاويه هذا ذكر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش لا فى الكتاب الواصل مع أبى مسلم و ليس فى ذلك هذه اللفظه و إنما فيه حسدت الخلفاء و بغيت عليهم عرفنا ذلك من نظرك الشزر ٣ أو قولك الهجر ٤ و تنفسك الصعداء و إبطائك عن الخلفاء.

قال و إنما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين و المشهور عندهم كتاب أبى مسلم فيجعلون هذه اللفظه فيه و الصحيح أنها فى كتاب أبى أمامه ألا تراها عادت

فى جوابه و لو كانت فى كتاب أبى مسلم لعادت فى جوابه.

انتهى كلام النقيب أبى جعفر و نحن الآن مبتدءون فى شرح ألفاظ الجواب المذكور .

قوله فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً موضع التعجب إن معاويه يخبر علياً ع باصطفاء الله تعالى محمداً و تشريفه له و تأييده له و هذا ظريف لأنه يجرى كإخبار زيد عمراً عن حال عمرو إذ كان النبى ص و على ع كالشىء الواحد و خبأ مهموز و المصدر الخبء و منه الخاييه و هى الخبء إلا أنهم تركوا همزها و الخبء أيضاً و الخبىء على فعيل ما خبىء.

و بلاء الله تعالى إنعامه و إحسانه.

و قوله ع كناقل التمر إلى هجر مثل قديم و هجر اسم مدينه لا ينصرف للتعريف و التأنيث و قيل هو اسم مذكر مصروف و أصل المثل كمستبضع تمر إلى هجر (1) و النسبه إليه هاجرى على غير قياس و هى بلده كثيره النخل يحمل منها التمر إلى غيرها قال الشاعر فى هذا المعنى أهدى له طرف الكلام كما يهدى لوالى البصره التمر.

قوله و داعى مسدده إلى النضال أى معلمه الرمى و هذا إشاره إلى قول القائل الأول

ص: ١٨٨

١ - ١) مجمع الأمثال ١٥٢: ٢؛ قال أبو عبيد: هذا من الأمثال المبتذله و من قديمها؛ و ذلك أن هجر معدن التمر؛ و المستبضع إليه مخطئ؛ و يقال أيضاً: كمستبضع التمر إلى خير؛ قال النابغه الجعدى: و إن امرأ أهدى إليك قصيده كمستبضع تمر إلى أرض خبيراً .

أعلمه الرمايه كل يوم

فلما استد ساعده رمانى (١).

هكذا الروايه الصحيحه بالسین المهمله أى استقام ساعده على الرمی و سددت فلانا علمته النضال و سهم سديد مصيب و رمح سديد أى قل أن تخطئ طعنته و قد ظرف القاضى الأرجانى فى قوله لسديد الدوله محمد بن عبد الكريم الأنبارى كاتب الإنشاء إلى الذى نصب المكارم للورى

و من الأمثال فى هذا المعنى سمن كلبك يأكلك (٢) و منها أحشك و تروثنى (٣).

قوله ع و زعمت أن أفضل الناس فى الإسلام فلان و فلان أى أبو بكر و عمر .

قوله ع فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله و إن نقص لم يلحقك ثلمه من هذا المعنى قول الفرزدق لجرير و قد كان جرير فى مهاجاته إياه يفخر عليه بقیس عيلان فقد كانت لجرير فى قیس خثوله يعيره بأيامهم على بنى تمیم فلما قتل بنو تمیم قتيبه بن مسلم الباهلى بخراسان قال الفرزدق يفتخر أتانى و أهلى بالمدينه وقع لآل تمیم أقعدت كل قائم (٤).

ص: ١٨٩

١-١) استد: استقام؛ و البيت ينسب إلى معن بن أوس، أو مالك بن فهم الأزدي، أو عقيل بن علفه؛ و بعده: فلا ظفرت يمينك حين ترمى و شلت منك حامله البنان و انظر اللسان ٤:١٩١.

٢-٢) مجمع الأمثال ٣:٣٣٣؛ قالوا: أول من قال ذلك حازم بن المنذر.

٣-٣) مجمع الأمثال ١:٢٠٠؛ أراد: تردت على.

٤-٤) ديوانه ٨٥٣.

كان رءوس الناس إذ سمعوا بها

ثم خرج إلى خطاب جرير بعد أبيات تركنا ذكرها فقال أ تغضب إن أذنا قتيبه جزتا فقوله و ما أنت من قيس فتنبح دونها هو معنى قول على ع لمعاويه فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله و ابن حازم المذكور فى الشعر هو عبد الله بن حازم من بنى سليم و سليم من قيس عيلان و قتلته تميم أيضا و كان والى خراسان .

قوله ع و ما أنت و الفاضل و المفضول الروايه المشهوره بالرفع و قد رواها قوم بالنصب فمن رفع احتج بقوله و ما أنت و بيت أيبك و الفخر.

و بقوله فما القيسى بعدك و الفخار و من نصب فعلى تأويل مالك و الفاضل و فى ذلك معنى الفعل أى ما تصنع لأن

ص : ١٩٠

هذا الباب لا بد أن يتضمن الكلام فيه فعلاً أو معنى فعل و أنشدوا فما أنت و السير فى متلف ١ او الرفع عند النحويين أولى .

ثم قال و ما للطلاق و أبناء الطلاق و التمييز النصب هاهنا لا غير لأجل اللام فى الطلاق.

ثم قال ع بين المهاجرين الأولين و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم هذا الكلام ينقض ما يقول من يطعن فى السلف فإن أمير المؤمنين ع أنكر على معاوية تعرضه بالمفاضله بين أعلام المهاجرين و لم يذكر معاوية إلا للمفاضله بينه ع و بين أبى بكر و عمر فشهادته أمير المؤمنين ع بأنهما من المهاجرين الأولين و من ذوى الدرجات و الطبقات التى اشتبه الحال بينهما و بينه ع فى أى الرجال منهم أفضل و أن قدر معاوية يصغر أن يدخل نفسه فى مثل ذلك شهادته قاطعه على علو شأنهما و عظم منزلتهما.

قوله ع هيهات لقد حن قدح ليس منها هذا مثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم و أصله القداح من عود واحد يجعل فيها قدح من غير ذلك الخشب فيصلب بينه إذا أرادها المفيض فذلك الصوت هو حينه.

قوله و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها أى و طفق يحكم فى هذه القصة

أو في هذه القضية من يجب أن يكون الحكم لها عليه لا له فيها و يجوز أن يكون الضمير يرجع إلى الطبقات .

ثم قال أ لا- تربع أيها الإنسان على ظلعك أي أ لا ترفق بنفسك و تكف و لا تحمل عليها ما لا تطيقه و الظلع مصدر ظلع البعير يظلع أي غمز في مشيه.

قوله و تعرف قصور ذرعك أصل الذرع بسط اليد يقال ضقت به ذرعا أي ضاق ذرعى به فنقلوا الاسم من الفاعليه فجعلوه منصوبا على التمييز كقولهم طبت به نفسا.

قوله و تتأخر حيث أحرک القدر مثل قولك ضع نفسك حيث وضعها الله يقال ذلك لمن يرفع نفسه فوق استحقاقه.

ثم قال فما عليك غلبه المغلوب و لا عليك ظفر الظافر يقول و ما الذى أدخلك بينى و بين أبى بكر و عمر و أنت من بنى أميه لست هاشميا و لا تيميا و لا عدويا هذا فيما يرجع إلى أنسابنا و لست مهاجرا و لا ذا قدم فى الإسلام فتزاحم المهاجرين و أرباب السوابق بأعمالك و اجتهادك فإذن لا يضرک غلبه الغالب منا و لا يسرك ظفر الظافر و يروى أن مروان بن الحكم كان ينشد يوم مرج راهط و الرءوس تندر عن كواهلها بينه و بين الضحاک بن قيس الفهري و ما ضرهم غير حين النفوس أى غلامى قريش غلب.

قوله ع و إنك لذهاب فى التيه رواغ عن القصد يحتمل قوله ع فى التيه معنيين أحدهما بمعنى الكبر و الآخر التيه من قولك تاه فلان فى البيداء و منه قوله تعالى فَإِنَّهَا مُّحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ او هذا الثانى أحسن

يقول إنك شديد الإيغال في الضلال و ذهاب فعال للتكثير و يقال أرض متيهه مثل معيشه أى يتاه فيها.

قال ع رواع عن القصد أى تترك ما يلزمك فعله و تعدل عما يجب عليك أن تجيب عنه إلى حديث الصحابه و ما جرى بعد موت النبي ص و نحن إلى الكلام فى غير هذا أحوج إلى الكلام فى البيعه و حقن الدماء و الدخول تحت طاعه الإمام .

ثم قال ألا ترى غير مخبر لك و لكن بنعمه الله أحدث أى لست عندى أهلا لأن أخبرك بذلك أيضا فإنك تعلمه و من يعلم الشىء لا يجوز أن يخبر به و لكن أذكر ذلك لأنه تحدث بنعمه الله علينا و قد أمرنا بأن نحدث بنعمته سبحانه.

قوله ع إن قوما استشهدوا فى سبيل الله المراد هاهنا سيد الشهداء حمزه رضى الله عنه و ينبغى أن يحمل

٤١٧١

قول النبي ص فيه إنه سيد الشهداء .

على أنه سيد الشهداء فى حياه النبي ص لأن عليا مات شهيدا و لا يجوز أن يقال حمزه سيده بل هو سيد المسلمين كلهم و لا خلاف بين أصحابنا رحمهم الله أنه أفضل من حمزه و جعفر رضى الله عنهما و قد تقدم ذكر التكبير الذى كبره رسول الله ص على حمزه فى قصه أحد .

قوله ع و لكل فضل أى و لكل واحد من هؤلاء فضل لا يجحد .

قوله أ و لا ترى أن قوما قطعت أيديهم هذا إشاره إلى جعفر و قد تقدم ذلك فى قصه مؤته .

قوله و لو لا ما نهى الله عنه هذا إشاره إلى نفسه ع.

ص: ١٩٣

قوله و لا تمجها آذان السامعين أى لا تقذفها يقال مسح الرجل من فيه أى قذفه قوله ع فذع عنك من مالت به الرميّه يقال للصيد يرمى هذه الرميّه وهى فعيله بمعنى مفعوله و الأصل فى مثلها ألا تلحقها الهاء نحو كف خضيب و عين كحيل إلا أنهم أجروها مجرى الأسماء لا النعوت كالتصيده و القطيعه.

و المعنى دع ذكر من مال إلى الدنيا و مالت به أى أمالته إليها.

فإن قلت فهل هذا إشاره إلى أبى بكر و عمر قلت ينبغى أن ينزه أمير المؤمنين ع عن ذلك و أن تصرف هذه الكلمه إلى عثمان لأن معاويه ذكره فى كتابه و قد أوردناه و إذا أنصف الإنسان من نفسه علم أنه ع لم يكن يذكرهما بما يذكر به عثمان فإن الحال بينه و بين عثمان كانت مضطربه جدا.

قال ع فإننا صنائع ربنا و الناس بعد صنائع لنا هذا كلام عظيم عال على الكلام و معناه عال على المعانى و صنيعه الملك من يصطنعه الملك و يرفع قدره.

يقول ليس لأحد من البشر علينا نعمه بل الله تعالى هو الذى أنعم علينا فليس بيننا و بينه واسطه و الناس بأسرهم صنائعنا فنحن الواسطه بينهم و بين الله تعالى و هذا مقام جليل ظاهره ما سمعت و باطنه أنهم عبيد الله و أن الناس عبيدهم .

ثم قال لم يمنعنا قديم عزنا و عادى طولنا الطول الفضل و عادى أى قديم بئر عاديه.

قوله على قومك أن خلطناهم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء و لستم هناك يقول تزوجنا فيكم و تزوجتم فينا كما يفعل الأكفاء و لستم أكفاءنا و ينبغى أن يحمل قوله قديم و عادى على مجازة لا على حقيقته لأن بنى هاشم و بنى أميه لم يفترقا فى الشرف إلا منذ نشأ هاشم بن عبد مناف و عرف بأفعاله و مكارمه و نشأ حينئذ أخوه عبد شمس و عرف بمثل ذلك و صار لهذا بنون و لهذا بنون و ادعى كل من الفريقين

أنه أشرف بالفعال من الآخر ثم لم تكن المده بين نشء هاشم و إظهار محمد ص الدعوه إلا نحو تسعين سنه و مثل هذه المده القصيره لا- يقال فيها قديم عزنا و عادى طولنا فيجب أن يحمل اللفظ على مجازه لأن الأفعال الجميله كما تكون عاديه بطول المده تكون بكثرة المناقب و المآثر و المفاخر و إن كانت المده قصيره و لفظه قديم ترد و لا يراد بها قدم الزمان بل من قولهم لفلان قدم صدق و قديم أثر أى سابقه حسنه

مناكحات بنى هاشم و بنى عبد شمس

و ينبغى أن نذكرها هاهنا مناكحات بنى هاشم و بنى عبد شمس زوج رسول الله ص ابنتيه رقيه و أم كلثوم من عثمان بن عفان بن أبى العاص و زوج ابنته زينب من أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس فى الجاهليه و تزوج أبو لهب بن عبد المطلب أم جميل بنت حرب بن أميه فى الجاهليه و تزوج رسول الله ص أم حبيبه بنت أبى سفيان بن حرب و تزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان فاطمه بنت الحسين بن على بن أبى طالب ع .

و روى شيخنا أبو عثمان عن إسحاق بن عيسى بن على بن عبد الله بن العباس قال قلت للمنصور أبى جعفر من أكفاؤنا فقال أعداؤنا فقلت من هم فقال بنو أميه .

و قال إسحاق بن سليمان بن على قلت للعباس بن محمد إذا اتسعنا من البنات و ضقنا من البنين و خفنا بوار الأيامى فإلى من نخرجهن من قبائل قريش فأنشدنى عبد شمس كان يتلو هاشما و هما بعد لأم و لأب

فعرفت ما أراد و سكتت.

و روى أيوب بن جعفر بن سليمان قال سألت الرشيد عن ذلك فقال زوج النبي ص بنى عبد شمس فأحمد صهرهم و قال ما ذمنا من صهرنا فإننا لا نذم صهر أبي العاص بن الربيع .

٤١٧٢

قال شيخنا أبو عثمان و لما ماتت الابتان تحت عثمان قال النبي ص لأصحابه ما تنتظرون بعثمان ألا أبو أيم ألا أخو أيم زوجته ابنتين و لو أن عندي ثلثه لفعلت قال و لذلك سمى ذا النورين . ثم قال ع و أنى يكون ذلك أى كيف يكون شرفكم كشرفنا و منا النبي و منكم المكذب يعنى أبا سفيان بن حرب كان عدو رسول الله و المكذب له و المجلب عليه و هؤلاء ثلثه بإزاء أبى سفيان رسول الله ص و معاويه بإزاء على ع و يزيد بإزاء الحسين ع بينهم من العداوه ما لا تبرك عليه الإبل.

قال و منا أسد الله يعنى حمزه و منكم أسد الأحلاف يعنى عتبه بن ربيعه و قد تقدم شرح ذلك فى قصه بدر .

و قال الراوندى المكذب من كان يكذب رسول الله ص عنادا من قريش و أسد الأحلاف أسد بن عبد العزى قال لأن بنى أسد بن عبد العزى كانوا أحد البطون الذين اجتمعوا فى حلف المطيبين و هم بنو أسد بن عبد العزى و بنو عبد مناف و بنو تميم بن مره و بنو زهره و بنو الحارث بن فهر و هذا كلام طريف جدا لأنه لم يلحظ أنه يجب أن يجعل بإزاء النبي ص مكذب

ص: ١٩٤

من بنى عبد شمس فقال المكذب من كذب النبي ص من قریش عنادا و ليس كل من كذبه ع من قریش يعير معاويه به ثم قال أسد الأحلاف أسد بن عبد العزى و أى عار يلزم معاويه من ذلك ثم إن بنى عبد مناف كانوا فى هذا الحلف و على و معاويه من بنى عبد مناف و لكن الراوندى يظلم نفسه بتعرضه لما لا يعلمه.

قوله و منا سيدا شباب أهل الجنة يعنى حسنا و حسينا ع و منكم صبيه النار هى الكلمه التى

٤١٧٣

١٤- قالها النبي ص لعقبه بن أبى معيط حين قتله صبوا يوم بدر و قد قال كالمستعطف له ع من للصبيه يا محمد قال النار .

و عقبه بن أبى معيط من بنى عبد شمس و لم يعلم الراوندى ما المراد بهذه الكلمه فقال صبيه النار أولاد مروان بن الحكم الذين صاروا من أهل النار عند البلوغ و لما أخبر النبي ص عنهم بهذه الكلمه كانوا صبيه ثم ترعرعوا و اختاروا الكفر و لا شبهه أن الراوندى قد كان يفسر من خاطره ما خطر له.

قال قوله ع و منا خير نساء العالمين يعنى فاطمه ع نص رسول الله ص على ذلك لا خلاف فيه.

و منكم حماله الحطب

هى أم جميل بنت حرب بن أميه امرأه أبى لهب الذى ورد نص القرآن فيها بما ورد.

قوله فى كثير مما لنا و عليكم أى أنا قادر على أن أذكر من هذا شيئا كثيرا و لكنى أكتفى بما ذكرت.

فإن قلت فبما ذا يتعلق فى فى قوله فى كثير قلت بمحذوف تقديره هذا الكلام داخل فى جمله كلام كثير تتضمن ما لنا و عليكم .

قوله ع فإسلامنا ما قد سمع و جاهليتنا لا تدفع كلام قد تعلق به

ص: ١٩٧

بعض من يتعصب للأُمويّيه و قال لو كانت جاهليه بنى هاشم فى الشرف كإسلامهم لعد من جاهليتهم حسب ما عد من فضيلتهم فى الإسلام

فضل بنى هاشم على بنى عبد شمس

و ينبغى أن نذكر فى هذا الموضوع فضل هاشم على عبد شمس فى الجاهليه و قد يمتزج بذلك بعض ما يمتازون به فى الإسلام أيضا فإن استقصاءه فى الإسلام كثير لأنه لا يمكن جحد ذلك و كيف و الإسلام كله عباره عن محمد ص و هو هاشمى و يدخل فى ضمن ذلك ما يحتج به الأمويه أيضا فنقول إن شيخنا أبا عثمان قال إن أشرف خصال قريش فى الجاهليه اللواء و الندوه و السقايه و الرفاده و زمزم و الحجاب و هذه الخصال مقسومه فى الجاهليه لبنى هاشم و عبد الدار و عبد العزى دون بنى عبد شمس .

٤١٧٤

١٤- قال على أن معظم ذلك صار شرفه فى الإسلام إلى بنى هاشم لأن النبى ص لما ملك مكه صار مفتاح الكعبه بيده فدفعه إلى عثمان بن طلحه .

فالشرف راجع إلى من ملك المفتاح لا إلى من دفع إليه و كذلك دفع ص اللواء إلى مصعب بن عمير فالذى دفع اللواء إليه و أخذه مصعب من يديه أحق بشرفه و أولى بمجده و شرفه راجع إلى رهطه من بنى هاشم .

قال و كان محمد بن عيسى المخزومى أميرا على اليمن فهجاه أبى بن مدلج فقال قل لابن عيسى المستغيث

ص: ١٩٨

و أبوك عاشهم كما

قال فانبرى له شاعر من ولد كريز بن حبيب بن عبد شمس كان مع محمد بن عيسى باليمن يهجو عنه ابن مدلج فى كلمه له
طويله قال فيها لا لواء يعد يا ابن كريز

قال شيخنا أبو عثمان فالشهداء على و حمزه و جعفر و الحاكي

٤١٧٥

١٤- و المخلج هو الحكم بن أبى العاص كان يحكى مشيه رسول الله ص فالتفت يوما فرآه فدعا عليه فلم يزل مخلج المشيه
عقوبه من الله تعالى

(١)

و الطريد اثنان الحكم بن أبى العاص و معاويه بن المغيره بن أبى العاص و هما جدا عبد الملك بن مروان من قبل أمه و أبيه.

٤١٧٦

١٤,١- و كان النبى ص طرد معاويه بن المغيره هذا من المدينه و أجله ثلاثا فحيره الله و لم يزل يتردد فى ضلاله حتى بعث فى
أثره عليا ع و عمارا فقتلاه .

فأما القتلى فكثير نحو شيبه و عتبه ابني ربيعه و الوليد بن عتبه و حنظله بن أبى سفيان و عقبه بن أبى معيط و العاص بن سعيد بن
أميه و معاويه بن المغيره و غيرهم قال أبو عثمان و كان اسم هاشم عمرا و هاشم لقب و كان أيضا يقال له القمر و فى ذلك
يقول مطرود الخزاعى

ص: ١٩٩

١-١) كذا فى الأصول، و فى نهايه ابن الأثير: «كان يجلس خلف النبى عليه السلام، فإذا تكلم اختلج بوجهه، فرآه فقال له: كن
كذلك، فلم يزل يختلج حتى مات. أى يحرك شفتيه و ذقنه استهزاء و حكايه لفعل النبى عليه السلام».

و مطعمهم فى الأزل من قمع الجزر ١.

قال ذلك فى شىء كان بينه و بين بعض قريش فدعاه مطرود إلى المحاكمه إلى هاشم و قال ابن الزبعرى كانت قريش بيضه فتفلقت

فعم كما ترى أهل مكه بالأزل و العجف و جعله الذى هشم لهم الخبز ثريدا فغلب هذا اللقب على اسمه حتى صار لا يعرف إلا به و ليس لعبد شمس لقب كريم و لا اشتق له من صالح أعماله اسم شريف و لم يكن لعبد شمس ابن يأخذ بضبعه و يرفع من قدره و يزيد فى ذكره و لهاشم عبد المطلب سيد الوادى غير مدافع أجمل الناس جمالا و أظهرهم جودا و أكملهم كمالا و هو صاحب الفيل و الطير الأبايل و صاحب زمزم و ساقى الحجيج و ولد عبد شمس أميه بن عبد شمس و أميه فى نفسه ليس هناك و إنما ذكر بأولاده و لا لقب له و لعبد المطلب لقب شهير و اسم شريف شبيه الحمد قال مطرود الخزاعى فى مدحه يا شبيه الحمد الذى تشنى له

و قال حذافه بن غانم العدوى و هو يمدح أبا لهب و يوصى ابنه خارجه بن حذافه بالانتماء إلى بنى هاشم أ خارج إما أهلكن فلا تزل لهم شاكرا حتى تغيب فى القبر

فأبو عتبه هو أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم و ابنه عتبه و عتيبه و قال العبدى حين احتفل فى الجاهليه فلم يترك
لا ترى فى الناس حيا مثلنا ما خلا أولاد عبد المطلب .

و إنما شرف عبد شمس بأبيه عبد مناف بن قصى و بنى ابنه أميه بن عبد شمس و هاشم شرف بنفسه و بأبيه عبد مناف و بابنه
عبد المطلب و الأمر فى هذا بين و هو كما أوضحه الشاعر فى قوله إنما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب .

قال أبو عثمان و لسنا نقول إن عبد شمس لم يكن شريفا فى نفسه و لكن الشرف يتفاضل و قد أعطى الله عبد المطلب فى زمانه
و أجرى على يديه و أظهر من كرامته ما لا- يعرف مثله إلا- لنبى مرسل و إن فى كلامه لأبرهه صاحب الفيل و توعدده إياه برب
الكعبه و تحقيق قوله من الله تعالى و نصره و عيده بحبس الفيل و قتل أصحابه بالطير الأبايل و حجاره السجيل حتى تركوا
كالعصف المأكول لأعجب البرهانات و أسنى الكرامات و إنما كان ذلك إرهابا لنبوه النبى ص و تأسيسا لما يريد الله به من
الكرامه و ليجعل ذلك البهاء متقدما له و مردودا عليه و ليكون أشهر فى الآفاق و أجل فى صدور الفراعنه و الجابره و الأكاسره
و أجدر أن يقهر المعاند و يكشف غباوه الجاهل و بعد فمن يناهض و يناضل رجالا ولدوا محمدا ص و لو عزلنا

ما أكرمه الله به من النبوه حتى تقتصر على أخلاقه و مذاهبه و شيمه لما وفى به بشر و لا عدله شىء و لو شئنا أن نذكر ما أعطى الله به عبد المطلب من تفجر العيون و ينايع الماء من تحت كل كل بعيره و أخفاه بالأرض القسى (١) و بما أعطى من المساهمه و عند المقارعه من الأمور العجيبه و الخصال البائنه لقلنا و لكننا أحبنا ألا- نحتج عليكم إلا- بالموجود فى القرآن الحكيم و المشهور فى الشعر القديم الظاهر على ألسنه الخاصه و العامه و رواه الأخبار و حمال الآثار.

قال و مما هو مذكور فى القرآن عدا حديث الفيل قوله تعالى لِيَايَلَايَ قُرَيْشٍ و قد اجتمعت الرواه على أن أول من أخذ الإيلاف لقريش هاشم بن عبد مناف فلما مات قام أخوه المطلب مقامه فلما مات قام عبد شمس مقامه فلما مات قام نوفل مقامه و كان أصغرهم و الإيلاف هو أن هاشما كان رجلا كثير السفر و التجاره فكان يسافر فى الشتاء إلى اليمن و فى الصيف إلى الشام و شرك فى تجارته رؤساء القبائل من العرب و من ملوك اليمن و الشام نحو العبايله باليمن و اليكسوم من بلاد الحبشه و نحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم معه ربحا فيما يربح و ساق لهم إبلا مع إبله فكفاهم مئونه الأسفار على أن يكفوه مئونه الأعداء فى طريقه و منصرفه فكان فى ذلك صلاح عام للفريقين و كان المقيم رابحا و المسافر محفوظا فأخصبت قريش بذلك و حملت معه أموالها و أتاهم الخير من البلاد السافله و العاليه و حسنت حالها و طاب عيشها قال و قد ذكر حديث الإيلاف الحارث بن الحنش السلمى و هو خال هاشم و المطلب و عبد شمس فقال إن أخى هاشما

قال أبو عثمان و قيل إن تفسير قوله تعالى وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ هو خوف من كان هؤلاء الإخوه يمرون به من القبائل و الأعداء و هم مغتربون و معهم

ص: ٢٠٢

الأموال و هذا ما فسرنا به الإيلاف آنفا و قد فسرهم قوم بغير ذلك قالوا إن هاشما جعل على رؤساء القبائل ضرائب يؤدونها إليه ليحمى بها أهل مكة فإن ذؤبان العرب و صعاليك الأحياء و أصحاب الغارات و طلاب الطوائف كانوا لا يؤمنون على الحرم لا سيما و ناس من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة و لا للشهر الحرام قدرا مثل طيبى و خثعم و قضاعة و بعض بلحارث بن كعب و كيفما كان الإيلاف فإن هاشما كان القائم به دون غيره من إخوته.

قال أبو عثمان ثم حلف الفضول و جلالته و عظمتة و هو أشرف حلف كان فى العرب كلها و أكرم عقد عقده قريش فى قديمها و حديثها قبل الإسلام لم يكن لبني عبد شمس فيه نصيب

٤١٧٧

قال النبي ص و هو يذكر حلف الفضول لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت إلى مثله فى الإسلام لأجبت.

و يكفى فى جلالته و شرفه أن رسول الله ص شهده و هو غلام و كان عتبه بن ربيعة يقول لو أن رجلا- خرج مما عليه قومه لداخلت فى حلف الفضول لما أرى من كماله و شرفه و لما أعلم من قدره و فضيلته.

قال و لفضل ذلك الحلف و فضيله أهله سمى حلف الفضول و سميت تلك القبائل الفضول فكان هذا الحلف فى بنى هاشم و بنى المطلب و بنى أسد بن عبد العزى و بنى زهره و بنى تميم بن مره تعاهدوا فى دار ابن جدعان فى شهر حرام قياما يتماسحون بأكفهم صعدا ليكونن مع المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه ما بل بحر صوفه و فى التأسى فى المعاش و التساهم بالمال و كانت النباهة فى هذا الحلف للزبير بن عبد المطلب و لعبد الله بن جدعان أما ابن جدعان فلأن الحلف عقد فى داره و أما الزبير فلأنه الذى نهض فيه و دعا إليه و حث عليه و هو الذى سماه حلف الفضول و ذلك لأنه لما سمع الزبيدى المظلوم

ص: ٢٠٣

ثمن سلعته قد أوفى على أبي قبيس قبل طلوع الشمس رافعا عقيرته و قريش في أنديتها قائلا يا للرجال لمظلوم بضاعته

حمى و حلف ليعقدن حلفا بينه و بين بطون من قريش يمنعون القوى من ظلم الضعيف و القاطن من عنف الغريب ثم قال حلفت
لنعقدن حلفا عليهم

فبنو هاشم هم الذين سموا ذلك الحلف حلف الفضول و هم كانوا سببه و القائمين به دون جميع القبائل العاقده له و الشاهده
لأمره فما ظنك بمن شهدته و لم يقم بأمره.

قال أبو عثمان و كان الزبير بن عبد المطلب شجاعا أبيا و جميلا بهيا و كان خطيبا شاعرا و سيدا جوادا و هو الذى يقول و لولا
الحمس لم يلبس رجال

ص: ٢٠٤

و يقطع نخوه المختال عنا

قال و الزبير هو الذى يقول و أسحم من راح العراق مملا

قال و بنو هاشم هم الذين ردوا على الزبيدي ثمن بضاعته و كانت عند العاص بن وائل و أخذوا للبارقي ثمن سلعته من أبى بن خلف الجمحى و فى ذلك يقول البارقي و يأبى لكم حلف الفضول ظلامتى بنى جمح و الحق يؤخذ بالغصب.

و هم الذين انتزعوا من نبيه بن الحجاج قتول الحسناء بنت التاجر الخثعمى و كان كابره عليها حين رأى جمالها و فى ذلك يقول نبيه بن الحجاج و خشيت الفضول حين أتونى

و فيها أيضا يقول لو لا الفضول و أنه

ص: ٢٠٥

فى كلمته التى يقول فيها حى النخيله إذ نأت

فى رجال كثير انتزعوا منهم الظلامات و لم يكن يظلم بمكه إلا رجال أقوىاء و لهم العدد و العارضه منهم من ذكرنا قصته.

قال أبو عثمان و لهاشم أخرى لا- يعد أحد مثلها و لا يأتى بما يتعلق بها و ذلك أن رؤساء قبائل قريش خرجوا إلى حرب بنى عامر متساندين فكان حرب بن أميه على بنى عبد شمس و كان الزبير بن عبد المطلب على بنى هاشم و كان عبد الله بن جدعان على بنى تيم و كان هشام بن المغيرة على بنى مخزوم و كان على كل قبيله رئيس منها فهم متكافئون فى التساند و لم يحقق واحد منهم الرئاسة على الجميع ثم آب هاشم بما لا تبلغه يد متناول و لا يطمع فيه طامع و ذلك

٤١٧٨

أن النبى ص قال شهدت الفجار و أنا غلام فكنت أنبل فيه على عمومى.

فنفى مقامه ع أن تكون قريش هى التى فجرت فسميت تلك الحرب حرب الفجار و ثبت أن الفجور إنما كان ممن حاربهم و صاروا يمينه و بركته و لما يريد الله تعالى من إعزاز أمره و إعظامه الغالبين العالين و لم يكن الله ليشهده فجره و لا غدره فصار مشهده نصرًا و موضعه فيهم حجه و دليلًا.

قال أبو عثمان و شرف هاشم متصل من حيث عددت كان الشرف معك كابرًا عن كابر و ليس بنو عبد شمس كذلك فإن الحكم بن أبى العاص كان عاديا فى الأعلام و لم يكن له سناء فى الجاهليه .

ص: ٢٠٦

و أما أميه فلم يكن فى نفسه هناك و إنما رفعه أبوه و كان مضعوفاً و كان صاحب عهار ايدل على ذلك قول نفيل بن عدى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أميه و عبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب و تعجب من إقدام حرب عليه و قال له أبوك معاهر و أبوه عف و ذاد الفيل عن بلد حرام ٢.

و ذلك أن أميه كان تعرض لامراه من بنى زهره فضربه رجل منهم بالسيف فأراد بنو أميه و من تبعهم إخراج زهره من مكه فقام دونهم قيس بن عدى السهمى و كانوا أخواله و كان منيع الجانب شديد العارضه حمى الأنفس أبى النفس فقام دونهم و صاح أصبح ليل فذهبت مثلاً و نادى الآن الظاعن مقيم و فى هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهره جد رسول الله ص مهلاً أمى فإن البغى مهلكه

قال أبو عثمان و صنع أميه فى الجاهليه شيئاً لم يصنعه أحد من العرب زوج ابنه أبا عمرو امرأته فى حياته منه فأولدها أبا معيط بن أبى عمرو بن أميه و المقيتون فى الإسلام هم الذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم فإما أن يتزوجها فى حياه الأب و يبنى عليها و هو يراه فإنه شىء لم يكن قط.

قال أبو عثمان و قد أقر معاويه على نفسه و رهطه لبني هاشم حين قيل له أيهما كان أسود فى الجاهليه أنتم أم بنو هاشم فقال كانوا أسود منا واحداً و كنا

أكثر منهم سيدا فأقر و ادعى فهو فى إقراره بالنقص مخصوم و فى ادعائه الفضل خصيم.

و قال جحش بن رئاب الأسدى حين نزل مكة بعد موت عبد المطلب و الله لأ-تزوجن ابنه أكرم أهل هذا الوادى و لأحالفن أعزهم فتزوج أميمه بنت عبد المطلب و حالف أبا سفيان بن حرب و قد يمكن أن يكون أعزهم ليس بأكرمهم و لا يمكن أن يكون أكرمهم ليس بأكرمهم و قد أقر أبو جهل على نفسه و رهطه من بنى مخزوم حين قال تحاربنا نحن و هم حتى إذا صرنا كهاتين قالوا منا نبى فأقر بالتقصير ثم ادعى المساواه ألا تراه كيف أقر أنه لم يزل يطلب شأوهم (١) ثم ادعى أنه لحقهم فهو مخصوم فى إقراره خصيم فى دعواه و قد حكم لهاشم دغفل بن حنظله النسابه حين سأله معاويه عن بنى هاشم فقال هم أطمع للطعام و أضرب للهام (٢) و هاتان خصلتان يجمعان أكثر الشرف.

قال أبو عثمان و العجب من منافره حرب بن أميه عبد المطلب بن هاشم و قد لطم حرب جارا لخلف بن أسعد جد طلحه الطلحات فجاء جاره فشكا ذلك إليه فمشى خلف إلى حرب و هو جالس عند الحجر فلطم وجهه عنوه من غير تحاكم و لا تراض فما انتطح فيه عزان (٣) ثم قام أبو سفيان بن حرب مقام أبيه بعد موته فحالفه أبو الأزيهر الدوسى و كان عظيم الشأن فى الأزد و كانت بينه و بين بنى الوليد بن المغيره محاكمه فى مصاهره كانت بين الوليد و بينه فجاءه هشام بن الوليد و أبو الأزيهر قاعد فى مقعد أبى سفيان بذى المجاز فضرب عنقه فلم يدرك به أبو سفيان عقلا و لا قودا فى بنى المغيره و قال حسان بن ثابت يذكر ذلك

ص: ٢٠٨

١- (١) الشأو: الغايه.

٢- (٢) الهام: الرءوس.

٣- (٣) هذا مثل يضرب للأمر يقع و لا يختلف فيه اثنان.

فهذه جمله صالحه مما ذكره شيخنا أبو عثمان .

و نحن نورد من كتاب أنساب قريش للزبير بن بكار ما يتضمن شرحا لما أجمله شيخنا أبو عثمان أو لبعضه فإن كلام أبي عثمان لمح و إشارة و ليس بالمشروح.

قال الزبير حدثني عمر بن أبي بكر العدوي من بني عدى بن كعب قال حدثني يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل عن أبيه قال اصطلحت قريش على أن ولي هاشم بعد موت أبيه عبد مناف السقايه و الرفاده و ذلك أن عبد شمس كان يسافر قل أن يقيم بمكه و كان رجلا معيلا (١) و كان له ولد كثير و كان هاشم رجلا موسرا فكان إذا حضر الحج قام فى قريش فقال يا معشر قريش إنكم جيران الله و أهل بيته و إنه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم لذلك ضيف الله و أحق ضيف بالكرامه ضيف الله و قد خصكم الله بذلك و أكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه و زواره فإنهم يأتون شعثا غربا من كل بلد ضوامر كالقдах و قد أرجفوا و تفلوا و قملوا (٢) و أرموا فأقروهم و أعينهم قال فكانت قريش تتراقد على ذلك حتى إن كل أهل بيت ليرسلون بالشىء اليسير على قدر حالهم و كان هاشم يخرج فى كل سنه مالا كثيرا و كان قوم من قريش يترافدون و كانوا أهل يسار فكان كل إنسان ربما أرسل بمائه مثقال ذهب هرقلية (٣)

ص: ٢٠٩

١-١) يقال: أعال الرجل يعيل؛ إذا كثر عياله.

٢-٢) أرجفوا: أكثروا من ذكر الأخبار السيئه، و قملوا: كثر فيهم القمل. و أرموا: نفد زادهم.

٣-٣) هرقلية: نسبه إلى هرقل ملك الروم؛ و هو أول من ضرب الدينانير.

و كان هاشم يأمر بحياض من آدم تجعل فى مواضع زمزم من قبل أن تحفر يستقى فيها من البئر التى بمكة فيشرب الحاج و كان يطعمهم أول ما يطعم قبل يوم الترويه بيوم بمكة و بمنى و بجمع و عرفه و كان يثرد لهم الخبز و اللحم و السمن و السويق و التمر و يحمل لهم الماء فيسقون بمنى و الماء يومئذ قليل إلى أن يصدر الحاج من منى ثم تنقطع الضيافه و تتفرق الناس إلى بلادهم.

قال الزبير و إنما سمي هاشما لهشمه الثريد و كان اسمه عمرا ثم قالوا عمرو العلامعاليه و كان أول من سن الرحلتين رحله إلى الحبشه و رحله إلى الشام ثم خرج فى أربعين من قريش فبلغ غزه فمرض بها فمات فدفنوه بها و رجعوا بتركته إلى ولده و يقال إن الذى رجع بتركته إلى ولده أبو رهم عبد العزى بن أبى قيس العامرى من بنى عامر بن لؤى .

قال الزبير و كان يقال لهاشم و المطلب البدران و لعبد شمس و نوفل الأبهرا.

قال الزبير و قد اختلف فى أى ولد عبد مناف أسن و الثبت عندنا أن أسنهم هاشم و قال آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عمر بن عبد العزيز بن مروان يا أمين الله إنى قائل

قال الزبير و حدثنى محمد بن حسن عن محمد بن طلحه عن عثمان بن عبد الرحمن قال قال عبد الله بن عباس و الله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الإيلاف و أجاز لها العيرات (١) لهاشم و الله ما شددت قريش رحالا و لا حبلا بسفر و لا أناخت بعيرا لحضر

ص: ٢١٠

١-١) العيرات، بكسر ففتح: كل ما امتير عليه إبلا كانت أو حميرا أو بغالا، واحده عير.

إلا بهاشم والله إنه أول من سقى بمكة ماء عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب .

قال الزبير وكانت قريش تجارا لا- تعدو تجارتهم مكة إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم يتبايعون بها بينهم و يبيعون من حولهم من العرب حتى رحل هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر فكان يذبح كل يوم شاه و يصنع جفنه من ثريد و يدعو الناس فيأكلون و كان هاشم من أحسن الناس خلقا و تماما فذكر لقيصر و قيل له ها هنا شاب من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق و يفرغ عليه اللحم و يدعو الناس قال و إنما كانت الأعاجم و الروم تصنع المرق في الصحاف ثم تأتدم عليه بالخبز فدعا به قيصر فلما رآه و كلمه أعجب به و جعل يرسل إليه فيدخل عليه فلما رأى مكانه سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر و أن يكتب لهم كتب الأمان فيما بينهم و بينه ففعل فبذلك ارتفع هاشم من قريش قال الزبير و كان هاشم يقوم أول نهار اليوم الأول من ذى الحجة فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها فيخطب قريشا فيقول يا معشر قريش أنتم سادة العرب أحسنها وجوها و أعظمها أحلاما و أوسطها أنسابا و أقربها أرحاما يا معشر قريش أنتم جيران بيت الله أكرمكم بولايته و خصكم بجواره دون بنى إسماعيل و حفظ منكم أحسن ما حفظ منكم جار من جاره فأكرموا ضيفه و زوار بيته فإنهم يأتونكم شعنا غبرا من كل بلد فورب هذه البنية لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتموه ألا و إنى مخرج من طيب مالى و حلاله ما لم تقطع فيه رحم و لم يؤخذ بظلم و لم يدخل فيه حرام فواضعه فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل و أسألكم بحرمه هذا البيت ألا يخرج منكم رجل من ماله لكرامه زوار بيت الله و معونتهم إلا طيبا لم يؤخذ ظلما و لم تقطع فيه رحم و لم يغتصب قال فكانت قريش تخرج من صفو أموالها ما تحتمله أحوالها و تأتي بها إلى هاشم فيضعه في دار الندوة لضيافته الحاج.

قال الزبير و مما رثى به مطرود الخزاعي هاشما قوله مات الندى بالشام لما أن ثوى

و من مراثيه له يا عين جودى و أذرى الدمع و احتفلى

قال الزبير و حدثنى إبراهيم بن المنذر عن الواقدى عن عبد الرحمن بن الحارث عن عكرمه عن ابن عباس قال أول من سن ديه النفس مائه من الإبل عبد المطلب فجرت فى قريش و العرب سنته و أقرها رسول الله ص قال و أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد من بنى النجار من الأنصار و كان سبب

ص: ٢١٢

تزوج هاشم بها أنه قدم في تجاره له المدينة فنزل على عمرو بن زيد فجاءته سلمى بطعام فأعجبت هاشما فخطبها إلى أبيها فأنكحها إياها و شرط عليه أن تلد عند أهلها فبنى عليها بالمدينة و أقام معها سنتين ثم ارتحل بها إلى مكة فحملت و أثقلت فخرج بها إلى المدينة فوضعها عند أهلها و مضى إلى الشام فمات بغزه من وجهه ذلك و ولدت عبد المطلب فسمته شبيه الحمد لشعره بيضاء كانت في ذوائبه حين ولد فمكث بالمدينة ست سنين أو ثمانيا ثم إن رجلا من تهامه مر بالمدينة فإذا غلمان ينتضلون و غلام منهم يقول كلما أصاب أنا ابن هاشم بن عبد مناف سيد البطحاء فقال له الرجل من أنت يا غلام قال أنا ابن هاشم بن عبد مناف قال ما اسمك قال شبيه الحمد فانصرف الرجل حتى قدم مكة فيجد المطلب بن عبد مناف جالسا في الحجر فقال قم إلى يا أبا الحارث فقام إليه فقال تعلم أنى جئت الآن من يثرب فوجدت بها غلمانا ينتضلون.

..و قص عليه ما رأى من عبد المطلب و قال إنه أضرب غلام رأيت قط فقال له المطلب أغفلته و الله أما إنى لا أرجع إلى أهلى و مالى حتى آتية فخرج المطلب حتى أتى المدينة فأتاها عشاء ثم خرج براحلته حتى أتى بنى عدى بن النجار فإذا الغلمان بين ظهرانى المجلس فلما نظر إلى ابن أخيه قال للقوم هذا ابن هاشم قالوا نعم و عرفه القوم فقالوا هذا ابن أخيك فإن كنت تريد أخذه فالساعة لا نعلم أمه فإنها إن علمت حلنا بينك و بينه فأناخ راحلته ثم دعاه فقال يا ابن أخى أنا عمك و قد أردت الذهاب بك إلى قومك فاركب قال فوالله ما كذب أن جلس على عجز الراحله و جلس المطلب على الراحله ثم بعثها فانطلقت فلما علمت أمه قامت تدعو حزنها على ابنها فأخبرت أنه عمه و أنه ذهب به إلى قومه قال فانطلق به المطلب فدخل به مكة ضحوه مردفه خلفه و الناس فى أسواقهم و مجالسهم فقاموا يرحبون به و يقولون من هذا الغلام معك فيقول عبد لى ابتعته بيثرب ثم خرج به

حتى جاء إلى الحزوره فابتاع له حله ثم أدخله على امرأته خديجه بنت سعد بن سهم فرجلت شعره ثم ألبسه الحله عشيه فجاء به فأجلسه في مجلس بنى عبد مناف و أخبرهم خبره فكان الناس بعد ذلك إذا رأوه يطوف في سكك مكه و هو أحسن الناس يقولون هذا عبد المطلب لقول المطلب هذا عبدى فلج به الاسم و ترك به شبيهه .

و روى الزبير روايه أخرى أن سلمى أم عبد المطلب حالت بين المطلب و بين ابنها شبيهه و كان بينها و بينه في أمره محاوره ثم غلبها عليه و قال عرفت شبيهه و النجار قد حلفت أبناءها حوله بالنبل تنتضل.

فأما الشعر الذى لحذافه العذرى و الذى ذكره شيخنا أبو عثمان فقد ذكره الزبير بن بكار فى كتاب النسب و زاد فيه كهولهم خير الكهول و نسلهم

قال الزبير و حدثنى عن سبب هذا الشعر محمد بن حسن عن محمد بن طلحه عن أبيه قال إن ركبا من جذام خرجوا صادرين عن الحح من مكه ففقدوا رجلا منهم عاليه بيوت مكه فيلقون حذافه العذرى فربطوه و انطلقوا به فتلقاهم عبد المطلب مقبلا من الطائف و معه ابنه أبو لهب يقود به و عبد المطلب حينئذ قد ذهب بصره فلما نظر إليه حذافه بن غانم هتف به فقال عبد المطلب لابنه

ويلك من هذا قال هذا حذافه بن غانم مربوطا مع ركب قال فالحقهم فسلهم ما شأنهم و شأنه فلحقهم أبو لهب فأخبروه الخبر فرجع إلى أبيه فأخبره فقال ويحك ما معك قال لا والله ما معي شيء قال فالحقهم لا أم لك فأعطهم بيديك و أطلق الرجل فلحقهم أبو لهب فقال قد عرفتم تجارتي و مالي و أنا أحلف لكم لأعطينكم عشرين أوقيه ذهباً و عشرة من الإبل و فرسا و هذا ردائي رهن فقبلوا ذلك منه و أطلقوا حذافه فلما أقبل به و قربا من عبد المطلب سمع عبد المطلب صوت أبي لهب و لم يسمع صوت حذافه فصاح به و أبي إنك لعاص ارجع لا- أم لك قال يا أبتا هذا الرجل معي فناداه عبد المطلب يا حذافه أسمعني صوتك قال ها أنا ذا بأبي أنت و أمي يا ساقى الحجيج أردفني فأردفه حتى دخل مكة فقال حذافه هذا الشعر.

قال الزبير و حدثني عبد الله بن معاذ عن معمر عن ابن شهاب قال أول ما ذكر من عبد المطلب أن قريشا خرجت فاره من الحرم خوفاً من أصحاب الفيل و عبد المطلب يومئذ غلام شاب فقال و الله لا أخرج من حرم الله أبغى العز في غيره فجلس في البيت و أجلت قريش عنه فقال (١) عبد المطلب لا هم إن المرء يمنع

فلم يزل ثابتاً في الحرم حتى أهلك الله الفيل و أصحابه فرجعت قريش و قد عظم فيهم بصره (٢) و تعظيمه محارم الله عز و جل فينا هو على ذلك و كان أكبر ولده و هو الحارث بن عبد المطلب قد بلغ الحلم أرى عبد المطلب في المنام فقيل له احفر زمزم خبيثه الشيخ الأعظم فاستيقظ فقال اللهم بين لي الشيخ فأرى في المنام مره أخرى

ص: ٢١٥

١-١) أجلت: تفرقت.

٢-٢) المحال: القدره.

احفر تكتم ا بين الفرث و الدم فى مبحث الغراب فى قريه النمل مستقبه الأنصاب الحمر فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس فى المسجد الحرام نتظر ما سمى له من الآيات فحرق بقره فى الحزوره فأفلتت من جازرها بحشاشه نفسها حتى غلب عليها الموت فى المسجد فى موضع زمزم فاحتمل لحمها من مكانها و أقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث فبحث عن قريه النمل فقام عبد المطلب يحفرها فجاءته قريش فقالت له ما هذا الصنع إنا لم نكن نراك بالجهل لم تحفر فى مسجدنا فقال عبد المطلب إني لحافر هذا البئر و مجاهد من صدنى عنها فطفق يحفر هو و ابنه الحارث و ليس له يومئذ ولد غيره فيسفه عليهما الناس من قريش فينازعونهما و يقاتلونهما و تناهى عنه ناس من قريش لما يعلمون من زعيق نسبه و صدقه و اجتهاده فى دينهم يومئذ حتى إذا أتعبه الحفر و اشتد عليه الأذى نذر إن وفى له عشره من الولدان ينحر أحدهم ثم حفر فأدرك سيوفا دفنت فى زمزم حين دفنت فلما رأته قريش أنه قد أدرك السيوف قالت يا عبد المطلب أحذنا ٢مما وجدت فقال عبد المطلب بل هذه السيوف لبيت الله ثم حفر حتى أنبط الماء فحفرها فى القرار ثم بحرها حتى لا- تنزف ثم بنى عليها حوضا و طفق هو و ابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج و يكسره قوم حسده له من قريش بالليل فيصلحه عبد المطلب حين يصبح فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه فأرى فقيل له قل اللهم إني لا- أحلها لمغتسل و هى لشارب حل و بل ثم كفيتهم فقام عبد المطلب حين اختلف قريش فى المسجد فنأدى بالذى أرى ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه عليه أحد من قريش إلا رمى فى جسده بداء حتى تركوا حوضه ذلك و سقايته ثم تزوج عبد المطلب النساء فولد له عشره رهط فقال اللهم إني

كنت نذرت لك نحر أحدهم و إنى أقرع بينهم فأصيب بذلك من شئت فأقرع بينهم فطارت القرعه على عبد الله بن عبد المطلب
أبى رسول الله ص و كان أحب ولده إليه فقال عبد المطلب اللهم هو أحب إليك أم مائه من الإبل فنحرها عبد المطلب مكان
عبد الله و كان عبد الله أحسن رجل رثى فى قريش قط.

و روى الزبير أيضا قال حدثنى إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن سليمان قال سمعت أبى
يقول لما حفرت زمزم و أدرك منها عبد المطلب ما أدرك و جدت قريش فى أنفسها مما أعطى عبد المطلب فلقية خويلد بن
أسد بن عبد العزى فقال يا ابن سلمى لقد سقيت ماء رغدا و نثلت عاديه حسدا فقال يا ابن أسد أما إنك تشرك فى فضلها و الله
لا يساعدنى أحد عليها ببر و لا يقوم معى بارزا إلا بذلت له خير الصهر فقال خويلد بن أسد أقول و ما قولى عليهم بسبه فقال عبد
المطلب ما وجدت أحدا ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد .

قال الزبير فأما ركضه جبريل فإن سعيد بن المسيب قال إن إبراهيم قدم بإسماعيل و أمه مكه فقال لهما كلا من الشجر و اشربا من
الشعاب و فارقهما فلما ضاقت الأرض تقطعت المياه فعطشا فقالت له أمه اصعد و انصب فى هذا الوادى فلا أرى موتك و لا
ترى موتى ففعل فأنزل الله تعالى ملكا من السماء على أم إسماعيل فأمرها فصرحت به فاستجاب لها و طار الملك فضرب
بجناحيه مكان زمزم فقال اشربا فكان سيحا يسيح و لو تركاه ما زال كذلك أبدا لكنها فرقت اعليه من العطش فقرت له فى
السقاء و حفرت فى البطحاء فلما نضب الماء طوياه ثم

هلك الناس و دفنته السيول ثم أرى عبد المطلب فى المنام أن احفر زمزم لا تثرب (١) و لا تدم تروى الحجيج الأعظم ثم أرى مره أخرى أن احفر الرواء أعطيتها على رغم الأعداء ثم أرى مره أخرى أن احفر تكتم بين الأنصاب الحمر فى قريه النمل فأصبح يحفر حيث أرى فطفقت قريش يستهزون به حتى إذا بدا عن الطي وجد فيها غزالا من ذهب و حليه سيف فضرب عليها بالسهم فخرج سهم البيت فكان أول حلى حلى به الكعبه .

قال الزبير و كان حرب بن أميه بن عبد شمس نديم عبد المطلب و كان عبيد بن الأبرص تربه و بلغ عبيد مائه و عشرين سنه و بقى عبد المطلب بعده عشرين سنه.

قال و قال بعض أهل العلم توفى عبد المطلب عن خمس و تسعين سنه و يقال كان يعرف فى عبد المطلب نور النبوه و هيبه الملك و فيه يقول الشاعر إننى و اللات و البيت الذى لى بالهبرز عبد المطلب (٢) .

قال الزبير حدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال بينا عبد المطلب يطوف بالبيت بعد ما أسن و ذهب بصره إذ زحمه رجل فقال من هذا فقيل رجل من بنى بكر .

قال فما منعه أن ينكب عنى و قد رآنى لا- أستطيع لأين أنكب عنه فلما رأى بنيه قد توالوا عشره قال لا بد لى من العصا فإن اتخذتها طويله شقت على و إن اتخذتها قصيره قويت عليها و لكن ينحذب لها ظهري و الحدبه ذل فقال بنوه أو غير ذلك يوافيك كل يوم منا رجل تتوكأ عليه فتطوف فى حوائجك قال و لذلك قال الزبير و مكارم عبد المطلب أكثر من أن يحاط بها كان سيد قريش غير مدافع نفسا و أبا و بيتا و جمالا و بهاء و كمالا و فعلا قال أحد بنى كنانه يمدحه

ص: ٢١٨

١- ١) لا تثرب عليه: لا تمنعه.

٢- ٢) الهبرز: الأسد.

قال الزبير فأما أبو طالب بن عبد المطلب و اسمه عبد مناف و هو كافل رسول الله ص و حاميه من قريش و ناصره و الرفيق به الشفيق عليه و وصى عبد المطلب فيه فكان سيد بنى هاشم فى زمانه و لم يكن أحد من قريش يسود فى الجاهليه بمال إلا أبو طالب و عتبه بن ربيعه .

قال الزبير أبو طالب أول من سن القسامه^٣ فى الجاهليه فى دم عمرو بن علقمه ثم أثبتتها السنه فى الإسلام و كانت السقايه فى الجاهليه بيد أبى طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس بن عبد المطلب .

قال الزبير و كان أبو طالب شاعرا مجيدا و كان نديمه فى الجاهليه مسافر بن عمرو بن أميه بن عبد شمس و كان قد حين^٤ فخرج ليتداوى بالحيره فمات بهباله^٥ فقال أبو طالب يرثيه ليت شعرى مسافر بن أبى عمرو

قال الزبير فلما هلك مسافر نادى أبو طالب بعده عمرو بن عبد بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى و لذلك قال عمرو لعلى ع يوم الخندق حين بارزه إن أباك كان لى صديقا.

قال الزبير و حدثنى محمد بن حسن عن نصر بن مزاحم عن معروف بن خربوذ قال كان أبو طالب يحضر أيام الفجار و يحضر معه النبى ص و هو غلام فإذا جاء أبو طالب هزمت قيس و إذا لم يجىء هزمت كنانة فقالوا لأبى طالب لا أبا لك لا تغب عنا ففعل.

قال الزبير فأما الزبير بن عبد المطلب فكان من أشرف قريش و وجوها و هو الذى استثنته بنو قصى على بنى سهم حين هجا عبد الله بن الزبير بن قصى فأرسلت بنو قصى عتبه بن ربيعه بن عبد شمس إلى بنى سهم فقال لهم إن قومكم قد كرهوا أن يعجلوا عليكم فأرسلونى إليكم فى هذا السفية الذى هجاهم فى غير ذنب اجتموا إليه فإن كان ما صنع عن رأيكم فبئس رأى رأيكم و إن كان عن غير رأيكم فادفعوه إليهم فقال القوم نبرأ إلى الله أن يكون عن رأينا قال فأسلموه إليهم فقال بعض بنى سهم إن شئتم فعلنا على أن من هجانا منكم دفعتموه إلينا فقال عتبه ما يمنعنى أن أقول ما تقول إلا أن الزبير بن عبد المطلب غائب بالطائف

وقد عرفت أنه سيفرغ لهذا الأمر فيقول و لم أكن أجعل الزبير خطرا لابن الزبيرى فقال قائل منهم أيها القوم ادفعوهم إليهم فلعمري أن لكم مثل الذى عليكم فكثير فى ذلك الكلام و اللغظ فلما رأى العاص بن وائل ذلك دعا برمه فأوثق بها عبد الله بن الزبيرى و دفعه إلى عتبه بن ربيعه فأقبل به مربوطا حتى أتى به قومه فأطلقه حمزه بن عبد المطلب و كساه فأغرى ابن الزبيرى أناس من قريش بقومه بنى سهم و قالوا له اهجهم كما أسلموك فقال لعمري ما جاءت بنكر عشيرتى

قال فقدم الزبير بن عبد المطلب من الطائف فقال قصيدته التى يقول فيها فلو لا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعزه حتى يموتوا (١).

و قد ذكرنا قطعه منها فيما تقدم.

قال الزبير و قال الزبير بن عبد المطلب أيضا فى هذا المعنى

ص: ٢٢١

١- (١) يريمها: يطلبها.

قال الزبير و من شعر الزبير بن عبد المطلب يا ليت شعري إذا ما حمتي وقعت

قال الزبير و كان الزبير بن عبد المطلب ذا نظر و فكر أتى فقييل له مات فلان لرجل من قريش كان ظلوما فقال بأى عقوبه مات قالوا مات حتف أنفه فقال لئن كان ما قلتموه حقا إن للناس معادا يؤخذ فيه للمظلوم من الظالم.

قال و كان الزبير يكنى بأبى الطاهر و كانت صفيه بنت عبد المطلب كنت ابنها الزبير بن العوام أبا الطاهر دهرا بكنيه أخيها و كان للزبير بن عبد المطلب ابن يقال له الطاهر كان من أطرف فتیان مكه مات غلاما و به سمى رسول الله ص ابنه الطاهر و باسم الزبير سمت أخته صفيه ابنها الزبير و قالت صفيه ترثى أخاها الزبير بن عبد المطلب بكى زبير الخیر إذ مات إن كنت على ذى كرم باكيه

لو لفظته الأرض ما لمتها

و قال ضرار بن الخطاب يبكي ضباع على أبيك

فأما القتل الخنعميه التي اغتصبها نبيه بن الحجاج السهمي من أبيها فقد ذكر الزبير بن بكار قصتها في كتاب أنساب قريش .

قال الزبير إن رجلا- من خثعم قدم مكة تاجرا و معه ابنه يقال لها القتل أوضاً نساء العالمين فعلقها نبيه بن الحجاج السهمي فلم يبرح حتى غلب أباه عليها و نقلها إليه فقيل لأبيها عليك بحلف الفضول فأتاهم فشكا إليهم ذلك فأتوا نبيه بن الحجاج فقالوا له أخرج ابنه هذا الرجل و هو يومئذ منتبذ (١) بناحيه مكة و هي معه و إلا- فإننا من قد عرفت فقال يا قوم متعوني بها الليلة فقالوا قبحك الله

ص: ٢٢٣

١-١) منتبذ، أي متنع ناحيه مكّه.

ما أجهلك لا والله ولا شخب لقحه فأخرجها إليهم فأعطوها أباها فقال نبيه بن الحجاج في ذلك قصيده أولها راح صحنى و لم
أحى القتولا فى أبيات طويله و أما قصه البارقى فقد ذكرها الزبير أيضا.

قال قدم رجل من ثماله من الأزرد مكه فباع سلعه من أبى بن خلف الجمحى فمطله بالثمن و كان سيئ المخالطه فأتى الشمالى
أهل حلف الفضول فأخبرهم فقالوا اذهب فأخبره أنك قد أتيتنا فإن أعطاك حقك و إلا فارجع إلينا فأتاه فأخبره بما قال أهل
حلف الفضول فأخرج إليه حقه فأعطاه فقال الشمالى أيفجر بى ببطن مكه ظالما

و أما قصه حلف الفضول و شرفه فقد ذكرها الزبير فى كتابه أيضا قال كان بنو سهم و بنو جمح أهل بغي و عدوان فأكثروا من
ذلك فأجمع بنو هاشم و بنو المطلب و بنو أسد و بنو زهره و بنو تيم على أن تحالفوا و تعاهدوا على رد الظلم بمكه و ألا يظلم
أحد

ص: ٢٢٤

قال رسول الله ص لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم و لو دعيت به اليوم لأجبت لا يزيدہ الإسلام إلا شدہ.

قال الزبير كان رجل من بنى أسد قد قدم مکه معتمرا ببضاعه فاشتراها منه العاص بن وائل السهمى فأواها إلى بيته ثم تغيب فابتغى الأسدى (١) متاعه فلم يقدر عليه فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه فأغلظوا له فعرف أن لا سبيل له إلى ماله و طوف فى قبائل قريش يستنفر بهم فتخاذلت القبائل عنه فلما رأى ذلك أشرف على أبى قبيس حين أخذت قريش مجالسها و نادى بأعلى صوته يا للرجال لمظلوم بضاعته

فأعظمت ذلك قريش و تكلموا فيه فقال المطيبون و الله إن قمنا فى هذا ليغضبنا الأحلاف و قالت الأحلاف و الله إن قمنا فى هذا ليغضبنا المطيبون فقالت قبائل من قريش هلموا فلنحتلف حلفا جديدا لننصرن المظلوم على الظالم ما بل بحر صوفه فاجتمعت هاشم و المطلب و أسد و تيم و زهره فى دار عبد الله بن جدعان و رسول الله ص يومئذ معهم و هو شاب ابن خمس و عشرين سنه لم يوح إليه بعد فتحالفوا ألا يظلم بمکه غريب و لا قريب و لا حر و لا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه و يردوا إليه مظلمته من أنفسهم و من غيرهم ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه فى جفنه ثم بعثوا به إلى البيت فغسلوا به أركانها ثم جمعوه و أتوهم به فشربوه ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل

فقالوا له أد إلى هذا حقه فأدى إليه حقه فمكثوا كذلك دهرا لا يظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقه فكان عتبه بن ربيعة بن عبد شمس يقول لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول .

قال الزبير وحدثني محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن موسى بن محمد عن أبيه أن الحلف كان على ألا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوما يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه حتى يردوا عليه ماله و مظلمته أو يبلوا في ذلك عذرا و على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و على التأسى في المعاش .

قال الزبير و يقال إنه إنما سمي حلف الفضول لأن رجلا كانوا في وجوههم تحالفوا على رد المظالم يقال لهم فضيل و فضال و فضل و مفضل فسمى هذا الحلف حلف الفضول لأنه أحيا تلك السنه التي كانت ماتت .

قال الزبير و قدم محمد بن جبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان و كان من علماء قريش فقال له يا أبا سعيد ألم نكن يعني بنى عبد شمس و أنتم في حلف الفضول فقال أمير المؤمنين أعلم قال لتخبرني بالحق قال لا و الله يا أمير المؤمنين لقد خرجنا نحن و أنتم منه و ما كانت يدنا و يدكم إلا جميعا في الجاهليه و الإسلام .

٤١٨٠

٣- قال الزبير و حدثني محمد بن حسن عن إبراهيم بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادي الليثي أن محمد بن الحارث أخبره قال كان بين الحسين بن علي ع و بين الوليد بن عتبه بن أبي سفيان كلام في مال كان بينهما بذى المروءه و الوليد يومئذ أمير المدينه في أيام معاويه فقال الحسين ع أستطيل الوليد على بسلطانه

ص: ٢٢٤

أقسم بالله لينصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم أقوم في مسجد الله فأدعو بحلف الفضول فبلغت كلمته عبد الله بن الزبير فقال أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينتصف أو نموت جميعا فبلغت المسور بن مخرمه بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك فبلغ ذلك الوليد بن عتبة فأنصف الحسين ع من نفسه حتى رضى

٤١٨١

٣- قال الزبير و قد كان للحسين ع مع معاوية قصه مثل هذه كان بينهما كلام في أرض للحسين ع فقال له الحسين ع اختر مني ثلاث خصال إما أن تشتري مني حقي و إما أن ترده علي أو تجعل بيني و بينك ابن عمر أو ابن الزبير حكما و إلا فالرابعه و هي الصيلم قال معاوية و ما هي قال أهتف بحلف الفضول ثم قام فخرج و هو مغضب فمر بعبد الله بن الزبير فأخبره فقال و الله لئن هتفت به و أنا مضطجع لأقعدن أو قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لأسعين ثم لتنفدن روجي مع روحك أو لينصفنك فبلغت معاوية فقال لا حاجه لنا بالصيلم ثم أرسل إليه أن ابعث فانتقد مالك فقد ابتعناه (١) منك

٤١٨٢

٣- قال الزبير و حدثني بهذه القصة علي بن صالح عن جدى عبد الله بن مصعب عن أبيه قال خرج الحسين ع من عند معاوية و هو مغضب فلقى عبد الله بن الزبير فحدثه بما دار بينهما و قال لأخبرنه فى خصال فقال له ابن الزبير ما قال ثم ذهب إلى معاوية فقال لقد لقيني الحسين فخيرك فى ثلاث خصال و الرابعه الصيلم قال معاوية فلا حاجه لنا بالصيلم أظنك لقيته مغضبا فهات الثلاث قال أن تجعلني

ص: ٢٢٧

(١ - ١) ب: (و اتبعناه).

أو ابن عمر بينك و بينه قال قد جعلتك بيني و بينه أو جعلت ابن عمر أو جعلتكمما جميعا قال أو تقر له بحقه ثم تسأله إياه قال قد أقررت له بحقه و أنا أسأله إياه قال أو تشرية منه قال قد اشتريته منه فما الصيلم قال يهتف بحلف الفضول و أنا أول من يجيبه قال فلا حاجه لنا في ذلك.

و بلغ الكلام عبد الله بن أبي بكر و المسور بن مخرمه فقالا للحسين مثل ما قاله ابن الزبير

فأما تفجر الماء من تحت أخفاف بعير عبد المطلب في الأرض الجزر فقد ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السير قال لما أنبط (١) عبد المطلب الماء في زمزم حسدته قريش فقالت له يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل و إن لنا فيها حقا فأشركنا معك قال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر أمر خصصت به دونكم و أعطيته من بينكم قالوا له فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني و بينكم حكما أحاكمكم إليه قالوا كاهنه بنى سعد بن هذيم قال نعم و كانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب في نفر من بنى عبد مناف و خرج من كل قبيله من قبائل قريش قوم و الأرض إذ ذاك مفاوز حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز (٢) بين الحجاز و الشام نفذ ما كان مع عبد المطلب و بنى أبيه من الماء فعضشوا عطشا شديدا فاستسقوا قومهم فأبوا أن يسقوهم و قالوا نحن بمفازه و نخشى على أنفسنا مثل الذي أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم و خاف على نفسه و أصحابه الهلاك قال لأصحابه ما ترون قالوا ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما أحببت قال فإني أرى أن يحفر كل رجل منا حفرة لنفسه بما معه الآن من القوه فكلما مات رجل دفنه أصحابه في حفرة حتى يكون رجل واحد فضيعة

ص: ٢٢٨

١- (١) أنبط الماء: استخرجه و طلبه.

٢- (٢) المفاوز: جمع مفازه، و هي البريه القفر، أو التي لا ماء فيها؛ و سميت مفازه لأن من خرج منها و تباعد عنها فاز و غنم.

رجل واحد أيسر من ضيعة ركب قالوا نعم ما أشرت فقام كل رجل منهم فحفر حفيره لنفسه و قعدوا ينتظرون الموت ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه و الله إن إلقاءنا بأيدينا كذا للموت لا نضرب في الأرض فنطلب الماء لعجز قوموا فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض الأرض ارتحلوا فارتحلوا و من معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم صانعون فتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجر من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبد المطلب و كبر أصحابه ثم نزل فشرب و شرب أصحابه و استقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال لهم هلموا إلى الماء فقد أسقانا الله فاشربوا و استقوا فجاءوا فشربوا و استقوا ثم قالوا قد و الله قضى الله لك علينا و الله لا نخاصمك في زمزم أبدا إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشدا فرجع و رجعوا معه لم يصلوا إلى الكاهنه و خلوا بينه و بين زمزم (١).

و روى صاحب كتاب الواقدي أن عبد الله بن جعفر فاخر يزيد بن معاوية بين يدي معاوية فقال له بأى آباءك تفاخرنى أبحر الذى أجرناه أم بأمية الذى ملكناه أم بعبد شمس الذى كفلناه فقال معاوية لحرب بن أميه يقال هذا ما كنت أحسب أن أحدا فى عصر حرب يزعم أنه أشرف من حرب فقال عبد الله بلى أشرف منه من كفاً عليه إناؤه و جلله (٢). بردائه فقال معاوية ليزيد رويدا يا بنى إن عبد الله يفخر عليك بك لأنك منه و هو منك فاستحيا عبد الله و قال يا أمير المؤمنين يدان انتشطتا (٣) و أخوان اصطرعا فلما قام عبد الله قال معاوية ليزيد يا بنى إياك و منازعه

ص: ٢٢٩

١-١) سيره ابن هشام ١٥٦، ١٥٥: ١.

٢-٢) جلله بردائه: غطاه؛ و فى حديث على: «اللهم جلل قتله عثمان خزيا»، أى غطهم به و ألبسهم إياه.

٣-٣) انتشطتا، على البناء للمجهول؛ انتزعتا و اختلستا.

بنى هاشم فإنهم لا يجهلون ما علموا ولا يجد مبغضهم لهم سباً قال أما قوله أبحر الذى أجرناه فإن قریشا كانت إذا سافرت فصارت على العقبة لم يتجاوزها أحد حتى تجوز قریش فخرج حرب ليله فلما صار على العقبة لقيه رجل من بنى حاجب بن زرارہ تمیمی فتنحى حرب بن أمیه و قال أنا ابن حاجب بن زرارہ ثم بدر فجاز العقبة فقال حرب لاها الله لا تدخل بعدها مكه و أنا حى فمكث التميمى حيناً لا يدخل و كان متجره بمكه فاستشار بها بمن يستجير من حرب فأشير عليه بعبد المطلب أو بابنه الزبير بن عبد المطلب فركب ناقته و صار إلى مكه ليلاً فدخلها و أناخ ناقته بباب الزبير بن عبد المطلب فرغت (١) الناقه فخرج إليه الزبير فقال أ مستجير فتجار أم طالب قرى فتقرى فقال لا قيت حرباً بالثنيه مقبلاً فقال الزبير اذهب إلى المنزل فقد أجزتك فلما أصبح نادى الزبير أخاه الغيداق

ص: ٢٣٠

١ - ١) يقال: رغت الناقه ترغو رغاء: صوتت و ضجت. و فى المثل: «كفى برغائها منادياً»، أى أن رغاء الناقه يقوم مقام النداء فى التعرض للضيافه و القرى.

فخرجا متقلدين سيفيهما و خرج التميمي معهما فقالا له إنا إذا أجرنا رجلا لم نمش أمامه فامش أمامنا ترمقك أبصارنا كي لا تختلس من خلفنا فجعل التميمي يشق مكه حتى دخل المسجد فلما بصر به حرب قال و إنك لهاهنا و سبق إليه فلطمه و صاح الزبير ثكلتك أمك أ تلمطه و قد أجرته فثنى عليه حرب فلطمه ثانية فانتضى الزبير سيفه فحمل على حرب بين يديه و سعى الزبير خلفه فلم يرجع عنه حتى هجم حرب على عبد المطلب داره فقال ما شأنك قال الزبير قال اجلس و كفأ عليه إناء كان هاشم يهشم فيه الثريد و اجتمع الناس و انضم بنو عبد المطلب إلى الزبير و وقفوا على باب أبيهم بأيديهم سيوفهم فأزر عبد المطلب حربا بإزار كان له و رداء برداء له طرفان و أخرجه إليهم فعلموا أن أباهم قد أجاره.

و أما معنى قوله أم بأميه الذي ملكناه فإن عبد المطلب راهن أميه بن عبد شمس على فرسين و جعل الخطر ممن سبقت فرسه مائه من الإبل و عشره أعبد و عشر إماء و استعباد سنه و جز الناصيه فسبق فرس عبد المطلب فأخذ الخطر فقسمه في قريش و أراد جز ناصيته فقال أو أفتدى منك باستعباد عشر سنين ففعل فكان أميه بعد في حشم عبد المطلب و عضاريطه (١) عشر سنين.

و أما قوله أم بعبد شمس الذي كفلناه فإن عبد شمس كان مملقا لا مال له فكان أخوه هاشم يكفله و يمونه إلى أن مات هاشم .

و في كتاب الأغاني لأبي الفرج إن معاويه قال لدغفل (٢) النسابه أ رأيت عبد المطلب قال نعم قال كيف رأيتة قال رأيتة رجلا نبيلاً جميلاً وضيئاً كان على

ص: ٢٣١

١- ١) العضاريط: جمع عضرط، و هو الرجل الذي يخدم بطعام بطنه.

٢- ٢) في الأصول: «دعبل»، تصحيف؛ و صوابه من الأغاني.

وجبه نور النبوه (١) قال أ فرأيت أميه بن عبد شمس (٢) قال نعم قال كيف رأيته قال رأيته رجلا ضئيلا (٣) منحنيا أعمى يقوده عبده ذكوان فقال معاويه ذلك ابنه أبو عمرو قال أنتم تقولون ذلك فأما قريش فلم تكن تعرف إلا أنه عبده (٤) .

و نقلت من كتاب هاشم و عبد شمس لابن أبي رؤبه الدباس .

قال روى هشام بن الكلبي عن أبيه أن نوفل بن عبد مناف ظلم عبد المطلب بن هاشم أركاحا له بمكة و هي الساحات و كان بنو نوفل يدا مع عبد شمس و عبد المطلب يدا مع هاشم فاستنصر عبد المطلب قوما من قومه فقصرُوا عن ذلك فاستنجد أخواله من بنى النجار ييثرب فأقبل معه سبعون راكبا فقالوا لنوفل لا و الله يا أبا عدى ما رأينا بهذا الغائط ناشئا أحسن وجهها و لا أمد جسما و لا أعف نفسا و لا أبعد من كل سوء من هذا الفتى يعنون عبد المطلب و قد عرفت قرابته منا و قد منعتة ساحات له و نحن نحب أن ترد عليه حقه فرده عليه فقال عبد المطلب تأبى مازن و بنو عدى

قال و يقال إن ذلك كان سبب مخالفه خزاعه عبد المطلب .

قال و روى أبو اليقظان سحيم بن حفص أن عبد المطلب جمع بنيه عند وفاته و هم عشرة يومئذ فأمرهم و نهاهم و أوصاهم و قال إياكم و البغى فو الله ما خلق الله شيئا

ص: ٢٣٢

١ - ١) الأغانى: «من رأيت من عليه قريش؟ فقال: رأيت عبد المطلب بن هاشم و أميه بن عبد شمس، فقال: صفهما لى، فقال: كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه، فى جبينه نور النبوه و عزّ الملك، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب».

٢ - ٢) الأغانى: «قال: فصف لى أميه».

٣ - ٣) الأغانى: «نحيف الجسم ضريرا».

٤ - ٤) الأغانى ١: ١٢ (طبعه دار الكتب).

أعجل عقوبه من البغى و ما رأيت أحدا بقى على البغى إلا إخوتكم من بنى عبد شمس .

و روى الوليد بن هشام بن قحذم قال قال عثمان يوما وددت أنى رأيت رجلا قد أدرك الملوك يحدثنى عما مضى فذكر له رجل بحضرموت فبعث إليه فحدثه حديثا طويلا تركنا ذكره إلى أن قال أ رأيت عبد المطلب بن هاشم قال نعم رأيت رجلا قعدا (١) أبيض طويلا مقرون الحاجبين بين عينيه غره يقال إن فيها بركه و إن فيه بركه قال أ فرأيت أميه بن عبد شمس قال نعم رأيت رجلا آدم دميما قصيرا أعمى يقال إنه نكد و إن فيه نكدا فقال عثمان يكفيك من شر سماعه (٢) و أمر بإخراج الرجل.

و روى هشام بن الكلبي أن أميه بن عبد شمس لما كان غلاما كان يسرق الحاج فسمى حارسا .

و روى ابن أبي رؤبه فى هذا الكتاب أن أول قتيل قتله بنو هاشم من بنى عبد شمس عفيف بن أبى العاص بن أميه قتله حمزه بن عبد المطلب و لم أقف على هذا الخبر إلا من كتاب ابن أبي رؤبه .

قال و مما يصدق قول من روى أن أميه بن عبد شمس استعبده عبد المطلب شعر أبى طالب بن عبد المطلب حين تظاهرت عبد شمس و نوفل عليه و على رسول الله ص و حصروهما فى الشعب فقال أبو طالب توالى علينا موليانا كلاهما

ص: ٢٣٣

١-١) القعد:الحسن الهيئه.

٢-٢) مثل، و لفظه فى مجمع الأمثال ١٩٤:١:«حسبك من شر سماعه»، و أول من قاله أم الربيع ابن زياد العيسى.

ثم نرجع إلى حكاية شيخنا أبي عثمان وقد نمزجه بكلام آخر لنا أو لغيرنا ممن تعاطى الموازنه بين هذين البيتين.

قال أبو عثمان فإن قالت أميه لنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أربعه خلفاء في نسق قلنا لهم ولبنى هاشم هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد الكامل بن علي السجاد

٤١٨٣

٤- كان يصلى كل يوم و ليله ألف ركعه فكان يقال له السجاد لعبادته و فضله و كان أجمل قريش على وجه الأرض و أوسمها ولد ليله قتل على بن أبي طالب ع فسمى باسمه و كنى بكنيته .

فقال عبد الملك لا و الله لا أحتمل لك الاسم و لا الكنيه فغير أحدهما فغير الكنيه فصيرها أبا محمد بن عبد الله و هو البحر و هو حبر قريش و هو المفقه فى الدين المعلم التأويل ابن العباس ذى الرأى و حلیم قريش ابن شيبه الحمد و هو عبد المطلب سيد الوادى ابن عمرو و هو هاشم هشم الثريد و هو القمر سمي بذلك لجماله و لأنهم كانوا يقتدون و يهتدون برأيه ابن المغيره و هو عبد مناف بن زيد و هو قصي و هو مجمع فهؤلاء ثلاثه عشر سيدا لم يحرم منهم واحد و لا قصر عن الغايه و ليس منهم واحد إلا و هو ملقب بلقب اشتق له من فعله الكريم و من خلقه الجميل و ليس منهم إلا خليفه أو موضع للخلافه أو سيد فى قديم الدهر منيع أو ناسك مقدم أو فقيه بارع أو حلیم ظاهر الركانه (١) و ليس هذا لأحد سواهم و منهم خمسه خلفاء فى نسق و هم أكثر مما عدته الأمويه و لم يكن

ص: ٢٣٤

كالمنصور لأن المنصور ملك البلاد و دوح الأقطار و ضبط الأطراف اثنتين و عشرين سنه و كانت خلافة مروان على خلاف ذلك كله و إنما بقى فى الخلافة تسعه أشهر حتى قتلته امرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية حين قال لابنها خالد من بعلمها الأول يا ابن الرطبه و لئن كان مروان مستوجبا لاسم الخلافة مع قله الأيام و كثره الاختلاف و اضطراب البلدان فضلا عن الأطراف فابن الزبير أولى بذلك منه فقد كان ملك الأرض إلا بعض الأردن و لكن سلطان عبد الملك و أولاده لما اتصل بسطان مروان اتصل عند القوم ما انقطع منه و أخفى موضع الوهن عند من لا علم له و سنو المهدي كانت سنى سلامه و ما زال عبد الملك فى انتقاض و انتهاك و لم يكن ملك يزيد كملك هارون و لا ملك الوليد كملك المعتمد .

قلت رحم الله أبا عثمان لو كان اليوم لعد من خلفاء بنى هاشم تسعه فى نسق المستعصم بن المستنصر بن الطاهر بن المستضىء بن المستنجد بن المقتفى بن المستظهر بن المقتدر و الطالبيون بمصر يعدون عشره فى نسق الأمر بن المستعلى بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعتز بن المنصور بن القائم بن المهدي .

قال أبو عثمان و تفخر عليهم بنو هاشم بأن سنى ملكهم أكثر و مدته أطول فإنه قد بلغت مدته ملكهم إلى اليوم أربعا و تسعين سنه و يفخرون أيضا عليهم بأنهم ملكوا بالميراث و بحق العصبه و العمومه و إن ملكهم فى مغرس نبوه و إن أسبابهم غير أسباب بنى مروان بل ليس لبنى مروان فيها سبب و لا- بينهم و بينها نسب إلا أن يقولوا إنا من قريش فيساووا فى هذا الاسم قريش الظواهر لأن

٤١٨٤

روايه الراوى الأئمه من قريش .

واقعه على كل قرشى و أسباب الخلافة معروفه و ما يدعيه كل جيل معلوم و إلى كل ذلك قد ذهب الناس فمنهم من ادعاه لعلى ع لاجتماع القرابه و السابقه و الوصيه فإن كان الأمر كذلك فليس لآل أبى سفيان و آل مروان فيها دعوى و إن كانت

ص: ٢٣٥

إنما تنال بالوراثه و تستحق بالعمومه و تستوجب بحق العصبه فليس لهم أيضا فيها دعوى و إن كانت لا تنال إلا بالسوابق و الأعمال و الجهاد فليس لهم فى ذلك قدم مذکور و لا يوم مشهور بل كانوا إذ لم تكن لهم سابقه و لم يكن فيهم ما يستحقون به الخلافه و لم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشد المنع لكان أهون و لكان الأمر عليهم أيسر قد عرفنا كيف كان أبو سفيان فى عداوه النبى ص و فى محاربتة له و إجلابه عليه و غزوه إياه و عرفنا إسلامه حيث أسلم و إخلاصه كيف أخلص و معنى كلمته يوم الفتح حين رأى الجنود و كلامه يوم حنين و قوله يوم صعد بلال على الكعبه فأذن على أنه إنما أسلم على يدى العباس رحمه الله و العباس هو الذى منع الناس من قتله و جاء به رديفا إلى رسول الله ص و سأله فيه أن يشرفه و أن يكرمه و ينوه به و تلك يد بيضاء و نعمه غراء و مقام مشهود و يوم حنين غير مجحود فكان جزاء بنى هاشم من بنيه أن حاربوا عليا و سموا الحسن و قتلوا الحسين و حملوا النساء على الأقتاب حواسر (١) و كشفوا عن عوره على بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يصنع بذرارى المشركين إذا دخلت دورهم عنوه و بعث معاويه بسر بن أرطاه إلى اليمن فقتل ابني عبيد الله بن العباس و هما غلامان لم يبلغا الحلم و قتل عبيد الله بن زياد يوم الطف تسعه من صلب على ع و سبعة من صلب عقيل و لذلك قال ناعيمهم عين جودى بعيره و عويل ثم إن أميه تزعم أن عقيلاً أعان معاويه على على ع فإن كانوا كاذبين فما أولاهم بالكذب و إن كانوا صادقين فما جازوا عقيلاً بما صنع و ضرب عنق مسلم

ص: ٢٣٦

١-١) حواسر: كواشف.

بن عقيل صبرا و غدرا بعد الأمان و قتلوا معه هانئ بن عروه لأنه آواه و نصره و لذلك قال الشاعر فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري و أكلت هند كبد حمزه فمنهم آكله الأكباد و منهم كهف النفاق و منهم من نقر بين ثنيتي الحسين ع بالقضيب و منهم القاتل يوم الحره عون بن عبد الله بن جعفر و يوم الطف أبا بكر بن عبد الله بن جعفر و قتل يوم الحره أيضا من بنى هاشم الفضل بن عباس بن ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب و العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب و عبد الرحمن بن العباس بن ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب .

قلت إن أبا عثمان قايس بين مدتي ملكهما و هو حينئذ في أيام الواثق ففضل هؤلاء عليهم لأن ملكهم أطول من ملكهم بعشر سنين فكيف به لو كان اليوم حيا و قد امتد ملكهم خمسمائه و ست عشره سنه و هذا أكثر من ملك البيت الثالث من ملوك الفرس بنحو ثلاثين سنه و أيضا فإن كان الفخر بطول مدته الملك فبنو هاشم قد كان لهم أيضا ملك بمصر نحو مائتين و سبعين سنه مع ما ملكوه بالمغرب قبل أن ينتقلوا إلى مصر

قال أبو عثمان و قالت هاشم لأميه قد علم الناس ما صنعتم بنا من القتل و التشريد لا لذنب أتيناه إليكم ضربتم على بن عبد الله بن عباس بالسياط مرتين على أن تزوج بنت عمه الجعفريه التي كانت عند عبد الملك و على أن نحلتموه قتل سليط و سمتم أبا هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ع و نبشتم زيدا و صلبتموه و ألقيتم رأسه في عرصه الدار توطأ بالأقدام و ينقر دماغه الدجاج حتى قال القائل اطرد الديك عن ذؤابه زيد طالما كان لا تطأه الدجاج.

و قال شاعركم أيضا صلبننا لكم زيدا على جذع نخله

٤١٨٥

فروى أن بعض الصالحين من أهل البيت ع قال

اللهم إن كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك فخرج يوما بسفر له فعرض له الأسد فافترسه.

و قتلتم الإمام جعفرا الصادق ع و قتلتم يحيى بن زيد و سميتم قاتله نائر مروان و ناصر الدين هذا إلى ما صنع سليمان بن حبيب بن المهلب عن أمركم و قولكم بعبد الله أبي جعفر المنصور قبل الخلافه و ما صنع مروان بإبراهيم الإمام أدخل رأسه في جراب نوره حتى مات فإن أنشدتم أفاض المدامع قتلى كدى أنشدنا نحن و اذكروا مصرع الحسين و زيدا و قتيلا بجانب المهراس

ص: ٢٣٨

و قد علمتم حال مروان أبيكم و ضعفه و أنه كان رجلا لا فقه له و لا يعرف بالزهد و لا الصلاح و لا بروايه الآثار و لا بصحبه و لا بعد همه و إنما ولى رستاقا من رساتيق درابجرد لابن عامر ثم ولى البحرين لمعاويه و قد كان جمع أصحابه و من تابعه ليباع ابن الزبير حتى رده عبيد الله بن زياد و قال يوم مرج راهط و الرءوس تندر (١) عن كواهلها فى طاعته و ما ضرهم غير حين النفوس و أى غلامى قریش غلب هذا قول من لا يستحق أن يلى ربعا من الأرباع و لا خمسا من الأخماس و هو أحد من قتلتها النساء لكلمه كان حتفه فيها.

و أما أبوه الحكم بن العاص فهو طريد رسول الله ص و لعينه و المتخلج فى مشيته الحاكى لرسول الله ص و المستمع عليه ساعه خلوته ثم صار طريدا لأبى بكر و عمر امتنعا عن إعادته إلى المدينه و لم يقبلا شفاعه عثمان فلما ولى أدخله فكان أعظم الناس شؤما عليه و من أكبر الحجج فى قتله و خلعه من الخلافه فعبد الملك أبو هؤلاء الملوك الذين تفتخر الأمويه بهم أعرق الناس فى الكفر لأن أحد أبويه الحكم هذا و الآخر من قبل أمه

٤١٨٦

١٤,١- معاويه بن المغيرة بن أبى العاص كان النبى ص طرده من المدينه و أجله ثلاثا فحيره الله تعالى حين خرج و بقى مترددا متلدا حولها لا يهتدى لسبيله حتى أرسل فى أثره عليا ع و عمارا فقتلاه .

فأنتم أعرق الناس فى الكفر و نحن أعرق الناس فى الإيمان و لا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان و أقدمهم فيه.

قال أبو عثمان و تفخر هاشم بأن أحدا لم يجد تسعين عاما لا طواعين فيها إلا منذ ملكوا قالوا لو لم يكن من بركه دعوتنا إلا أن تعذيب الأمراء بعمال الخراج

ص: ٢٣٩

بالتعليق و الزهق و التجريد و التسهير و المسالد و النوره و الجورتين و العذراء و الجامعه و التشطيب قد ارتفع لكان ذلك خيرا كثيرا و فى الطاعون يقول العماني الراجز يذكر دولتنا قد رفع الله رماح الجن و أذهب التعذيب و التجنى و العرب تسمى الطواعين رماح الجن و فى ذلك يقول الشاعر لعمر ك ما خشيت على أبى يقول بعض بنى أسد للحارث الغساني الملك.

قال أبو عثمان و تفخر هاشم عليهم بأنهم لم يهدموا الكعبه و لم يحولوا القبله و لم يجعلوا الرسول دون الخليفه و لم يختموا فى أعناق الصحابه و لم يغيروا أوقات الصلاه و لم ينقشوا أكف المسلمين و لم يأكلوا الطعام و يشربوا على منبر رسول الله ص و لم ينهبوا الحرم و لم يطنوا المسلمات دار فى الإسلام بالسباء.

قلت نقلت من كتاب افتراق هاشم و عبد شمس لأبى الحسين عن محمد بن على بن نصر المعروف بابن أبى رؤبه الدباس قال كان بنو أميه فى ملكهم يؤذنون و يقيمون فى العيد و يخطبون بعد الصلاه و كانوا فى سائر صلاتهم لا- يجهرون بالتكبير فى الركوع و السجود و كان لهشام بن عبد الملك خصى إذا سجد هشام و هو يصلى فى المقصوره قال لا إله إلا الله فيسمع الناس فيسجدون و كانوا يقعدون فى إحدى خطبتي العيد و الجمعة و يقومون فى الأخرى قال و رأى كعب مروان بن الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا

إلى هذا يخطب قاعدا و الله تعالى يقول لرسوله وَ تَرَكُوا قَائِمًا (١) .

قال و أول من قعد فى الخطب معاويه و أول من أذن و أقام فى صلاه العيد بشر بن مروان و كان عمال بنى أميه يأخذون الجزيه ممن أسلم من أهل الذمه و يقولون هؤلاء فروا من الجزيه و يأخذون الصدقه من الخيل و ربما دخلوا دار الرجل قد نفق (٢) فرسه أو باعه فإذا أبصروا الآخيه قالوا قد كان هاهنا فرس فهات صدقتها و كانوا يؤخرون صلاه الجمعة تشاغلا عنها بالخطبه و يطيلون فيها إلى أن تتجاوز وقت العصر و تكاد الشمس تصفر فعل ذلك الوليد بن عبد الملك و يزيد أخوه و الحجاج عاملهم و وكل بهم الحجاج المسالخ معه و السيوف على رءوسهم فلا يستطيعون أن يصلوا الجمعة فى وقتها.

و قال الحسن البصرى و اعجبا من أخيفش (٣) أعيمش جاءنا ففتننا عن ديننا و صعدا على منبرنا فيخطب و الناس يلتفتون إلى الشمس فيقول ما بالكم تلتفتون إلى الشمس إنا و الله ما نصلى للشمس إنما نصلى لرب الشمس أ فلا تقولون يا عدو الله إن الله حقا بالليل لا يقبله بالنهار و حقا بالنهار لا يقبله بالليل ثم يقول الحسن و كيف يقولون ذلك و على رأس كل واحد منهم عالج (٤) قائم بالسيف قال و كانوا يسبون ذرارى الخوارج من العرب و غيرهم لما قتل قريب و زحاف الخارجيان سبى زياد ذراريهما فأعطى شقيق بن ثور السدوسى إحدى بناتهما و أعطى عباد بن حصين الأخرى و سببت بنت لعبيده بن هلال اليشكرى و بنت لقطرى بن الفجاءه المازنى فصارت هذه إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك و اسمها أم سلمه

ص: ٢٤١

١-١) سورة الصف ١١.

٢-٢) نفق فرسه؛ أى مات.

٣-٣) الخفش بالتحريك: ضيق فى البصر و ضعف فى العين.

٤-٤) العالج: الرجل القوى الضخم.

فوطئها بملك اليمين على رأيهم فولدت له المؤمل و محمدا و إبراهيم و أحمد و حصينا بنى عباس بن الوليد بن عبد الملك و سبى واصل بن عمرو القنا و استرق و سبى سعيد الصغير الحرورى و استرق و أم يزيد بن عمر بن هبيرة و كانت من سبى عمان الذين سباهم مجاعه و كانت بنو أميه تبع الرجل فى الدين يلزمه و ترى أنه يصير بذلك رقيقا.

كان معن أبو عمير بن معن الكاتب حرا مولى لبنى العنبر فبيع فى دين عليه فاشتراه أبو سعيد بن زياد بن عمرو العتكى و باع الحجاج على بن بشير بن الماحوز لكونه قتل رسول المهلب على رجل من الأزد .

فأما الكعبه فإن الحجاج فى أيام عبد الملك هدمها و كان الوليد بن يزيد يصى إذا صلى أوقات إفاقتة من السكر إلى غير القبلة فقيل له فقراً فأَيْتَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ (١) .

و خطب الحجاج بالكوفه فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ص بالمدينه فقال تبا لهم إنما يطوفون بأعواد و رمه باليه هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ألا يعلمون أن خليفه المرء خير من رسوله.

قال و كانت بنو أميه تختم فى أعناق المسلمين كما توسم الخيل علامه لاستعبادهم.

و بايع مسلم بن عقبه أهل المدينه كافه و فيها بقايا الصحابه و أولادها و صلحاء التابعين على أن كلا منهم عبد قن (٢) لأمير المؤمنين يزيد بن معاويه إلا على بن الحسين ع فإنه بايعه على أنه أخوه و ابن عمه.

قال و نقشوا أكف المسلمين علامه لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم و الحبشه و كانت خطباء بنى أميه تأكل و تشرب على المنبر يوم الجمعة لإطالتهم

ص: ٢٤٢

١-١) سورة البقره ١١٥.

٢-٢) العبد القن:الذى ولد عندك و لا يستطيع أن يخرج عنك.

فى الخطبه و كان المسلمون تحت منبر الخطبه يأكلون و يشربون قال أبو عثمان و يفخر بنو العباس على بنى مروان و هاشم على عبد شمس بأن الملك كان فى أيديهم فانتزعوه منهم و غلبوهم بالبطش الشديد و بالحيله اللطيفه ثم لم ينزعوه إلا من يد أشجعهم شجاعه و أشدهم تدبيراً و أبعدهم غوراً و من نشأ فى الحروب و ربى فى الثغور و من لا يعرف إلا الفتوح و سياسه الجنود ثم أعطى الوفاء من أصحابه و الصبر من قواده فلم يغدر منهم غادر و لا قصر منهم مقصر كما قد بلغك عن حنظله بن نباته و عامر بن ضباره و يزيد بن عمر بن هبيرة و لا أحد من سائر قواده حتى من أحبابه و كتابه كعبد الحميد الكاتب ثم لم يلقه و لا لقى تلك الحروب فى عامه تلك الأيام إلا رجال ولد العباس بأنفسهم و لا قام بأكثر الدوله إلا مشايخهم كعبد الله بن على و صالح بن على و داود بن على و عبد الصمد بن على و قد لقيهم المنصور نفسه.

قال و تفخر هاشم أيضا عليهم

٤١٨٧

بقول النبى ص و هو الصادق المصدق نقلت من الأصلاب الزاكيه إلى الأرحام الطاهره و ما افترت فرقتان إلا كنت فى خيرهما.

٤١٨٨

و قال أيضا بعثت من خيره قريش .

و معلوم أن بنى عبد مناف افترقوا فكانت هاشم و المطلب يدا و عبد شمس و نوفل يدا قال و إن كان الفخر بكثرة العدد فإنه من أعظم مفاخر العرب فولد على بن عبد الله بن العباس اليوم مثل جميع بنى عبد شمس و كذلك ولد الحسين بن على ع هذا مع قرب ميلادهما

٤١٨٩

و قد قال النبى ص شوها و لود خير من حسناء عقيم.

٤١٩٠

و قال أنا مكاتر بكم الأمم.

٤١٩١

و قد روى الشعبى عن جابر بن عبد الله أن النبى ص قدم من سفر

ص: ٢٤٣

فأراد الرجال أن يطرقوا النساء ليلا فقال أمهلوا حتى تمتشط (١) الشعته و تستحد (٢) المغيبه فإذا قدمتم فالكيس الكيس.

قالوا ذهب إلى طلب الولد و كانت العرب تفخر بكثرة الولد و تمدح الفحل القبيس (٣) و تدم العاقر و العقيم.

و قال عامر بن الطفيل يعنى نفسه لبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا جبانا فما عذرى لدى كل محضر و قال علقمه بن علاثه يفخر على عامر آمنت و كفر و وفيت و غدر و ولدت و عقر.

و قال الزبيرقان فاسأل بنى سعد و غيرهم

و قال طرفه بن العبد فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد

و مدح النابغه الذبياني ناسا فقال لم يحرموا طيب النساء و أمهم طفحت عليك بناتق مذكار (٤).

ص: ٢٤٤

١-١) تمتشط: ترجل شعرها و تصففه، و الشعته: المتلبده الشعر.

٢-٢) المغيبه: التى غاب عنها زوجها. و الاستحداد حلق العانه.

٣-٣) القبيس كأمير: الفحل السريع الإلقاح.

٤-٤) يقال: نبه فلان؛ أى شرف فهو نابه و نبيه.

و قال نهشل بن حرى على بنى يشد الله عظيمهم و النبع يثبت قضباننا فيكتهل.

و مكث الفرزدق زمانا لا يولد له فغيرته امرأته فقال قالت أراه واحدا لا أخا له

و قال الآخر و قد مات إخوته و ملأ حوضه ليسقى فجاء رجل صاحب عشيره و عتره فأخذ بضبعه فنحاه ثم قال لراعيه اسق إبلك
لو كان حوض حمار ما شربت به

و قال الأعشى و هو يذكر الكثره و لست بالأكثر منهم حصى و إنما العزه للكاشر.

قال و قد ولد رجال من العرب كل منهم يلد لصلبه أكثر من مائه فصاروا بذلك مفخرا منهم عبد الله بن عمير الليثى و أنس بن
مالك الأنصارى و خليفه بن بر السعدى أتى على عامتهم الموت الجارف و مات جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس
عن ثلاثه و أربعين ذكرا و خمس و ثلاثين امرأه كلهم لصلبه فما ظنك بمن مات من ولده فى حياته و ليس طبقه من طبقات
الأسنان الموت إليها أسرع و فيها أعم

ص: ٢٤٥

و أفشى من سن الطفوليه و أمر جعفر بن سليمان قد عاينه عالم من الناس و عامتهم أحياء و ليس خبر جعفر كخبر غيره من الناس.

قال الهيثم بن عدى أفضى الملك إلى ولد العباس و جميع ولد العباس يومئذ من الذكور ثلاثه و أربعون رجلا و مات جعفر بن سليمان وحده عن مثل ذلك العدد من الرجال و ممن قرب ميلاده و كثر نسله حتى صار كبعض القبائل و العمائر أبو بكر صاحب رسول الله ص و المهلب بن أبي صفرة و مسلم بن عمرو الباهلي و زياد بن عبيد أمير العراق و مالك بن مسمع و ولد جعفر بن سليمان اليوم أكثر عددا من أهل هذه القبائل و أربعة من قريش ترك كل واحد منهم عشره بنين مذكورين معروفين و هم عبد المطلب بن هاشم و المطلب بن عبد مناف و أميه بن عبد شمس و المغيره بن المغيره بن عبد الله بن عمر بن مخزوم و ليس على ظهر الأرض هاشمي إلا من ولد عبد المطلب و لا يشك أحد أن عدد الهاشميين شبيه بعدد الجميع فهذا ما في الكثره و القله.

قلت رحم الله أبا عثمان لو كان حيا اليوم لرأى ولد الحسن و الحسين ع أكثر من جميع العرب الذين كانوا في الجاهليه على عصر النبي ص المسلمين منهم و الكافرين لأنهم لو أحصوا لما نقص ديوانهم عن مائتي ألف إنسان.

قال أبو عثمان و إن كان الفخر بنبل الرأي و صواب القول فمن مثل عباس بن عبد المطلب و عبد الله بن العباس و إن كان في الحكم و السؤدد و أصاله الرأي و الغناء العظيم فمن مثل عبد المطلب و إن كان إلى الفقه و العلم بالتأويل و معرفه التأويل و إلى القياس السديد و إلى الألسنه الحداد و الخطب الطوال فمن مثل علي بن أبي طالب ع و عبد الله بن عباس .

قالوا خطبنا عبد الله بن عباس خطبه بمكة أيام حصار عثمان لو شهدها الترك و الديلم لأسلموا.

و فى عبد الله بن العباس يقول حسان بن ثابت إذا قال لم يترك مقالا-لقائل و هو البحر و هو الحبر و كان عمر يقول له فى حدائته عند إجماله الرأى غص يا غواص (1) و كان يقدمه على جله السلف.

قلت أبى أبو عثمان إلا إعراضا عن على ع هلا قال فيه كما قال فى عبد الله فلعمرى لو أراد لوجد مجالا و لألفى قولاً وسيعاً و هل تعلم الناس الخطب و العهود و الفصاحة إلا من كلام على ع و هل أخذ عبد الله رحمه الله الفقه و تفسير القرآن إلا عنه فرحم الله أبا عثمان لقد غلبت البصره و طينتها على إصابه رأيه.

قال أبو عثمان و إن كان الفخر فى البساله و النجده و قتل الأقران و جزر الفرسان فمن كحمزه بن عبد المطلب و على بن أبى طالب و كان الأحنف إذا ذكر حمزه قال أكيس و كان لا يرضى أن يقول شجاع لأن العرب كانت تجعل ذلك أربع طبقات فتقول شجاع فإذا كان فوق ذلك قالت بطل فإذا كان فوق ذلك قالت بهمه فإذا كان فوق ذلك قالت أكيس و قال العجاج أكيس عن حوبائه سخى و هل أكثر ما يعد الناس من جرحاهما و صرعاهما إلا سادتكم و أعلامكم قتل حمزه و على ع عتبه و الوليد و قتلا شبيهه أيضا شركا عبیده بن الحارث فيه و قتل على ع حنظله بن أبى سفيان فأما آباء ملوككم من بنى مروان فإنهم كما قال

ص: ٢٤٧

١-١) يريد أنه درب بالأمور، عارف بديقتها و جليلها.

عبد الله بن الزبير لما أتاه خبر المصعب إنا والله ما نموت حيجا (١) كما يموت آل أبي العاص والله ما قتل منهم قتيل في جاهليه ولا إسلام و ما نموت إلا قتلا قعصا (٢) بالرماح و موتا تحت ظلال السيوف.

قال أبو عثمان كأنه لم يعد قتل معاويه بن المغيرة بن أبي العاص قتلا إذ كان إنما قتل في غير معركة و كذلك قتل عثمان بن عفان إذ كان إنما قتل محاصرا و لا قتل مروان بن الحكم لأنه قتل خنقا خنقته النساء قال و إنما فخر عبد الله بن الزبير بما في بني أسد بن عبد العزى من القتلى لأن من شأن العرب أن يفخروا بذلك كيف كانوا قاتلين أو مقتولين ألا ترى أنك لا تصيب كثره القتلى إلا في القوم المعروفين بالبأس و النجده و بكثرة اللقاء و المحاربه كآل أبي طالب و آل الزبير و آل المهلب .

قال و في آل الزبير خاصه سبعة مقتولون في نسق و لم يوجد ذلك في غيرهم قتل عماره و حمزه ابنا عبد الله بن الزبير يوم قديد في المعركه قتلها الإباضيه و قتل عبد الله بن الزبير في محاربه الحجاج و قتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق (٣) في المعركه أكرم قتل و بإزائه عبد الملك بن مروان و قتل الزبير بوادي السباع منصرفه عن وقعه الجمل و قتل العوام بن خويلد في حرب الفجار و قتل خويلد بن أسد بن عبد العزى في حرب خزاعه فهؤلاء سبعة في نسق.

قال و في بني أسد بن عبد العزى قتلى كثيرون غير هؤلاء قتل المنذر بن الزبير بمكه قتله أهل الشام في حرب الحجاج و هو على بغل ورد كان نفر به فأصعد به في الجبل

ص: ٢٤٨

١ - ١) في الأصول: «حيجا» تحريف؛ و في اللسان: «الحجج بفتحيتين، من أكل البعير لحاء العرفج و يسمن عليه و ربما بشم منه فقتله، يعرض بنى مروان لكثرة أكلهم و إسرافهم في ملاذ الدنيا و أنهم يموتون بالتخمه». و انظر نهايه ابن الأثير.

٢ - ٢) القصص: الموت الوحى، يقال: مات قعصا؛ إذا أصابته ضربه أو رميه فمات مكانه.

٣ - ٣) الجاثليق: رئيس النصارى في بلاد الإسلام.

و إياه يعنى يزيد بن مفرغ الحميرى و هو يهجو صاحبكم عبيد الله بن زياد و يعيره بفراره يوم البصره لابن الزبير غداه تدمر منذرا
أولى بكل حفيظه و دفاع.

و قتل عمرو بن الزبير قتله أخوه عبد الله بن الزبير و كان فى جوار أخيه عبيده بن الزبير فلم يغن عنه فقال الشاعر يحرض عبيده
على قتل أخيه عبد الله بن الزبير و يعيره بإخفاره جوار عمرو أخيهما أ عبيد لو كان المجير لولولت

و قتل بجير بن العوام أخو الزبير بن العوام قتله سعد بن صفح الدوسى جد أبى هريره من قبل أمه قتله بناحية اليمامة و قتل معه
أصرم و بعلك أخويه ابنى العوام بن خويلد و قد قتل منهم فى محاربه النبى ص قوم مشهورون منهم زمعه بن الأسود بن المطلب
بن أسد بن عبد العزى كان شريفا قتل يوم بدر و أبوه الأسود كان المثل يضرب بعزته بمكه و فيه

٤١٩٢

قال رسول الله ص و هو يذكر عاقر الناقه كان عزيزا منيعا كأبى زمعه .

و يكنى زمعه بن الأسود أبا حكيمه و قتل الحارث بن الأسود بن المطلب يوم بدر أيضا و قتل عبد الله بن حميد بن زهير بن
الحارث بن الأسود بن المطلب بن أسد يوم بدر أيضا و قتل نوفل بن خويلد يوم بدر أيضا قتله على بن أبى طالب ع و قتل يوم
الحره يزيد بن عبد الله بن زمعه بن الأسود ضرب عنقه مسرف بن عقبه صبيرا (١) قال له بايع لأمير المؤمنين يزيد

ص: ٢٤٩

١-١) الصفيح: الحجاره الرقاق، والأصدااء: جمع صدى، و هو ما يرد على المصوت.

بن معاوية على أنك عبد قن له قال بل أبايعه على أنى أخوه و ابن عمه فضرب عنقه و قتل إسماعيل بن هبار بن الأسود ليلا و كان ادعى حيله فخرج مصرخا لمن استصرخه فقتل فاتهم به مصعب بن عبد الله بن عبد الرحمن فأحلفه معاوية خمسين يمينا و خلى سبيله فقال الشاعر و لا أجيب بليل داعيا أبدا

و قتل عبد الرحمن بن العوام بن خويلد فى خلافه عمر بن الخطاب فى بعض المغازى و قتل ابنه عبد الرحمن يوم الدار مع عثمان فعبد الله بن عبد الرحمن بن العوام بن خويلد قتيل ابن قتيل ابن قتيل أربعة و من قتلهم عيسى بن مصعب بن الزبير قتل بين يدي أبيه بمسكن (١) فى حرب عبد الملك و كان مصعب يكنى أبا عيسى و أبا عبد الله و فيه يقول الشاعر لتبك أبا عيسى و عيسى كلاهما موالى قريش كهلها و صميمها.

و منهم مصعب بن عكاشة بن مصعب بن الزبير قتل يوم قديد فى حرب الخوارج و قد ذكره الشاعر فقال قمن فاندبن رجالا قتلوا و منهم خالد بن عثمان بن خالد بن الزبير خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن فقتله أبو جعفر و صلبه و منهم عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير قتل بقديد أيضا و سمى عتيقا باسم جده أبى بكر الصديق .

ص : ٢٥٠

١ - ١) مسكن، كمسجد: موضع بالكوفة.

قلت هذا أيضا من تحامل أبي عثمان هلا ذكر قتلى الطف و هم عشرون سيدا من بيت واحد قتلوا فى ساعه واحده و هذا ما لم يقع مثله فى الدنيا لا فى العرب و لا فى العجم .

و لما قتل حذيفه بن بدر يوم الهبائه (١) و قتل معه ثلاثه أو أربعة من أهل بيته ضربت العرب بذلك الأمثال و استعظموه فجاء يوم الطف جرى الوادى فطم على القرى (٢) .

و هلا عدد القتلى من آل أبى طالب فإنهم إذا عدوا إلى أيام أبى عثمان كانوا عددا كثيرا أضعاف ما ذكره من قتلى الأسديين قال أبو عثمان و إن كان الفخر و الفضل فى الجود و السماح فمن مثل عبد الله بن جعفر بن أبى طالب و من مثل عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب .

و قد اعترضت الأمويه هذا الموضوع فقالت إنما كان عبد الله بن جعفر يهب ما كان معاويه و يزيد يهبان له فمن فضل جودنا جاد.

قالوا و معاويه أول رجل فى الأرض و هب ألف ألف درهم و ابنه أول من ضاعف ذلك فإنه كان يجيز الحسن و الحسين ابنى على ع فى كل عام لكل واحد منهما بألف ألف درهم و كذلك كان يجيز عبد الله بن العباس و عبد الله بن جعفر فلما مات و قام يزيد وفد عليه عبد الله بن جعفر فقال له إن أمير المؤمنين معاويه كان يصل رحمى فى كل سنه بألف ألف درهم قال فلك ألفا ألف درهم فقال بأبى أنت و أمى أما إنى ما قلتها لابن أنثى قبلك قال فلك أربعة آلاف ألف درهم.

و هذا الاعتراض ساقط لأن ذلك إن صح لم يعد جودا و لا جائزه و لا صلح رحم هؤلاء

ص: ٢٥١

١- ١) يوم الهبائه من أيام العرب المشهوره.

٢- ٢) قال صاحب مجمع الأمثال ١:١٥٨ «أى جرى سيل الوادى فطم، أى دفن، يقال: طم السيل الركبه، أى دفنها. و القرى: مجرى الماء فى الروضه و الجمع أقربه و قرىان... أى أتى على القرى، يعنى أهلكه بأن دفنه.

قوم كان يخافهم على ملكه و يعرف حقهم فيه و موقعهم من قلوب الأمه فكان يدبر فى ذلك تدبيرا و يريع (١) أمورا و يصانع عن دولته و ملكه و نحن لم نعد قط ما أعطى خلفاء بنى هاشم قوادهم و كتابهم و بنى عمهم جودا فقد وهب المأمون للحسن بن سهل غله عشره آلاف ألف فما عد ذلك منه مكرمه و كذلك كل ما يكون داخلا فى باب التجاره و استماله القلوب و تدبير الدوله و إنما يكون الجود ما يدفعه الملوک فى الوفود و الخطباء و الشعراء و الأشراف و الأدباء و السمار و نحوهم و لو لا ذلك لكان الخليفه إذا وفى الجند أعطياتهم احتسب ذلك فى جوده فالعاملات شىء و الإعطاء على دفع المكروه شىء و التفضل و الجود شىء ثم إن الذين أعطاهم معاويه و يزيد هو بعض حقهم و الذى فضل عليهما أكثر مما خرج منهما.

و إن أريد الموازنه بين ملوک بنى العباس و ملوک بنى أميه فى العطاء افتضح بنو أميه و ناصروهم فضيحه ظاهره فإن نساء خلفاء بنى عباس أكثر معروفا من رجال بنى أميه و لو ذكرت معروف أم جعفر وحدها لأتى ذلك على جميع صنائع بنى مروان و ذلك معروف و لو ذكر معروف الخيزران و سلسبيل لملئت الطوامير الكثيره به و ما نظن خالصه مولاتهم إلا فوق أجواد أجوادهم و إن شئت أن تذكر مواليهم و كتابهم فاذا ذكر عيسى بن ماهان و ابنه عليا و خالد بن برمك و ابنه يحيى و ابنه جعفر و الفضل و كاتبهم منصور بن زياد و محمد بن منصور و فتى العسكر فإنك تجد لكل واحد من هؤلاء ما يحيط بجميع صنائع بنى عبد شمس .

فأما ملوک الأمويه فليس منهم إلا من كان يبخل على الطعام و كان جعفر بن سليمان كثيرا ما يذكر ذلك و كان معاويه يبغض الرجل النهى على مائدته و كان

ص: ٢٥٢

(١-١) يريع يزيد:.

المنصور إذا ذكرهم يقول كان عبد الملك جبارا لا يبالي ما صنع و كان الوليد مجنونا و كان سليمان همه بطنه و فرجه و كان عمر أعور بين عميان و كان هشام رجل القوم و كان لا يذكر ابن عاتكه و لقد كان هشام مع ما استثناه به يقول هو الأحول السراق ما زال يدخل إعطاء الجند شهرا فى شهر و شهرا فى شهر حتى أخذ لنفسه مقدار رزق سنه و أنشده أبو النجم العجلي أرجوزته التى أولها أَلحد لله الوهوب المجزل.

فما زال يصفق بيديه استحسانا لها حتى صار إلى ذكر الشمس فقال و الشمس فى الأفق كعين الأحول فأمر بوجء (1) عنقه و إخراجة و هذا ضعف شديد و جهل عظيم.

و قال خاله إبراهيم بن هشام المخزومي ما رأيت من هشام خطأ قط إلا مرتين حدا به الحادى مره فقال إن عليك أيها البختى أكرم من تمشى به المطى فقال صدقت و قال مره و الله لأشكون سليمان يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبد الملك و هذا ضعف شديد و جهل مفرط.

و قال أبو عثمان و كان هشام يقول و الله إنى لأستحيى أن أعطى رجلا أكثر من أربعة آلاف درهم ثم أعطى عبد الله بن الحسن أربعة آلاف دينار فاعتدها فى جوده و توسعه و إنما اشترى بها ملكه و حصن بها عن نفسه و ما فى يديه قال له أخوه مسلمه أ تطمع أن تلى الخلافه و أنت بخيل جبان فقال و لكنى حلیم عفيف فاعترف بالجبن و البخل و هل تقوم الخلافه مع واحد منهما و إن قامت فلا تقوم إلا مع الخطر العظيم و التغرير الشديد و لو سلمت من الفساد لم تسلم من العيب.

ص: ٢٥٣

١-١) الوجء: الضرب.

و لقد قدم المنصور عليهم عمر بن عبد العزيز بقوله أعور بين عميان و زعمتم أنه كان ناسكا ورعا تقيا فكيف و قد جلد خبيب بن عبد الله بن الزبير مائه جلده و صب على رأسه جره من ماء بارد فى يوم شات حتى كز (١) فمات فما أقر بدمه و لا خرج إلى وليه من حقه و لا أعطى عقلا و لا قودا و لا كان خبيب ممن أتت عليه حدود الله و أحكامه و قصاصه فيقال كان مطيعا بإقامتها و أنه أزهق الحد نفسه و احتسبوا الضرب كان أدبا و تعزيرا فما عذره فى الماء البارد فى الشتاء على أثر جلد شديد و لقد بلغه أن سليمان بن عبد الملك يوصى فجاء حتى جلس على طريق من يجلس عنده أو يدخل إليه فقال رجاء بن حيوة فى بعض من يدخل و من يخرج نشدتك الله أن تذكرنى لهذا الأمر أو تشير بى فى هذا الشأن فو الله ما لى عليه من طاقه فقال له رجاء قاتلك الله ما أحرصك عليها.

و لما جاء الوليد بن عبد الملك بنعى الحجاج قال له الوليد مات الحجاج يا أبا حفص فقال و هل كان الحجاج إلا رجلا منا أهل البيت و قال فى خلافته لو لا بيعه فى أعناق الناس ليزيد بن عاتكة لجعلت هذا الأمر شورى بين صاحب الأعوص إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد الأشدق و بين أحمس قريش القاسم بن محمد بن أبى بكر و بين سالم بن عبد الله بن عمر فما كان عليه من الضرر و الحرج و ما كان عليه من الوكف (٢) و النقص أن لو قال بين على بن العباس و على بن الحسين بن على و على أنه لم يرد التيمى و لا العدوى و إنما دبر الأمر للأموى و لم يكن عنده أحد من هاشم يصلح للشورى ثم دبر الأمر لبيبيع لأخيه أبى بكر بن عبد العزيز من بعده حتى عوجل بالسم.

و قدم عليه عبد الله بن حسن بن حسن فلما رأى كماله و بيانه و عرف نسبه و مركبه

ص: ٢٥٤

١- (١) كز، أى أصابه كزاز؛ كغراب و رمان؛ و هو داء يجىء من شدة البرد.

٢- (٢) الوكف، محرکه: الإثم.

و موضعه و كيف ذلك من قلوب المسلمين و فى صدور المؤمنين لم يدعه بيت بالشام ليله واحده و قال له الحق بأهلك فإنك لم تغنهم شيئا هو أنفـس منك و لا- أرد عليهم من حياتك أخاف عليك طواعين الشام و ستلحقك الحوائج على ما تشتهى و تحب.

و إنما كره أن يروه و يسمعوا كلامه فلعله يبذر فى قلوبهم بذرا و يغرس فى صدورهم غرسا و كان أعظم خلق قولا بالجبر حتى يتجاوز الجهيمه و يربى على كل ذى غايه صاحب شـنعه و كان يصنع ذلك الكتب مع جهله بالكلام و قله اختلافه إلى أهل النظر و قال له شوذب الخارجى لم لا تلعن رهطك و تذكر أباك إن كانوا عندك ظلمه فجره فقال عمر متى عهدك بلعن فرعون قال ما لى به عهد قال أفسعك أن تمسك عن لعن فرعون و لا يسعنى أن أمسك عن لعن آبائى فرأى أنه قد خصمه (١) و قطع حجته و كذلك يظنه كل من قصر عن مقدار العالم و جاوز مقدار الجاهل و أى شبه لفرعون بآل مروان و آل أبى سفيان هؤلاء قوم لهم حزب و شيعه و ناس كثير يدينون بتفضيلهم و قد اعتورتهم الشبه فى أمرهم و فرعون على خلاف ذلك و ضده لا شيعه له و لا حزب و لا نسل و لا موالى و لا صنائع و لا فى أمره شبهه ثم إن عمر ظنين (٢) فى أمر أهله فيحتاج إلى غسل ذلك عنه بالبراءه منهم و شوذب ليس بظنين فى أمر فرعون و ليس الإمساك عن لعن فرعون و البراءه منه مما يعرفه الخوارج فكيف استويا عنده.

و شكاً إليه رجل من رهطه دينا فادحا و عيالا كثيرا فاعتل عليه فقال له فهلا اعتلت على عبد الله بن الحسن قال و متى شاورتك فى أمرى قال أو مشيرا

ص: ٢٥٥

١-١) خصمه: غلبه.

٢-٢) الظنين: المتهم.

ترانى قال أو هل أعطيته إلا بعض حقه قال و لم قصرت عن كله فأمر بإخراجه و ما زال إلى أن مات محروما منه.

و كان عمال أهله على البلاد عماله و أصحابه و الذى حسن أمره و شبه على الأغنياء حاله أنه قام بعقب قوم قد بدلوا عامه شرائع الدين و سنن النبى ص و كان الناس قبله من الظلم و الجور و التهاون بالإسلام فى أمر صغر فى جنبه عاينوا منه و ألفوه عليه فجعلوه بما نقص من تلك الأمور الفظيعة فى عداد الأئمة الراشدين و حسبك من ذلك أنهم كانوا يلعنون عليا ع على منابرهم فلما نهى عمر عن ذلك عد محسنا و يشهد لذلك قول كثير فيه و ليت فلم تشتم عليا و لم تخف برياً و لم تتبع مقاله مجرم و هذا الشعر يدل على أن شتم علي ع قد كان لهم عادة حتى مدح من كف عنه و لما ولى خالد بن عبد الله القسرى مكة و كان إذا خطب بها لعن عليا و الحسن و الحسين ع قال عبيد الله بن كثير السهمى لعن الله من يسب عليا

و قام عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان و كان ممن يناله بزعمهم إلى هشام بن عبد الملك و هو يخطب على المنبر بعرفه فقال يا أمير المؤمنين هذا يوم كانت

الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب (١) فقال هشام ليس لهذا جئنا ألا ترى أن ذلك يدل على أنه قد كان لعنه فيهم فاشيا ظاهرا و كان عبد الله بن الوليد هذا يلعن عليا ع و يقول قتل جدى جميعا الزبير و عثمان .

و قال المغيرة و هو عامل معاوية يومئذ لصعصعه بن صوحان قم فالعن عليا فقام فقال إن أميركم هذا أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله و هو يضمير المغيره .

و أما عبد الملك فحسبك من جهله تبديله شرائع الدين و الإسلام و هو يريد أن يلى أمور أصحابها بذلك الدين بعينه و حسبك من جهله أنه رأى من أبلغ التدبير فى منع بنى هاشم الخلفه أن يلعن على بن أبى طالب ع على منابره و يرمى بالفجور فى مجالسه و هذا قره عين عدوه و غير وليه و حسبك من جهله قيامه على منبر الخلفه قائلًا إني و الله ما أنا بالخليفه المستضعف و لا بالخليفه المداهن و لا بالخليفه المأفون (٢) و هؤلاء سلفه و أئمه و بشفعتهم قام ذلك المقام و بتقدمهم و تأسيسهم نال تلك الرئاسة و لو لا العاده المتقدمه و الأجناد المجنده و الصنائع القائمه لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام و أقربهم إلى المهلكه إن رام ذلك الشرف و عنى بالمستضعف عثمان و بالمداهن معاويه و بالمأفون يزيد بن معاويه و هذا الكلام نقض لسلطانه و عداوه لأهله و إفساد لقلوب شيعته و لو لم يكن من عجز رأيه إلا أنه لم يقدر على إظهار قوته إلا بأن يظهر عجز أئمه لكفاك ذلك منه فهذا ما ذكرته هاشم لأنفسها

مفاخر بنى أميه

قالت أميه لنا من نواذر الرجال فى العقل و الدهاء و الأدب و المكر ما ليس لأحد

ص: ٢٥٧

١-١) أبو تراب؛ من كنى أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب.

٢-٢) المأفون: الضعيف.

ولنا من الأجداد و أصحاب الصنائع ما ليس لأحد زعم الناس أن الدهاه أربعه معاويه بن أبى سفيان و زياد و عمرو بن العاص و المغيره بن شعبه فمنا رجلا ن و من سائر الناس رجلا ن و لنا فى الأجداد سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر لم يوجد لهما نظير إلى الساعه و أما نواذر الرجال فى الرأى و التدبير فأبو سفيان بن حرب و عبد الملك بن مروان و مسلمه بن عبد الملك و على أنهم يعدون فى الحلماء و الرؤساء فأهل الحجاز يضربون المثل فى الحلم بمعاويه كما يضرب أهل العراق المثل فيه بالأحنف .

فأما الفتوح و التدبير فى الحرب فلمعاويه غير مدافع و كان خطيبا مصقعا و مجربا مظفرا و كان يجيد قول الشعر إذا آثر أن يقوله و كان عبد الملك خطيبا حازما مجربا مظفرا و كان مسلمه شجاعا مدبرا و سائسا مقدا و كثير الفتوح كثير الأدب و كان يزيد بن معاويه خطيبا شاعرا و كان الوليد بن يزيد خطيبا شاعرا و كان مروان بن الحكم و عبد الرحمن بن الحكم شاعرين و كان بشر بن مروان شاعرا ناسبا و أدبيا عالما و كان خالد بن يزيد بن معاويه خطيبا شاعرا جيد الرأى أدبيا كثير الأدب حكيما و كان أول من أعطى التراجمه و الفلاسفه و قرب أهل الحكمه و رؤساء أهل كل صناعه و ترجم كتب النجوم و الطب و الكيمياء و الحروب و الآداب و الآلات و الصناعات.

قالوا و إن ذكرت البأس و الشجاعه فالعباس بن الوليد بن عبد الملك و مروان بن محمد و أبوه محمد بن مروان بن الحكم و هو صاحب مصعب و هؤلاء قوم لهم آثار بالروم لا تجهل و آثار يارمينيه لا تنكر و لهم يوم العقر شهده مسلمه و العباس بن الوليد .

قالوا و لنا الفتوح العظام و لنا فارس و خراسان و إرمينيه و سجستان و إفريقيه و جميع فتوح عثمان فأما فتوح بنى مروان فأكثر و أعم و أشهر من أن

تحتاج إلى عدد أو إلى شاهد و الذين بلغوا في ذلك الزمان أقصى ما يمكن صاحب خوف و حافر أن يبلغه حتى لم يحتجز منهم إلا ببحر أو خليج بحر أو غياض أو عقاب أو حصون و صياصي ثلاثه رجال قتيبه بن مسلم بخراسان و موسى بن نصير بإفريقيه و القاسم بن محمد بن القاسم الثقفي بالسند و الهند و هؤلاء كلهم عمالنا و صنائعنا و يقال إن البصره كانت صنائع ثلاثه رجال عبد الله بن عامر و زياد و الحجاج فرجلان من أنفسنا و الثالث صنيعنا.

قالوا و لنا في الأجواد و أهل الأقدار بنو عبد الله بن خالد بن أسيد بن أميه و أخوه خالد و في خالد يقول الشاعر إلى خالد حتى أنخنا بخالد فنعم الفتى يرجى و نعم المؤمل.

و لنا سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد و هو عقيد الندى كان يسبت سته أشهر و يفيق سته أشهر و يرى كحيفا من غير اكتحال و دهينا من غير تدهين و له يقول موسى شهوات أبا خالد أعنى سعيد بن خالد قالوا و إنما تمكن فينا الشعر و جاد ليس من قبل أن الذين مدحونا ما كانوا غير من مدح الناس و لكن لما وجدوا فينا مما يتسع لأجله القول و يصدق فيه القائل قد مدح عبد الله بن قيس الرقيات من الناس آل الزبير عبد الله و مصعبا و غيرهما فكان يقول كما يقول غيره فلما صار إلينا قال ما نقموا من بنى أميه إلا أنهم يحلمون أن غضبوا (١)

ص: ٢٥٩

(١ - ١) الأغاني ٣:٣٥٢ (طبعه دار الكتب).

و أنهم معدن الملوک فما

تصلح إلا عليهم العرب .

و قال نصيب من نفر الشم الذين إذا انتجوا

و قال الأخطل شمس العداوه حتى يستقاد لهم و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا (١).

قالوا و فينا يقول شاعر کم و المتشيع لكم الكميت بن زيد فالآن صرت إلى أميه و الأمور لها مصائر (٢).

و في معاويه يقول أبو الجهم العدوى نقلبه لنخبر حالتيه

و فيه يقول تريخ إليه هوادی الكلام إذا ضل خطبته المهذر (٣).

قالوا و إذا نظرتم في امتداح الشعراء عبد العزيز بن مروان عرفتم صدق ما نقوله.

قالوا و في إرسال النبي ص إلى أهل مكه عثمان و استعماله عليها عتاب بن أسيد و هو ابن اثنتين و عشرين سنه دليل على موضع

المنعه أن تهاب العرب و تعز قريش

٤١٩٣

و قال النبي ص قبل الفتح فتیان أضن بهما على النار عتاب بن أسيد و جبیر بن مطعم .

فولى عتابا و ترك جبیر بن مطعم .

ص : ٢٦٠

١- ١) الشم: جمع أشم، و هو كناية عن الرفعه و العلو و شرف النفس.

٢- ٢) شوس: جمع أشوس؛ و الشوس بالتحريك: النظر بمؤخر العين تكبرا و غيظا.

٣- ٣) ديوانه ١٤، و شمس: جمع شمس؛ و هو الرجل العسر في عداوته؛ الشديد الخلاف على من عانده.

و قال الشعبي لو ولد لى مائه ابن لسميتهم كلهم عبد الرحمن للذى رأيت فى قريش من أصحاب هذا الاسم ثم عد عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص

٤١٩٤

١- فأما عبد الرحمن بن عتاب فإنه صاحب الخيل يوم الجمل و هو صاحب الكف و الخاتم و هو الذى مر به على و هو قتيل فقال لهفى عليك يعسوب قريش هذا اللباب المحض من بنى عبد مناف فقال له قائل لشد ما أتيتة اليوم يا أمير المؤمنين قال إنه قام عنى و عنه نسوه لم يقمن عنك

قالوا و لنا من الخطباء معاوية بن أبى سفيان أخطب الناس قائما و قاعدا و على منبر و فى خطبه نكاح و قال عمر بن الخطاب ما يتصعدنى شىء من الكلام كما يتصعدنى خطبه النكاح و قد يكون خطيبا من ليس عنده فى حديثه و وصفه للشىء احتجاجة فى الأمر لسان بارع و كان معاوية يجرى مع ذلك كله.

قالوا و من خطبائنا يزيد بن معاوية كان أعرابى اللسان بدوى اللهجه قال معاوية و خطب عنده خطيب فأجاد لأرمينه بالخطيب الأشدق يريد يزيد بن معاوية .

و من خطبائنا سعيد بن العاص لم يوجد كتحييره تحبير و لا كارتجاله ارتجال.

و منا عمرو بن سعيد الأشدق لقب بذلك لأنه حيث دخل على معاوية و هو غلام بعد وفاه أبيه فسمع كلامه فقال إن ابن سعيد هذا الأشدق.

و قال له معاوية إلى من أوصى بك أبوك قال إن أبى أوصى إلى و لم يوص بي قال فبم أوصى إليك قال ألا يفقد إخوانه منه إلا وجهه.

قالوا و منا سعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب تكلم الناس عند عبد الملك قياما و تكلم قاعدا قال عبد الملك فتكلم و أنا و الله أحب عشرته و إسكاته فأحسن حتى استنطقته و استزدته و كان عبد الملك خطيبا خطب

ص: ٢٤١

الناس مره فقال ما أنصفتمونا معشر رعيتنا طلبتم منا أن نسير فيكم و في أنفسنا سيره أبي بكر و عمر في أنفسهما و رعيتهما و لم تسيرا فينا و لا في أنفسكم سيره رعيه أبي بكر و عمر فيهما و في أنفسهما و لكل من النصفه نصيب قالوا فكانت خطبته نافع.

قالوا و لنا زياد و عبيد الله بن زياد و كانا غنيين في صحه المعاني و جوده اللفظ و لهما كلام كثير محفوظ قالوا و من خطبائنا سليمان بن عبد الملك و الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

و من خطبائنا و نساكنا يزيد بن الوليد الناقص قال عيسى بن حاضر قلت لعمر بن عبيد ما قولك في عمر بن عبد العزيز فكلح (١) ثم صرف وجهه عنى قلت فما قولك في يزيد الناقص فقال أو الكامل قال بالعدل و عمل بالعدل و بذل نفسه و قتل ابن عمه في طاعه ربه و كان نكالا- لأهله و نقص من أعطياتهم ما زادت الجباره و أظهر البراءه من آباءه و جعل في عهده شرطا و لم يجعله جزما لا و الله لكأنه ينطق عن لسان أبي سعيد يريد الحسن البصرى قال و كان الحسن من أنطق الناس.

قالوا و قد قرئ في الكتب القديمه يا مبذر الكنوز يا ساجدا بالأسحار كانت ولايتك رحمه بهم و حجه عليهم قالوا هو يزيد بن الوليد .

و من خطبائنا ثم من ولد سعيد بن العاص عمرو بن خوله كان ناسبا فصيحاً خطيباً.

و قال ابن عائشه الأكبر ما شهد خطيباً قط إلا و لجلج هيبه له و معرفه بانتقاده.

و من خطبائنا عبد الله بن عامر و عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر و كانا من أكرم الناس و أبين الناس كان مسلمه بن عبد الملك يقول إنى لأنحى كور عمامتى على أذنى لأسمع كلام عبد الأعلى .

ص: ٢٦٢

١- ١) كلح، كمنع: كشر في عبوس.

و كانوا يقولون أشبه قريش نعمه و جهازه و اقتدارا و بيانا بعمر و بن سعيد عبد الأعلى بن عبد الله .

قالوا و من خطبائنا و رجالنا الوليد بن عبد الملك و هو الذى كان يقال له فحل بنى مروان كان يركب معه ستون رجلا لصلبه.

و من ذوى آدابنا و علمائنا و أصحاب الأخبار و روايه الأشعار و الأنساب بشر بن مروان أمير العراق .

قالوا و نحن أكثر نساكا منكم منا معاويه بن يزيد بن معاويه و هو الذى قيل له فى مرضه الذى مات فيه لو أقمتم للناس ولى عهد قال و من جعل لى هذا العهد فى أعناق الناس و الله لولا -خوفى الفتنة لما أقمتم عليها طرفه عين و الله لا- أذهب بمرارتها و تذهبون بحلاوتها فقالت له أمه لوددت أنك حيضه قال أنا و الله وددت ذلك.

قالوا و منا سليمان بن عبد الملك الذى هدم الديماس (١) و رد المسيرين و أخرج المسجونين و ترك القريب و اختار عمر بن عبد العزيز و كان سليمان جوادا خطيبا جميلا صاحب سلامه و دعه و حب للعافيه و قرب من الناس حتى سمي المهدي و قيلت الأشعار فى ذلك.

قالوا و لنا عمر بن عبد العزيز شبه عمر بن الخطاب قد ولده عمر و باسمه سمي و هو أشج قريش المذكور فى الآثار المنقوله فى الكتب العدل فى أشد الزمان و ظلف (٢) نفسه بعد اعتياد النعم حتى صار مثلا و مفخرا

٤١٩٥

١٤- و قيل للحسن أ ما رويت أن رسول الله ص قال لا- يزداد الزمان إلا شده و الناس إلا شحا و لا تقوم الساعه إلا على شرار الخلق قال بلى قيل فما بال عمر بن عبد العزيز و عدله

ص: ٢٦٣

١-١) الديماس: سجن كان للحجاج.

٢-٢) ظلف نفسه: منعها.

و سيرته فقال لا بد للناس من متنفس .

و كان مذكورا مع الخطباء و مع النساك و مع الفقهاء قالوا و لنا ابنه عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كان ناسكا زكيا طاهرا و كان من أتقى الناس و أحسنهم معونه لأبيه و كان كثيرا ما يعظ أباه و ينهاه.

قالوا و لنا من لا نظير له فى جميع أموره و هو صاحب الأعوص إسماعيل بن أميه بن عمرو بن سعيد بن العاص و هو الذى قال فيه عمر بن عبد العزيز لو كان إلى من الأمر شىء لجعلتها شورى بين القاسم بن محمد و سالم بن عبد الله و صاحب الأعوص .

قالوا و من نساكنا أبو حراب من بنى أميه الصغرى قتله داود بن على و من نساكنا يزيد بن محمد بن مروان كان لا يهدب (١) ثوبا و لا يصبغه و لا يتخلق بخلق (٢) و لا اختار طعاما على طعام ما أظعم أكله و كان يكره التكلف و ينهى عنه.

قالوا و من نساكنا أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان أراد عمر أخوه أن يجعله ولى عهده لما رأى من فضله و زهده فسما فيهما جميعا.

و من نساكنا عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان كان يصلى كل يوم ألف ركعه و كان كثير الصدقه و كان إذا تصدق بصدقه قال اللهم إن هذا لوجهك فخفف عنى الموت فانطلق حاجا ثم تصبح بالنوم فذهبوا ينبهونه للرحيل فوجدوه ميتا فأقاموا عليه المأتم بالمدينه و جاء أشعب فدخل إلى المأتم و على رأسه كبه من طين فالتدم (٣) مع النساء و كان إليه محسنا.

و من نساكنا عبد الرحمن بن يزيد بن معاويه بن أبى سفيان .

ص: ٢٦٤

١-١) يهدب: يقطع.

٢-٢) الخلق: الطيب.

٣-٣) التدم مع النساء: ضرب صدره معهن فى النياحه.

قالوا فنحن نعد من الصلاح والفضل ما سمعتموه وما لم نذكره أكثر وأنتم تقولون أميه هي الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَ زعمتم أن الشجره الخبيثه لا تثمر الطيب كما أن الطيب لا يثمر الخبيث فإن كان الأمر كما تقولون فعثمان بن عفان ثمره خبيثه.

و ينبغي أن يكون النبي ص دفع ابتتيه إلى خبيث و كذلك يزيد بن أبي سفيان صاحب مقدمه أبي بكر الصديق على جيوش الشام و ينبغي لأبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ص أن يكون كذلك و ينبغي لمحمد بن عبد الله المدبج أن يكون كذلك و إن ولده فاطمه ع لأنه من بنى أميه و كذلك عبد الله بن عثمان بن عفان سبط رسول الله ص الذي مات بعد أن شذن (١) و نقر الديك عينه فمات لأنه من بنى أميه و كذلك ينبغي أن يكون عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميه و إن كان النبي ص و لاه مكه أم القرى و قبله الإسلام مع

٤١٩٦

قوله ع

فتيان أضن بهما عن النار عتاب بن أسيد و جبير بن مطعم .

و كذلك ينبغي أن يكون عمر بن عبد العزيز شبيه عمر بن الخطاب كذلك و كذلك معاويه بن يزيد بن معاويه و كذلك يزيد الناقص و ينبغي ألا يكون النبي ص عد عثمان في العشره الذين بشرهم بالجنه و ينبغي أن يكون خالد بن سعيد بن العاص شهيد يوم مرج الصفر (٢) و الحبيس في سبيل الله و والى النبي ص على اليمن و والى أبي بكر على جميع أجناد الشام و رابع أربعه في الإسلام و المهاجر إلى أرض الحبشه كذلك و كذلك أبان بن سعيد بن العاص المهاجر إلى المدينه و القديم في الإسلام و الحبيس على الجهاد و يجب أن يكون ملعونا خبيثا و كذلك أبو حذيفه بن عتب بن ربيعه و هو بدرى من المهاجرين الأولين و كذلك أمامه بنت أبي العاص بن الربيع و أمها

ص: ٢٦٥

١- ١) شذن: قوى و ترعرع؛ و أصله في الظباء.

٢- ٢) مرج الصفر: موضع.

زينب بنت رسول الله ص و كذلك أم كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط و كان النبي ص يخرجها من المغازى و يضرب لها بسهم و يصافحها و كذلك فاطمه بنت أبي معيط و هى من مهاجرة الحبشه .

قالوا و مما نفخر به و ليس لبني هاشم مثله إن منا رجلا ولى أربعين سنه منها عشرون سنه خليفه و هو معاويه بن أبى سفيان و لنا أربعة إخوه خلفاء الوليد و سليمان و هشام بنو عبد الملك و ليس لكم و يزيد إلا ثلاثه إخوه محمد و عبد الله و أبى إسحاق أولاد هارون .

قالوا و منا رجل ولد سبعة من الخلفاء و هو عبد الله بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أبوه يزيد بن عاتكه خليفه و جده عبد الملك خليفه و أبو جده مروان الحكم خليفه و جده من قبل عاتكه ابنه يزيد بن معاويه أبوها يزيد بن معاويه و هو خليفه و معاويه بن أبى سفيان و هو خليفه فهؤلاء خمسة و أم عبد الله هذا عاتكه بنت عبد الله بن عثمان بن عفان و حفصه بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب فهذان خليفتان فهذه سبعة من الخلفاء ولدوا هذا الرجل .

قالوا و منا امرأه أبوها خليفه و جدها خليفه و ابنها خليفه و أخوها خليفه و بعلمها خليفه فهؤلاء خمسة و هى عاتكه بنت يزيد بن معاويه بن أبى سفيان أبوها يزيد بن معاويه خليفه و جدها معاويه بن أبى سفيان خليفه و ابنها يزيد بن عبد الملك بن مروان خليفه و أخوها معاويه بن يزيد خليفه و بعلمها عبد الملك بن مروان خليفه .

قالوا و من ولد المدبج محمد بن عبد الله الأصغر امرأه ولدها النبي ص و أبو بكر و عمر و عثمان و على و طلحه و الزبير و هى عائشه بنت محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان و أمها خديجه بنت عثمان بن عروه بن الزبير و أم عروه أسماء ذات النطاقين بنت أبى بكر الصديق و أم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان و هو

فاطمه بنت الحسين بن على ع و أم الحسين بن على ع فاطمه بنت رسول الله ص و أم فاطمه بنت الحسين بن على ع أم إسحاق بنت طلحه بن عبد الله و أم عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ابنه عبد الله بن عمر بن الخطاب .

قالوا و لنا فى الجمال و الحسن ما ليس لكم منا المدبج و الديباج قيل ذلك لجماله.

و منا المطرف و منا الأرجوان فالمطرف و هو عبد الله بن عمرو بن عثمان سمي المطرف لجماله و فيه يقول الفرزدق نما الفاروق أنك و ابن أروى أبوك فأنت منصدع النهار.

و المدبج هو الديباج كان أطول الناس قياما فى الصلاة و هلك فى سجن المنصور .

قالوا و منا ابن الخلائف الأربعة دعى بذلك و شهر به و هو المؤمل بن العباس بن الوليد بن عبد الملك كان هو و أخوه الحارث ابنى العباس بن الوليد من الفجاءة بنت قطرى بن الفجاءة إمام الخوارج و كانت سييت فوقعت إليه فلما قام عمر بن عبد العزيز أتت وجوه بنى مازن و فيهم حاجب بن ذبيان المازنى الشاعر فقال حاجب أتيناك زوارا و وفدا إلى التى

فبعث عمر بن عبد العزيز إلى العباس بن الوليد إما أن تردها إلى أهلها و إما أن تزوجها فقال قائل ذات يوم للمؤمل يا ابن الخلائف الأربعة قال ويلك من الرابع

قال قطري فأما الثلاثة فالوليد و عبد الملك و مروان و أما قطري فبويح بالخلافه و فيه يقول الشاعر و أبو نعامه سيد الكفار قالوا و من أين صار عن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أحق بالدعوه و الخلافه من سائر إخوته و من أين كان له أن يضعها في بيته دون إخوته و كيف صار بنو الأخ أحق بها من الأعمام.

و قالوا إن يكن هذا الأمر إنما يستحق بالميراث فالأقرب إلى العباس أحق و إن كان بالسن و التجربه فالعمومه بذلك أولى.

قالوا فقد ذكرنا جملا من حال رجالنا في الإسلام و أما الجاهليه فلنا الأعياص و العنابس (١).

و لنا ذو العصابه أبو أحيحة سعيد بن العاص كان إذا اعتم لم يعتم (٢) بمكه أحد و لنا حرب بن أميه رئيس يوم الفجار و لنا أبو سفيان بن حرب رئيس أحد و الخندق و سيد قریش كلها في زمانه.

و قال أبو الجهم بن حذيفه العدوي لعمر حين رأى العباس و أبا سفيان على فراشه دون الناس ما نرانا نستريح من بني عبد مناف على حال قال عمر بنس أخو العشيره أنت هذا عم رسول الله ص و هذا سيد قریش .

ص: ٢٤٨

١-١) في الأغاني ١٤:١ (طبعة دار الكتب) بسنده عن الزبير بن بكار شيوخه: «الأعياص: العاص و أبو العاص و العيص و أبو العيص و العويص؛ و منهم العنابس؛ و هم: حرب و أبو حرب و سفيان و أبو سفيان و عمرو و أبو عمرو؛ و إنما سموا العنابس؛ لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أميه بعكاظ، و عقلوا أنفسهم و قاتلوا قتالا شديدا؛ فشبها بالأسد، و الأسد يقال لها: العنابس، و احدها عنبسه».

٢-٢) اعتم: أرخى عمامته.

قالوا و لنا عتبه بن ربيعه ساد مملقا و لا- يكون السيد إلا- مترفا لو لا ما رأوا عنده من البراعه و النبيل و الكمال و هو الذى لما تحاكت بجيله و كلب فى منافره جرير و الفرافصه و تراهنوا بسوق عكاظ و صنعوا الرهن على يده دون جميع من شهد على ذلك المشهد

٤١٩٧

و قال رسول الله ص و نظر إلى قريش مقبله يوم بدر إن يكن منهم عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر.

و ما ظنك بشيخ طلبوا له من جميع العسكر عند المبارزه بيضه فلم يقدروا على بيضه يدخل رأسه فيها و قد قال الشاعر و إنا أناس يملأ البيض هامنا قالوا و أميه الأكبر صنفان الأعياص و العنابس قال الشاعر من الأعياص أو من آل حرب أغر كغره الفرس الجواد (١) سموا بذلك فى حرب الفجار حين حفروا لأرجلهم الحفائر و ثبتوا فيها و قالوا نموت جميعا أو نظفر و إنما سموا بالعنابس لأنها أسماء الأسود و إنما سموا الأعياص لأنها أصول الفاعنابس حرب و سفيان و أبو سفيان و عمرو و الأعياص العيص و أبو العيص و العاص و أبو العاص و أبو عمرو و لم يعقب من العنابس إلا حرب و ما عقب الأعياص إلا العيص و لذلك كان معاويه يشكو القله.

قالوا و ليس لبني هاشم و المطلب مثل هذه القسمه و لا مثل هذا اللقب المشهور و هذا ما قالته أميه عن نفسها

ص: ٢٦٩

(١- ١) من أبيات فى الأغاني ١٤:١-١٦؛ و نسبها إلى عبد الله بن فضاله الأسدى.

و نحن نذكر ما أجاب به أبو عثمان عن كلامهم و نضيف إليه من قبلنا أموراً لم يذكرها فنقول قالت هاشم أما ذكرت من الدهاء و المكر فإن ذلك من أسماء فجار العقلاء و ليس من أسماء أهل الصواب في الرأي من العقلاء و الأبرار و قد بلغ أبو بكر و عمر من التدبير و صواب الرأي و الخبره بالأمور العامه و ليس من أوصافهما و لا من أسمائهما أن يقال كانا داهيين و لا كانا مكيرين و ما عامل معاويه و عمرو بن العاص علياً ع قط بمعامله إلا- و كان علي ع أعلم بها منهما و لكن الرجل الذي يحارب و لا يستعمل إلا ما يجلب له أقل مذاهب في وجوه الحيل و التدبير من الرجل الذي يستعمل ما يحل و ما لا يحل و كذلك من حدث و أخبر إلا- ترى أن الكذاب ليس لكذبه غايه و لا لما يولد و يصنع نهايه و الصدوق إنما يحدث عن شيء معروف و معنى محدود و يدل على ما قلنا أنكم عددتم أربعة في الدهاء و ليس واحد منهم عند المسلمين في طريق المتقين و لو كان الدهاء مرتبه و المكر منزله لكان تقدم هؤلاء الجميع السابقين الأولين عيباً شديداً في السابقين الأولين و لو أن إنساناً أراد أن يمدح أبا بكر و عمر و عثمان و علياً ثم قال الدهاء أربعة و عددهم لكان قد قال قولاً مرغوباً عنه لأن الدهاء و المكر ليس من صفات الصالحين و إن علموا من غامض الأمور ما يجهله جميع العقلاء ألا ترى أنه قد يحسن أن يقال كان رسول الله ص أكرم الناس و أحلم الناس و أجود الناس و أشجع الناس و لا يجوز أن يقال كان أمكر الناس و أدهى الناس و إن علمنا أن علمه قد أحاط بكل مكر و خديعه و بكل أدب و مكيد.

و أما ما ذكرت من جود سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر فأين أنتم من عبد الله بن جعفر و عبيد الله بن العباس و الحسن بن علي و أين أنتم من جود خلفاء بني

كمحمد المهدي و هارون و محمد بن زيده و عبد الله المأمون و جعفر المقتدر بل لعل جود بعض صنائع هؤلاء كبنى برمك و بنى الفرات أعظم من جود الرجلين اللذين ذكرتوهما بل من جميع ما جاء به خلفاء بنى أميه .

و أما ما ذكرتم من حلم معاويه فلو شئنا أن نجعل جميع ساداتنا حلما لكانوا محتملين لذلك و لكن الوجه في هذا ألا يشتق للرجل اسم إلا من أشرف أعماله و أكرم أخلاقه و إلا أن يتبين بذلك عند أصحابه حتى يصير بذلك اسما يسمى و يصير معروفا به كما عرف الأحنف بالحلم و كما عرف حاتم بالجود و كذلك هرم قالوا هرم الجواد و لو قلتم كان أبو العاص بن أميه أحلم الناس لقلنا و لعله يكون قد كان حلما و لكن ليس كل حلم يكون صاحبه به مذكورا و من إشكاله بائنا و إنكم لتظلمون خصوصكم في تسميتكم معاويه بالحلم فكيف من دونه لأن العرب تقول أحلم الحلمين ألا- يتعرض ثم يحلم و لم يكن في الأرض رجل أكثر تعرضا من معاويه و التعرض هو السفه فإن ادعيتم أن الأخبار التي جاءت في تعرضه كلها باطله فإن لقائل أن يقول و كل خبر رويموه في حلمه باطل و لقد شهر الأحنف بالحلم و لكنه تكلم بكلام كثير يجرح في الحلم و يثلم في العرض (١) و لا يستطيع أحد أن يحكى عن العباس بن عبد المطلب و لا عن الحسن بن علي بن أبي طالب لفظا فاحشا و لا كلمه ساقطه و لا حرفا واحدا مما يحكى عن الأحنف و معاويه .

و كان المأمون أحلم الناس و كان عبد الله السفاح أحلم الناس و بعد فمن يستطيع أن يصف هاشما أو عبد المطلب بالحلم دون غيره من الأخلاق و الأفعال حتى يسميه بذلك و يخص به دون كل شيء فيه من الفضل و كيف و أخلاقهم متساويه و كلها في الغايه و لو أن رجلا كان أظهر الناس زهدا و أصدقهم للعدو لقاء و أصدق الناس لسانا

ص: ٢٧١

(١-١) يثلم في العرض؛ أي ينال منه و يقع فيه.

و أجود الناس كفا و أفصحهم منطلقا و كان بكل ذلك مشهورا لمنع بعض ذلك من بعض و لما كان له اسم السيد المقدم و الكامل المعظم و لم يكن الجواد أغلب على اسمه و لا البيان و لا النجده.

و أما ما ذكرتم من الخطابه و الفصاحه و السؤدد و العلم بالأدب و النسب فقد علم الناس أن بنى هاشم فى الجمله أرق ألسنه من بنى أميه كان أبو طالب و الزبير شاعرين و كان أبو سفیان بن الحارث بن عبد المطلب شاعرا و لم يكن من أولاد أميه بن عبد شمس لصلبه شاعر و لم يكن فى أولاد أميه إلا أن تعدوا فى الإسلام العرجى من ولد عثمان بن عفان و عبد الرحمن بن الحكم فنعد نحن الفضل بن العباس بن عتبه بن أبى لهب و عبد الله بن معاويه بن جعفر و لنا من المتأخرين محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالرضى و أخوه أبو القاسم و لنا الحماني و على بن محمد صاحب الزنج و كان إبراهيم بن الحسن صاحب باخمري (١) أدبيا شاعرا فاضلا و لنا عن محمد بن على بن صالح الذى خرج فى أيام المتوكل .

قال أبو الفرج الأصفهاني كان من فتيان آل أبى طالب و فتاكهم و شجعانهم و ظرافهم و شعرائهم و إن عددتم الخطابه و البيان و الفصاحه لم تعدوا كعلى بن أبى طالب ع و لا كعبد الله بن العباس و لنا من الخطباء زيد بن على بن الحسين و عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر و جعفر بن الحسين بن الحسن و داود بن على بن عبد الله بن العباس و داود و سليمان ابنا جعفر بن سليمان .

قالوا كان جعفر بن الحسين بن الحسن ينازع زيد بن على بن الحسين فى الوصيه

ص: ٢٧٢

١- ١) باخمري: بلده قرب الكوفه بها قبر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على .

و كان الناس يجتمعون ليستمعوا محاورتهما و كان سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي والى مكة فكان أهل مكة يقولون لم يرد علينا أمير إلا و سليمان أبين منه قاعدا و أخطب منه قائما و كان داود إذا خطب اسحنفر (١) فلم يرد شىء.

قالوا و لنا عبد الملك بن صالح بن علي كان خطيبا بليغا و سأله الرشيد و سليمان بن أبي جعفر و عيسى بن جعفر حاضرا فقال له كيف رأيت أرض كذا قال مسافى ريح و منابت شيخ قال فأرض كذا قال هضبات (٢) حمر و ربوات (٣) عفر حتى أتى علي جميع ما سأله عنه فقال عيسى لسليمان و الله ما ينبغي لنا أن نرضى لأنفسنا بالدون من الكلام.

قالوا و أما ما ذكرتم من نساك الملوك فلنا علي بن أبي طالب ع و بزهد و بدينه يضرب المثل و لنا محمد بن الواثق من خلفاء بني العباس و هو الملقب بالمهتدي كان يقول إنى لأنف لبني العباس ألا يكون منهم مثل عمر بن عبد العزيز فكان مثله و فوقه و لنا القادر أبو العباس بن إسحاق بن المقتدر و لنا القائم عبد الله بن القادر كانا على قدم عظيمه من الزهد و الدين و النسك و إن عددتم النساك من غير الملوك فأين أنتم عن علي بن الحسين زين العابدين و أين أنتم عن علي بن عبد الله بن العباس و أين أنتم عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع الذى كان يقال له علي الخير و علي الأغر و علي العابد و ما أقسم علي الله بشىء إلا و أبر قسمه و أين أنتم عن موسى بن جعفر بن محمد و أين أنتم عن علي بن محمد الرضا لابس الصوف طول عمره مع سعه أمواله و كثره ضياعه و غلاته.

ص: ٢٧٣

١-١) اسحنفر الرجل فى منطقه:مضى فيه.

٢-٢) الهضبات:جمع هضبه؛و هى الجبل الطويل الممتنع،و لا يكون ذلك إلا فى حمر الجبال.

٣-٣) الربوات،جمع ربوه،و هى أعلى الجبل.

و أما ما ذكرتم من الفتوح فلنا الفتوح المعتصميه التي سارت بها الركبان و ضربت بها الأمثال و لنا فتوح الرشيد و لنا الآثار الشريفه في قتل بابك الخرمي بعد أن دامت فتنته في دار الإسلام نحو ثلاثين سنه و إن شئت أن تعد فتوح الطالبين بإفريقيه و مصر و ما ملكوه من مدن الروم و الفرنج و الجلالقه (١) في سنى ملكهم عددت الكثير الجم الذي يخرج عن الحصر و يحتاج إلى تاريخ مفرد يشتمل على جلود كثيره.

فأما الفقه و العلم و التفسير و التأويل فإن ذكرتموه لم يكن لكم فيه أحد و كان لنا فيه مثل على بن أبى طالب ع و عبد الله بن العباس و زيد بن على و عن محمد بن على ابني على بن الحسين بن على و جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه و فقهه و يقال إن أبا حنيفه من تلامذته و كذلك سفيان الثوري و حسبك بهما في هذا الباب و لذلك نسب سفيان إلى أنه زيدي المذهب و كذلك أبو حنيفه .

و من مثل على بن الحسين زين العابدين و قال الشافعي في رساله في إثبات خبر الواحد وجدت على بن الحسين و هو أفقه أهل المدينه يعول على أخبار الآحاد.

و من مثل محمد بن الحنيفه و ابنه أبى هاشم الذي قرر علوم التوحيد و العدل و قالت المعتزله غلبنا الناس كلهم بأبى هاشم الأول و أبى هاشم الثانى .

و إن ذكرتم النجده و البساله و الشجاعه فمن مثل على بن أبى طالب ع و قد وقع اتفاق أوليائه و أعدائه على أنه أشجع البشر.

و من مثل حمزه بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله و من مثل الحسين بن على ع قالوا يوم الطف ما رأينا مكثورا (٢) قد أفرد من إخوته و أهله و أنصاره أشجع منه كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطما و ما ظنك برجل أبت نفسه الدينه و أن يعطى

ص: ٢٧٤

١-١) الجلالقه: أهل جلق، و هي دمشق.

٢-٢) المكثور: المغلوب في الكثره.

بيده فقاتل حتى قتل هو و بنوه و إخوته و بنو عمه بعد بذل الأمان لهم و التوثقه بالأيمان المغلظه و هو الذى سن للعرب الإباء و اقتدى بعده أبناء الزبير و بنو المهلب و غيرهم.

و من لكم مثل محمد و إبراهيم بن عبد الله و من لكم كزيد بن على و قد علمتم كلمته التى قالها حيث خرج من عند هشام ما أحب الحياه إلا- من ذل فلما بلغت هشاما قال خارج و رب الكعبه فخرج بالسيف و نهى عن المنكر و دعا إلى إقامه شعائر الله حتى قتل صابرا محتسبا.

و قد بلغتكم شجاعه أبى إسحاق المعتصم و وقوفه فى مشاهد الحرب بنفسه حتى فتح الفتوح الجليله و بلغتكم شجاعه عبد الله بن على و هو الذى أزال ملك بني مروان و شهد الحروب بنفسه و كذلك صالح بن على و هو الذى اتبع مروان بن محمد إلى مصر حتى قتله.

قالوا و إن كان الفضل و الفخر فى تواضع الشريف و إنصاف السيد و سجاحه (1) الخلق و لين الجانب للعشيره و الموالى فليس لأحد من ذلك ما لبني العباس و لقد سألنا طارق بن المبارك و هو مولى لبني أميه و صنيعه من صنائعهم فقلنا أى القبيلتين أشد نخوه و أعظم كبرياء و جبريه أ بنو مروان أم بنو العباس فقال و الله لبني مروان فى غير دولتهم أعظم كبرياء من بني العباس فى دولتهم و قد كان أدرك الدولتين و لذلك قال شاعرهم إذا نابه من عبد شمس رأيته يتيه فرشحه لكل عظيم

ص: ٢٧٥

و إن تاه تياه سواهم فإنما

يتيه لنوك أو يتيه للوم (١)

و من كلامهم من لم يكن من بنى أميه تياها فهو دعى قالوا و إن كان الكبر مفخرا يمدح به الرجال و يعد من خصال الشرف و الفضل فمولانا عماره بن حمزه أعظم كبرا من كل أموى كان و يكون فى الدنيا و أخباره فى كبره و تيهه مشهوره متعالمة.

قالوا و إن كان الشرف و الفخر فى الجمال و فى الكمال و فى البسطه فى الجسم و تمام القوام فمن كان كالعباس بن عبد المطلب .

قالوا رأينا العباس يطوف بالبيت و كأنه فسطاق (٢) أبيض.

و من مثل على بن عبد الله بن العباس و ولده و كان كل واحد منهم إذا قام إلى جنب أبيه كان رأسه عند شحمه أذنه و كانوا من أطول الناس و إنك لتجد ميراث ذلك اليوم فى أولادهم.

ثم الذى رواه أصحاب الأخبار و حمال الآثار فى عبد المطلب من التمام و القوام و الجمال و البهاء و ما كان من لقب هاشم بالقمير لجماله و لأنهم يستضيئون برأيه و كما رواه الناس أن عبد المطلب ولد عشره كان الرجل منهم يأكل فى المجلس الجذعه (٣) و يشرب الفرق (٤) و ترد آنفهم قبل شفاههم و إن عامر بن مالك لما رآهم يطوفون بالبيت كأنهم جمال جون (٥) قال بهؤلاء تمنع مكه و تشرف مكه .

و قد سمعتم ما ذكره الناس من جمال السفاح و حسنه و كذلك المهدي و ابنه هارون الرشيد و ابنه محمد بن زيده و كذلك هارون الواثق و محمد المنتصر و الزبير المعتز .

ص: ٢٧٦

١- ١) ب: «النول» تصحيف؛ و صوابه فى ا. و النوك: الحمق، و اللوم أصله «اللؤم»: بالهمزة، و خفف للشعر.

٢- ٢) الفسطاق: الخيمه.

٣- ٣) الجذعه من الضأن: الصغيره.

٤- ٤) الفرق، بكسر فسكون: مكيال بالمدينه، يسع ثلاثه آصع، أو سته عشر رطلا.

٥- ٥) الجون من الإبل و الخيل: جمع جون، بفتح فسكون، و هو الأدهم.

قالوا ما رثي في العرب و لا- في العجم أحسن صورته منه و كان المكتفى على بن المعتضد بارع الجمال و لذلك قال الشاعر يضرب المثل به و الله لا كلمته و لو أنه كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفى فجعله ثالث القمرين و كان الحسن بن علي ع أصبح الناس وجها كان يشبه برسول الله ص و كذلك عبد الله بن الحسن المحض .

قالوا و لنا ثلاثة في عصر بنو عم كلهم يسمى عليا و كلهم كان يصلح للخلافه بالفقه و النسك و المركب و الرأي و التجربه و الحال الرفيعه بين الناس علي بن الحسين بن علي و علي بن عبد الله بن العباس و علي بن عبد الله بن جعفر كل هؤلاء كان تاما كاملا بارعا جامعا و كانت لبابه بنت عبد الله بن العباس عند علي بن عبد الله بن جعفر قالت ما رأيته ضاحكا قط و لا قاطبا و لا قال شيئا احتاج إلى أن يعتذر منه و لا ضرب عبدا قط و لا ملكه أكثر من سنه.

قالوا و بعد هؤلاء ثلاثة بنو عم و هم بنو هؤلاء الثلاثة و كلهم يسمى محمدا كما أن كل واحد من أولئك يسمى عليا و كلهم يصلح للخلافه بكرم النسب و شرف الخصال عن محمد بن علي بن الحسين بن علي و عن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس و عن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر .

قالوا كان عن محمد بن علي بن الحسين لا يسمع المبتلى الاستعاذه و كان ينهى الجاربه و الغلام أن يقولوا للمسكين يا سائل و هو سيد فقهاء الحجاز و منه و من ابنه جعفر تعلم الناس الفقه و هو الملقب بالباقر باقر العلم

٤١٩٨

١٤- لقبه به رسول الله ص و لم يخلق بعد و بشر به و وعد جابر بن عبد الله برؤيته و قال ستراه طفلا فإذا رأيته فأبلغه عنى السلام فعاش جابر حتى رآه و قال له ما وصى به .

ص: ٢٧٧

و تواعد خالد بن عبد الله القسرى هشام بن عبد الملك فى رساله له إليه و قال و الله إنى لأعرف رجلا حجازى الأصل شامى الدار عراقى الهوى يريد عن محمد بن على بن عبد الله بن العباس .

قالوا و أما ما ذكرتم من أمر عاتكه بنت يزيد بن معاويه فإننا نذكر فاطمه بنت رسول الله ص و هى سيده نساء العالمين و أمها خديجه سيده نساء العالمين و بعلها على بن أبى طالب سيد المسلمين كافه و ابن عمها جعفر ذو الجناحين و ذو الهجرتين و ابناها الحسن و الحسين سيديا شباب أهل الجنة و جد هما أبو طالب بن عبد المطلب أشد الناس عارضه و شكيمه و أجودهم رأيا و أشهمهم نفسا و أمنعهم لما وراء ظهره منع النبى ص من جميع قريش ثم بنى هاشم و بنى المطلب ثم منع بنى إخوانه من بنى أخواته من بنى مخزوم الذين أسلموا و هو أحد الذين سادوا مع الإقلال و هو مع هذا شاعر خطيب و من يطبق أن يفاخر بنى أبى طالب و أمهم فاطمه بنت أسد بن هاشم و هى أول هاشميه ولدت لهاشمى و هى التى ربي رسول الله فى حجرها و كان يدعوها أمى و نزل فى قبرها و كان يوجب حقها كما يوجب حق الأم من يستطيع أن يسامى رجالا ولدهم هاشم مرتين من قبل أبيهم و من قبل أمهم قالوا و من العجائب أنها ولدت أربعة كل منهم أسن من الآخر بعشر سنين طالب و عقيل و جعفر و على .

و من الذى يعد من قريش أو من غيرهم ما يعده الطالبيون عشره فى نسق كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد ظاهر زاك فمنهم خلفاء و منهم مرشحون ابن ابن ابن هكذا إلى عشره و هم الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ع و هذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب و لا من بيوت العجم .

قالوا فإن فخرتم بأن منكم اثنتين من أمهات المؤمنين أم حبيبه بنت أبي سفيان و زينب بنت جحش و زينب امراه من بنى أسد بن خزيمه ادعيتموه بالحلف (١) لا- بالولاده و فينا رجل ولدته أمان من أمهات المؤمنين محمد بن عبد الله بن الحسن المحض ولدته خديجه أم المؤمنين و أم سلمه أم المؤمنين و ولدته مع ذلك فاطمه بنت الحسين بن على و فاطمه سيده نساء العالمين ابنه رسول الله ص و فاطمه بنت أسد بن هاشم و كان يقال خير النساء الفواطم و العواتك و هن أمهاته.

قالوا و نحن إذا ذكرنا إنسانا فقبل أن نعد من ولده نأتى به شريفا فى نفسه مذكورا بما فيه دون ما فى غيره قلمنا لنا عاتكه بنت يزيد و عاتكه فى نفسها كامراه من عرض قريش ليس فيها فى نفسها خاصه أمر تستوجب به المفاخره و نحن نقول منا فاطمه و فاطمه سيده نساء العالمين و كذلك أمها خديجه الكبرى و إنما تذكران مع مريم بنت عمران و آسيه بنت مزاحم اللتين ذكرهما النبى ص و ذكر إحداهما القرآن و هن المذكورات من جميع نساء العالم من العرب و العجم .

و قلمنا لنا عبد الله بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ولده سبعة من الخلفاء و عبد الله هذا فى نفسه ليس هناك و نحن نقول منا عن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم كلهم سيد و أمه العالیه بنت عبيد الله بن العباس و إخوته داود و صالح و سليمان و عبد الله رجال كلهم أعر محجل ثم ولدت الرؤساء إبراهيم الإمام و أخويه أبا العباس و أبا جعفر و من جاء بعدهما من خلفاء بنى العباس .

و قلمنا منا عبد الله بن يزيد و قلنا منا الحسين بن على سيد شباب أهل الجنة

ص: ٢٧٩

و أولى الناس بكل مكرمه و أطهرهم طهاره مع النجده و البصيره و الفقه و الصبر و الحلم و الأنف (١) و أخوه الحسن سيد شباب أهل الجنة و أرفع الناس درجه و أشبههم برسول الله خلقا و خلقا و أبوهما على بن أبي طالب قال شيخنا أبو عثمان و هو الذى ترك وصفه أبلغ فى وصفه إذ كان هذا الكتاب يعجز عنه و يحتاج إلى كتاب يفرد له و عمهما ذو الجناحين و أمهما فاطمه و جدتهما خديجه و أخوالهما القاسم و عبد الله و إبراهيم و خالاتهما زينب و رقيه و أم كلثوم و جدتاهما آمنه بنت وهب والده رسول الله ص و فاطمه بنت أسد بن هاشم و جدتهما رسول الله ص المخرس لكل فاخر و الغالب لكل منافر قل ما شئت و اذكر أى باب شئت من الفضل فإنك تجدهم قد حووه.

و قالت أميه نحن لا ننكر فخر بنى هاشم و فضلهم فى الإسلام و لكن لا فرق بيننا فى الجاهليه إذ كان الناس فى ذلك الدهر لا يقولون هاشم و عبد شمس و لا هاشم و أميه بل يقولون كانوا لا يزيدون فى الجميع على عبد مناف حتى كان أيام تميزهم فى أمر على و عثمان فى الشورى ثم ما كان فى أيام تحزبهم و حربهم مع على و معاويه .

و من تأمل الأخبار و الآثار علم أنه ما كان يذكر فرق بين البيتين و إنما يقال بنو عبد مناف ألا ترى أن أبا قحافه سمع رجه شديده و أصواتا مرتفعه و هو يومئذ شيخ كبير مكفوف فقال ما هذا قالوا قبض رسول الله ص قال فما صنعت قريش قالوا ولوا الأمر ابنك قال و رضيت بذلك بنو عبد مناف قالوا نعم قال و رضى بذلك بنو المغيره قالوا نعم قال فلا مانع لما أعطى الله و لا معطى

ص : ٢٨٠

(١ - ١) الأنف بفتحيتين؛ مثل الأنفه؛ و معناهما الشمم و الإباء.

لما منع و لم يقل أ رضى بذلك بنو عبد شمس و إنما جمعهم على عبد مناف لأنه كذلك كان يقال.

و هكذا قال أبو سفيان بن حرب لعلى ع و قد سخط إماره أبي بكر أ رضيتم يا بنى عبد مناف أن تلى عليكم تيم و لم يقل أ رضيتم يا بنى هاشم و كذلك قال خالد بن سعيد بن العاص حين قدم من اليمن و قد استخلف أبو بكر أ رضيتم معشر بنى عبد مناف أن تلى عليكم تيم قالوا و كيف يفرقون بين هاشم و عبد شمس و هما أخوان لأب و أم و يدل على أن أمرهما كان واحدا و أن اسمهم كان جامعا

٤١٩٩

قول النبي ص و صنيعه حين قال منا خير فارس فى العرب عكاشه بن محصن .

و كان أسديا و كان حليفا لبنى عبد شمس و كل من شهد بدرا من بنى كبير بن داود كانوا حلفاء بنى عبد شمس

٤٢٠٠

١٤- فقال ضرار بن الأزور الأسدى ذاك منا يا رسول الله فقال ع بل هو منا بالحلف .

فجعل حليف بنى عبد شمس حليف بنى هاشم و هذا بين لا يحتاج صاحب هذه الصفة إلى أكثر منه.

قالوا و لهذا نكح هذا البيت فى هذا البيت فكيف صرنا نتزوج بنات النبي و بنات بنى هاشم على وجه الدهر إلا و نحن أكفاء و أمرنا واحد و قد سمعتم إسحاق بن عيسى يقول لمحمد بن الحارث أحد بنى عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد لو لا حى أكرمهم الله بالرساله لزعمت أنك أشرف الناس أ فلا ترى أنه لم يقدم علينا رهطه إلا بالرساله.

قالت هاشم قلتم لو لا- أنا كنا أكفاءكم لما أنكحتمونا نساءكم فقد نجد القوم يستوون فى حسب الأب و يفترون فى حسب الأنفس و ربما استووا فى حسب أبى

ص: ٢٨١

القبيله كاستواء قريش فى النضر بن كنانه و يختلفون كاختلاف كعب بن لؤى و عامر بن لؤى و كاختلاف ابن قصى و عبد مناف و عبد الدار و عبد العزى و القوم قد يساوى بعضهم بعضا فى وجوه و يفارقونهم فى وجوه و يستجيزون بذلك القدر مناكحتهم و إن كانت معانى الشرف لم تتكامل فىهم كما تكاملت فىمن زوجهم و قد يزوج السيد ابن أخيه و هو حارص ابن حارص (١) على وجه صله الرحم فىكون ذلك جائزا عندهم و لوجوه فى هذا الباب كثره فليس لكم أن تزعموا أنكم أكفأونا من كل وجه و إن كنا قد زوجناكم و ساويناكم فى بعض الآباء و الأجداد و بعد فأنتم فى الجاهليه و الإسلام قد أخرجتم بناتكم إلى سائر قريش و إلى سائر العرب أفتزعمون أنهم أكفأؤكم عينا بعين و أما قولكم إن الحيين كان يقال لهما عبد مناف فقد كان يقال لهما أيضا مع غيرهما من قريش و بنىها بنو النضر و قال الله تعالى وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢) فلم يدع النبى ص أحدا من بنى عبد شمس و كانت عشيرته الأقربون بنى هاشم و بنى المطلب و عشيرته فوق ذاك عبد مناف و فوق ذلك قصى

٤٢٠١

١٤- و من ذلك أن النبى ص لما أتى بعبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس و أم عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم قال ع هذا أشبه بنا منه بكم ثم تفل فى فيه فازدرده فقال أرجو أن تكون مشفيا فكان كما قال .

ففى قوله هو أشبه بنا منه بكم خصلتان إحداهما أن عبد شمس و هاشم لو كانا شيئا واحدا كما أن عبد المطلب شىء واحد لما قال هو بنا أشبه به منكم و الأخرى أن فى هذا القول تفضيلا لبنى هاشم على بنى عبد شمس ألا ترون أنه خرج خطيبا جوادا نبىلا و سيدا مشفيا له مصانع و آثار كريمه لأنه قال و هو بنا أشبه به منكم و أتى عبد المطلب

ص: ٢٨٢

١- (١) الحارص: الرجل الرذل الفاسد.

٢- (٢) سورة الشعراء ٢١٤.

بعامر بن كرز و هو ابن ابنته أم حكيم البيضاء فتأمله و قال و عظام هاشم ما ولدنا ولدا أحرص منه فكان كما قال عبد الله يحمق و لم يقل و عظام عبد مناف لأن شرف جده عبد مناف له فيه شركاء و شرف هاشم أبيه خالص له.

فأما ما ذكرتم من قول أبي سفيان و خالد بن سعيد أ رضيتم معشر بني عبد مناف أن تلي عليكم تيم فإن هذه الكلمة كلمة تحريض و تهيج فكان الأبلغ فيما يريد من اجتماع قلوب الفريقين أن يدعوهم لأب و أن يجمعهم على واحد و إن كانا مفترقين و هذا المذهب سديد و هذا التدبير صحيح.

قال معاوية بن صعصعه للأشهب بن رميله و هو نهشلي و للفرزدق بن غالب و هو مجاشعي و لمسكن بن أنيف و هو عبدلي أ رضيتم معشر بني دارم أن يسب آباءكم و يشتم أعراضكم كلب بني كليب و إنما نسبهم إلى دارم الأب الأكبر المشتمل على آباء قبائلهم ليستوا في الحميه و يتفوقوا على الأنف و هذا في مثل هذا الموضوع تدبير صحيح.

قالوا و يدل على ما قلنا ما قاله الشعراء في هذا الباب قبل مقتل عثمان و قبل صفين قال حسان بن ثابت لأبي سفيان الحارث بن عبد المطلب و أنت منوط نيظ (١) في آل هاشم كما نيظ خلف الراكب القدح الفرد لم يقل نيظ في آل عبد مناف .

و قال ما أنت من هاشم في بيت مكرمه و لا بني جمح الخضر الجلاعيد (٢)

ص: ٢٨٣

١- ١) ب: «نيظ» تعريف.

٢- ٢) الجلاعيد: الصلاب الشداد.

و لم يقل ما أنت من آل عبد مناف و كيف يقول هذا و قد علم الناس أن عبد مناف ولد أربعة هاشما و المطلب و عبد شمس و نوفلا و أن هاشما و المطلب كانا يدا واحده و أن عبد شمس و نوفلا كانا يدا واحده و كان مما بطأ بينى نوفل عن الإسلام إبطاء إخوتهم من بنى عبد شمس و كان مما حث بنى المطلب على الإسلام فضل محبتهم لبنى هاشم لأن أمر النبي ص كان بينا و إنما كانوا يمتنعون منه من طريق الحسد و البغضه فمن لم يكن فيه هذه العله لم يكن له دون الإسلام مانع و لذلك لم يصحب النبي ص من بنى نوفل أحد فضلا أن يشهدوا معه المشاهد الكريمة و إنما صحبه حلفاؤهم كيعلى بن منبه و عتبه بن غزوان و غيرهما و بنو الحارث بن المطلب كلهم بدرى عبيد و طفيل و حصين و من بنى المطلب مسطح بن أثاثه بدرى .

و كيف يكون الأمر كما قلت و أبو طالب يقول لمطعم بن عدى بن نوفل بن نوفل فى أمر النبي ص لما تمالات قريش عليه جزى الله عنا عبد شمس و نوفلا

٤٢٠٢

١٤- و لقد قسم النبي ص قسمه فجعلها فى بنى هاشم و بنى المطلب فأتاه عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف و جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف فقالا له يا رسول الله إن قرابتنا منك و قرابه بنى المطلب واحده فكيف أعطيتهم دوننا فقال النبي ص إنا لم نزل و بنى المطلب كهاتين و شبك بين أصابعه

فكيف تقولون كنا شيئا واحدا و كان الاسم الذى يجمعنا واحدا

ص: ٢٨٤

ثم نرجع إلى افتخار بنى هاشم قالوا و إن كان الفخر بالأيد (١) و القوه و اهتصار (٢) الأقران و مباطشه الرجال فمن أين لكم كمحمد بن الحنفية و قد سمعتم أخباره و أنه قبض على درع فاضله فجذبها فقطع ذيلها ما استدار منه كله و سمعتم أيضا حديث الأيد (٣) القوى الذى أرسله ملك الروم إلى معاوية يفخر به على العرب و أن محمدا قعد له ليقيمه فلم يستطع فكأنما يحرك جبلا- و أن الرومى قعد ليقيمه محمد فرفعه إلى فوق رأسه ثم جلد به الأرض هذا مع الشجاعه المشهوره و الفقه فى الدين و الحلم و الصبر و الفصاحه و العلم بالملاحم و الأخبار عن الغيوب حتى ادعى له أنه المهدي و قد سمعتم أحاديث أبى إسحاق المعتصم و أن أحمد بن أبى دواد عض ساعده بأسنانه أشد العض فلم يؤثر فيه و أنه قال ما أظن الأسنه و لا السهام تؤثر فى جسده و سمعتم ما قيل فى عبد الكريم المطيع و أنه جذب ذنب ثور فاستله من بين وركيه.

و إن كان الفخر بالبشر و طلاقه الأوجه و سجاحه الأخلاق فمن مثل على بن أبى طالب ع و قد بلغ من سجاحه خلقه و طلاقه وجهه أن عيب بالدعابه و من الذى يسوى بين عبد شمس و بين هاشم فى ذلك كان الوليد جبارا و كان هشام شرس الأخلاق و كان مروان بن محمد لا- يزال قاطبا عابسا و كذلك كان يزيد بن الوليد الناقص و كان المهدي المنصور أسرى خلق الله و ألطفهم خلقا و كذلك محمد الأمين و أخوه المأمون و كان السفاح يضرب به المثل فى السرو و سجاحه الخلق.

قالوا و نحن نعد من رهطنا رجالا لا تعدون أمثالهم أبدا فمننا الأمراء بالديلم الناصر الكبير و هو الحسن الأطروش بن على بن الحسن بن عمر بن على بن عمر الأشرف

ص: ٢٨٥

١-١) الأيد(بفتح فسكون):القوّه.

٢-٢) اهتصر القرن:جذبه بشده.

٣-٣) الأيد:الشجاع الشديد.

بن زين العابدين و هو الذى أسلمت الديلم على يده و الناصر الأصغر و هو أحمد بن يحيى بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا و أخوه محمد بن يحيى و هو الملقب بالمرتضى و أبوه يحيى بن الحسن و هو الملقب بالهادى و من ولد الناصر الكبير الثائر و هو جعفر بن محمد بن الحسن الناصر الكبير و هم الأمراء بطبرستان و جيلان و جرجان و مازندران و سائر ممالك الديلم ملكوا تلك الأصقاع مائه و ثلاثين سنه و ضربوا الدينير و الدراهم بأسمائهم و خطب لهم على المنابر و حاربوا الملوك السامانيه و كسروا جيوشهم و قتلوا أمراءهم فهؤلاء واحدهم أعظم كثيرا من ملوك بنى أميه و أطول مده و أعدل و أنصف و أكثر نسكا و أشد حضا على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و ممن يجرى مجراهم الداعى الأ-كبر و الداعى الأصغر ملكا الديلم قادا الجيوش و اصطنعا الصنائع.

قالوا و لنا ملوك مصر و إفريقيه ملكوا مائتين و سبعين سنه فتحوا الفتوح و استردوا ما تغلب عليه الروم من مملكه الإسلام و اصطنعوا الصنائع الجليله.

و لهم الكتاب و الشعراء و الأمراء و القواد فأولهم المهدي عبيد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب و آخرهم العاضد و هو عبد الله بن الأمير أبى القاسم بن الحافظ أبى الميمون بن المستعلى بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن عبد العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي فإن افتخرت الأمويه بملوكها فى الأندلس من ولد هشام بن عبد الملك و اتصال ملكهم و جعلوهم يازاء ملوكنا بمصر و إفريقيه قلنا لهم إلا أنا نحن أزلنا ملككم بالأندلس كما أزلنا ملككم بالشام و المشرق كله لأنه لما ملك قرطبه

الظافر من بنى أميه و هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الملقب بالناصر خرج عليه على بن حميد بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ع فقتله و أزال ملكه.

و ملك قرطبه دار ملك بنى أميه و يلقب بالناصر ثم قام بعده أخوه القاسم بن حمود و يلقب بالمعتلى فنحن قتلناكم و أزلنا ملككم فى المشرق و المغرب و نحن لكم على الرصد (١) حيث كنتم اتبعناكم فقتلناكم و شردناكم كل مشرد و الفخر للغالب على المغلوب بهذا قضت الأمم قاطبه قالوا و لنا من أفراد الرجال من ليس لكم مثله منا يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان شجاعا جريئا (٢) و هو الذى ولى الموصل لأخيه السفاح فاستعرض أهلها حتى ساخت (٣) الأقدام فى الدم.

و منا يعقوب بن إبراهيم بن عيسى بن أبى جعفر المنصور كان شاعرا فصيحاً و هو المعروف بأبى الأسباط و منا محمد و جعفر ابنا سليمان بن علي كانا أعظم من ملوك بنى أميه و أجل قدرا و أكثر أموالا و مكانا عند الناس و أهدى محمد بن سليمان من البصره إلى الخيزران مائه و صيفه فى يد كل واحده منهن جام (٤) من ذهب وزنه ألف مثقال مملوء مسكا و كان لجعفر بن سليمان ألفا عبد من السودان خاصه فكم يكون ليت شعرى غيرهم من البيض و من الإماء و ما رثى جعفر بن سليمان راكبا قط إلا ظن أنه الخليفه.

و من رجالنا محمد بن السفاح كان جوادا أيدا شديد البطش قالوا ما رثى أخوان

ص: ٢٨٧

١- ١) على الرصد: مترصدون لكم.

٢- ٢) فى ب: «حربا» تصحيف.

٣- ٣) ساخت: خاضت.

٤- ٤) الجام: إناء من الذهب أو الفضة.

أشد قوه من محمد و ريطه أخته ولدى أبي العباس السفاح كان محمد يأخذ الحديد فيلويه فتأخذه هي فترده.

و من رجالنا محمد بن إبراهيم طباطبا صاحب أبي السرايا كان ناسكا عابدا فقيها عظيم القدر عند أهل بيته و عند الزيديه .

و من رجالنا عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس و هو الذى شيد ملك المنصور و حارب ابني عبد الله بن حسن و أقام عمود الخلافة بعد اضطرابه و كان فصيحاً أديباً شاعراً.

و من رجالنا عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام حج بالناس و ولي الشام و كان فصيحاً خطيباً.

و من رجالنا عبد الله بن موسى الهادى كان أكرم الناس و جواداً ممدوحاً أديباً شاعراً و أخوه عيسى بن موسى الهادى كان أكرم الناس و أجود الناس كان يلبس الثياب و قد حدد ظفره فيخرقها بظفره لثلاث تعاد إليه و عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن موسى الهادى و كان أديباً ظريفاً.

و من رجالنا عبد الله بن المعتز بالله كان أوجد الدنيا فى الشعر و الأدب و الأمثال الحكيمه و السؤدد و الرئاسة كان كما قيل فيه لما قتل لله درك من ميت بمضيعة و من رجالنا النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى شيخ بنى هاشم الطالبيين و العباسيين فى عصره و من أطاعه الخلفاء و الملوك فى أقطار الأرض و رجعوا إلى قوله و ابنه على و محمد و هما المرتضى و الرضى و هما فريدا العصر فى الأدب و الشعر و الفقه و الكلام و كان الرضى شجاعاً أديباً شديد الأنف

و من رجالنا القاسم بن عبد الرحيم بن عيسى بن موسى الهادى كان شاعرا ظريفا.

و من رجالنا القاسم بن إبراهيم طباطبا صاحب المصنفات و الورع و الدعاء إلى الله و إلى التوحيد و العدل و منابذه الظالمين و من أولاده أمراء اليمن .

و من رجالنا محمد الفأفاء بن إبراهيم الإمام كان سيدا مقدما ولى الموسم و حج بالناس و كان الرشيد يسايره و هو مقنع بطيلسانه.

و من رجالنا محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين صاحب أبى السرايا ساد حدثا و كان شاعرا أدبيا فقيها يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و لما أسر و حمل إلى المأمون أكرمه و أفضل عليه و رعى له فضله و نسبه.

و من رجالنا موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس كنيته أبو عيسى و هو أجل ولد عيسى و أنبلهم ولى الكوفة و سوادها زمانا طويلا للمهدى ثم الهادى و ولى المدينة و إفريقيه و مصر للرشيد قال له ابن السماك لما رأى تواضعه إن تواضعك فى شرفك لأحب إلى من شرفك فقال موسى إن قومنا يعنى بنى هاشم يقولون إن التواضع أحد مصائد الشرف.

و من رجالنا موسى بن محمد أخو السفاح و المنصور كان نبيلاً عندهم هو و إبراهيم الإمام لأم واحده رأى فى منامه قبل أن يصير من أمرهم ما صار أنه دخل بستانا فلم يأخذ إلا عنقودا واحدا عليه من الحب المتراص ما ربك به عليم فلم يولد له إلا عيسى ثم ولد لعيسى من ظهره أحد و ثلاثون ذكرا و عشرون أنثى.

و من رجالنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع و هو عبد الله المحض و أبوه الحسن بن الحسن و أمه فاطمه بنت الحسين و كان إذا قيل من

أجمل الناس قالوا عبد الله بن الحسن فإذا قيل من أكرم الناس قالوا عبد الله بن الحسن فإذا قالوا من أشرف الناس قالوا عبد الله بن الحسن .

و من رجالنا أخوه الحسن بن الحسن و عمه زيد بن الحسن و بنوه محمد و إبراهيم و موسى و يحيى أما محمد و إبراهيم فأمرهما مشهور و فضلهما غير مجحود فى الفقه و الأدب و النسك و الشجاعه و السؤدد و أما يحيى صاحب الديلم فكان حسن المذهب و الهدى مقديما فى أهل بيته بعيدا مما يعاب على مثله و قد روى الحديث و أكثر الروايه عن جعفر بن محمد و روى عن أكابر المحدثين

٤٢٠٣

٦- و أوصى جعفر بن محمد إليه لما حضرته الوفاه و إلى ولده موسى بن جعفر .

و أما موسى بن عبد الله بن الحسن فكان شابا نجيبا صبورا شجاعا سخيا شاعرا.

و من رجالنا الحسن المثلث و هو الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع كان متألها (١) فاضلا ورعا يذهب فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مذهب أهله و إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع كان مقديما فى أهله يقال إنه أشبه أهل زمانه برسول الله ص .

و من رجالنا عيسى بن زيد و يحيى بن زيد أخوه و كانا أفضل أهل زمانهما شجاعه و زهدا و فقها و نسكا.

و من رجالنا يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد صاحب الدعوه كان فقيها فاضلا شجاعا فصيحيا شاعرا و يقال إن الناس ما أحبوا طالبا قط دعا إلى نفسه جبههم يحيى و لا رثى أحد منهم بمثل ما رثى به.

ص: ٢٩٠

(١ - ١) متألها: متعبدا.

قال أبو الفرج الأصفهاني كان يحيى فارسا شجاعا شديد البدن مجتمع القلب بعيدا عن زهو الشباب و ما يعاب به مثله كان له عمود حديد ثقيل يصحبه في منزله فإذا سخط على عبد أو أمه من حشمه لواه في عنقه فلا يقدر أحد أن يحله عنه حتى يحله هو (١).

و من رجالنا محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع صاحب الطالقان لقب بالصوفي لأنه لم يكن يلبس إلا الصوف الأبيض و كان عالما فقيها ديننا زاهدا حسن المذهب يقول بالعدل و التوحيد.

و من رجالنا محمد بن علي بن صالح بن عبد الله بن موسى بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ع كان من فتيان آل أبي طالب و فتاكهم و شجعانهم و ظرفائهم و شعرائهم و له شعر لطيف محفوظ.

و منهم أحمد بن عيسى بن زيد كان فاضلا عالما مقدا في عشيرته معروفا بالفضل و قد روى الحديث و روى عنه.

و من رجالنا موسى بن جعفر بن محمد و هو العبد الصالح جمع من الفقه و الدين و النسك و الحلم و الصبر و ابنه علي بن موسى المرشح للخلافه و المخطوب له بالعهد كان أعلم الناس و أسخى الناس و أكرم الناس أخلاقا.

قالوا و أما ما ذكرتم من أمر الشجره الملعونه فإن المفسرين كلهم قالوا ذلك و رووا فيه أخبارا كثيره عن النبي ص و لستم قادرين على جحد ذلك و قد عرفتم تأخركم عن الإسلام و شدة عداوتكم للرسول الداعي إليه و محاربتكم في بدر و أحد و الخندق و صدكم الهدى عن البيت و ليس ذلك مما يوجب أن يعمكم اللعن حتى

ص: ٢٩١

لا- يغادر واحدا فإن زعم ذلك زاعم فقد تعدى و أما اختصاص محمد بن علي بالوصيه و الخلافه دون إخوته فقد علمتم أن وراثه السياده و المرتبه ليس من جنس وراثه الأموال أ لا ترى أن المرأه و الصبى و المجنون يرثون الأموال و لا يرثون المراتب و سواء فى الأموال كان الابن حارضا (1) بائرا أو بارعا جامعا.

و قيل وراثه المقام سبيل وراثه اللواء دفع رسول الله ص لواء بنى عبد الدار إلى مصعب بن عمير و دفع عمر بن الخطاب لواء بنى تميم إلى وكيع بن بشر ثم دفعه إلى الأحنف حين لم يوجد فى بنى زراره من يستحق وراثه اللواء فإن كان الأمر بالسنة فإنما كان بين محمد بن علي و أبيه علي بن عبد الله أربع عشره سنه كان علي يخضب بالسواد و محمد يخضب بالحمرة فكان القادم يقدم عليهما و الزائر يأتيهما فيظن أكثرهم أن محمدا هو علي و أن عليا هو محمد حتى ربما قيل لعلى كيف أصبح الشيخ من علته و متى رجع الشيخ إلى منزله و أخرى أن أمه كانت العالیه بنت عبد الله بن العباس فقد ولده العباس مرتين و ولده جواد بنى العباس كما والده خيرهم و حبرهم و لم يكن لأحد من إخوته مثل ذلك و كان بعض ولد محمد أسن من عامه ولد علي و ولد محمد المهدي بن عبد الله المنصور و العباس بن محمد بن علي فى عام واحد و كذلك محمد بن سليمان بن علي و لم يكن لأحد من ولد علي بن عبد الله بن العباس و إن كانوا فضلاء نجباء كرماء نبلاء مثل عقله و لا كجماله كان إذا دخل المدينة و مكه جلس الناس على أبواب دورهم و النساء على سطوحهن للنظر إليه و التعجب من كماله و بهائه و قد قاتل إخوته أعداءه فى دفع الملك إلى ولده غير مكرهين و لا مجبرين علي أن محمدا إنما أخذ الأمر عن أساس مؤسس و قاعده مقرر و وصيه انتقلت إليه من أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية و أخذها أبو هاشم عن أبيه محمد و أخذها محمد عن علي بن أبى طالب أبيه.

ص: ٢٩٢

قالوا لما سمعت بنو أميه أبا هاشم مرض فخرج من الشام وقيذا (١) يؤم المدينة فمر بالحميمه (٢) و قد أشفى فاستدعى محمد بن على بن عبد الله بن العباس فدفع الوصيه إليه و عرفه ما يصنع و أخبره بما سيكون من الأمر و قال له إني لم أدفعها إليك من تلقاء نفسى و لكن أبى أخبرنى عن أبيه على بن أبى طالب ع بذلك و أمرنى به و أعلمنى بلقائى إياك فى هذا المكان ثم مات فتولى عن محمد بن على تجهيزه و دفنه و بث الدعاه حينئذ فى طلب الأمر و هو الذى قال لرجال الدعوه و القائمين بأمر الدوله حين اختارهم للتوجه و انتخبهم للدعاء و حين قال بعضهم ندعو بالكوفه و قال بعضهم بالبصره و قال بعضهم بالجزيره و قال بعضهم بالشام و قال بعضهم بمكه و قال بعضهم بالمدينه و احتج كل إنسان لرأيه و اعتل لقوله فقال محمد أما الكوفه و سوادها فشيعة على و ولده و أما البصره فعثمانيه تدين بالكف و قبيل عبد الله المقتول يدينون بجميع الفرق و لا يعينون أحدا و أما الجزيره فحروريه مارقه و الخارجيه فيهم فاشيه و أعراب كأعلاج (٣) و مسلمون فى أخلاق النصارى و أما الشام فلا يعرفون إلا آل أبى سفيان و طاعه بنى مروان عداوه راسخه و جهلا متراكما و أما مكه و المدينه فقد غلب عليهما أبو بكر و عمر و ليس يتحرك معنا فى أمرنا هذا منهم أحد و لا- يقوم بنصرنا إلا شيعتنا أهل البيت و لكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير و الجلد الظاهر و صدورا سليمه و قلوبا مجتمعته لم تنقسمها الأهواء و لم تتوزعها النحل و لم تشغلها ديانته و لا هدم فيها فساد و ليس لهم اليوم همم (٤) العرب و لا فيهم تجارب كتجارب الأتباع مع السادات و لا تحالف كتحالف القبائل و لا عصبيه كعصبيه العشائر و ما زالوا ينالون و يمتهون و يظلمون فيكظمون و ينتظرون الفرج و يؤملون

ص: ٢٩٣

١- (١) الوقيذ: المريض المشرف على الهلاك.

٢- (٢) الحميمه، كجهينه بلده بالبلقاء.

٣- (٣) الأعلاج: جمع علاج؛ الرجل من كفار العجم:

٤- (٤) ا: «هم».

دوله و هم جند لهم أبدان و أجسام و مناكب و كواهل و هامات و لحي و شوارب و أصوات هائله و لغات فخمه تخرج من أجواف منكره.

و بعد فكأنى أتفاءل جانب المشرق فإن مطلع الشمس سراج الدنيا و مصباح هذا الخلق فجاء الأمر كما دبر و كما قدر فإن كان الرأى الذى رأى صوابا فقد وافق الرشاد و طبق المفصل و إن كان ذلك عن روايه متقدمه فلم يتلق تلك الروايه إلا عن نبوه.

قالوا و أما قولكم إن منا رجلا مكث أربعين سنه أميرا و خليفه فإن الإمارة لا تعد فخرا مع الخلافه و لا تضم إليها و نحن نقول إن منا رجلا مكث سبعا و أربعين سنه خليفه و هو أحمد الناصر بن الحسن المستضىء و منا رجل مكث خمسا و أربعين سنه خليفه و هو عبد الله القائم و مكث أبوه أحمد القادر ثلاثا و أربعين سنه خليفه فملكهما أكثر من ملك بنى أميه كلهم و هم أربعة عشر خليفه.

و يقول الطالبيون منا رجل مكث ستين سنه خليفه و هو معد بن الطاهر صاحب مصر و هذه مده لم يبلغها خليفه و لا ملك من ملوك العرب فى قديم الدهر و لا فى حديثه.

و قلت لنا عاتكه بنت يزيد يكتنفها خمسه من الخلفاء و نحن نقول لنا زبيده بنت جعفر يكتنفها ثمانية من الخلفاء جدها المنصور خليفه و عم أبيها السفاح خليفه و عمها المهدي خليفه و ابن عمها الهادي خليفه و بعلمها الرشيد خليفه و ابنها الأمين خليفه و ابنا بعلمها المأمون و المعتصم خليفتان.

قالوا و أما ما ذكرتموه من الأعياص و العنابس فلسنا نصدقكم فيما زعمتموه أصلا بهذه التسميه و إنما سموا الأعياص لمكان العيص و أبى العيص و العاص و أبى العاص و هذه أسماؤهم الأعلام ليست مشتقه من أفعال لهم كريمه و لا -خسيسه و أما العنابس

فإنما سموا بذلك لأن حرب بن أميه كان اسمه عنبسه و أما حرب فلقبه ذكر ذلك النسابون و لما كان حرب أمثلهم سموا
جماعتهم باسمه فقبل العنابس كما يقال المهالبه و المناذره و لهذا المعنى سمى أبو سفيان بن حرب بن عنبسه و سمى سعيد بن
العاص بن عنبسه

ص: ٢٩٥

- ١٠- من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٧٩-٨٠
- ١١- من وصيه له عليه السلام وصّى بها جيشا بعثه إلى العدو ٨٩
- ١٢- من وصيه له عليه السلام وصّى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثه آلاف ٩٢
- ١٣- من كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه ٩٨
- ١٤- من وصيه له عليه السلام لعسكره بصفين قبل لقاء العدو ١٠٤
- ١٥- من كلام كان يقوله عليه السلام إذا لقي عدوا محاربا ١١٢
- ١٦- من كلام كان يقوله لأصحابه عند الحرب ١١٤
- ١٧- من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه ١١٧
- ١٨- من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس و هو عامله على البصره.
- ١٩- من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ١٣٧
- ٢٠- من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه ١٣٨
- ٢١- من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه أيضا ١٣٩
- ٢٢- من كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس ١٤٠
- ٢٣- من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصيه لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم ١٤٣

٢٤-من وصيه له عليه السلام بما يعمل في أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفين ١٤٦-١٤٨

٢٥-من وصيه له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات ١٥١-١٥٢

٢٦-من عهد له عليه السلام إلى بعض عماله و قد بعثه على الصدقه ١٥٨

٢٧-من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر ١٦٣-١٧٠

٢٨-من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا و هو من محاسن الكتب ١٨١-١٨٢

ص: ٢٩٨

القول فى أسماء الذفن تعاقدوا من قرفش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ٣-٩

القول فى الملائكة نزلت بأحد وقاتلت أم لا ١٠-١١

القول فى مقتل حمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه ١١-١٩

القول فىمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ١٩-٢٥

القول فىما جرى للمسلمفن بعد إصعادهم فى الجبل ٢٥-٢٣

القول فىما جرى للمشركفن بعد انصرافهم إلى مكة ٢٤-٢٥

القول فى مقتل أبى عزة الجمحى و معاذ بن المغفره ٢٥-٢٨

القول فى مقتل المجذّر بن زفاد البلوى الحارث بن فزفد بن الصامت ٢٨-٥١

القول فىمن مات من المسلمفن بأحد جملة ٥١-٥٢

القول فىمن قتل من المشركفن بأحد ٥٢-٥٤

القول فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من أحد إلى المشركفن لىوقع بهم على ما هو به من الوهن ٥٥-٦٠

الفصل الخامس فى شرح غزاه مؤته ٦١-٧٢

فصل فى ذكر بعض مناقب جعفر بن أبى طالب ٧٢-٧٨

نبد من الأقوال الحكفمه فى الحروب ٩٥-٩٧

ص: ٢٩٩

فصل فى نسب الأشر و ذكر بعض فضائله ٩٨-١٠٢

نبد من الأقوال الحكيمه ١٠٢-١٠٣

نبد من الأقوال الحكيمه ١٠٥-١٠٦

قصه فيروز بن يزدجرد حين غزا ملك الهياطله ١٠٧-١١١.

نبد من الأقوال المتشابهه فى الحرب ١١٥-١١٦

ذكر بعض ما كان بين على و معاويه يوم صفين ١٢٠-١٢٤

فصل فى بنى تميم و ذكر بعض فضائلهم ١٢٦-١٣٦

كتاب المعتضد بالله ١٧١-١٨٠

كتاب لمعاويه إلى على ١٨٤-١٨٧

مناكحات بنى هاشم و بنى عبد شمس ١٩٥-١٩٨

فضل بنى هاشم على بنى شمس ١٩٨-٢٥٧

مفاخر بنى أميه ٢٥٧-٢٨٤

ذكر الجواب عما فخرت به بنو أميه ٢٧٠-٢٨٤

افتخار بنى هاشم ٢٨٥-٢٩٥

ص: ٣٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩